خلافة
معاوية بن أبي سفيان
رضي الله عنه

تأليف
الدكتور عمر سليمان العقيلي
أستاذ التاريخ المساعد - كلية الآداب
جامعة الملك سعود - الرياض

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

وعنوانه:
قسم التاريخ | كلية الآداب
جامعة الملك سعود
الطبعة الأولى ـ الرياض
١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م

خلافة
معاوية بن أبي سفيان

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحـة
الإهـــداء	٧
المقدمـــة	٩
الفصـــل الأول:	
معاوية بن أبي سفيـــان: حياته وأَعماله قبل تولّيـــه الخلافـــة:	١٣
الفصـــل الثانـــي:	
الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما	٢٩
الفصـل الثالـــث :	
سياسة معاوية(رضي الله عنه)الداخلية: اصلاحاته وإنجازاته	٦٥
الفصل الرابـــع :	
سياسة معاوية(رضي الله عنه)الخارجيـــة:	
(ا) العلاقات الإسلامية البيزنطية	٩٥
(ب) الفتوحات الإسلامية في شمال افريقيا	١١٧

الموضوع	الصفحة

(جـ) الفتوحات الإسلامية في أواسط آسيـا ١٣٣

الفصـل الخامـس:

حركات المعارضة في عهد معاوية (رضي الله عنه):

(ا) الخـوارج ١٤٥

(ب) موقف أنصار علي(رضي الله عنه): حركة حُجْر بن عَدىّ الكِنْدي ١٦٤

الخاتمـة ١٧٧

فهرس المصادر والمراجع ١٧٩

فهرس الأماكن و الأسمـاء ٢٠٥

الإهداء

إلى والدتي

١٣٤٨ - ٨٢هـ - ١٩٢٨ - ٦٣م.

"رحمها الله رحمة واسعة، وأسكنها فسيح جناته"

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: ـ

لا يختلف إثنان على أن تاريخ الدولة الأموية في حاجة ملحَّة إلى إعادة تقييم وتنقيح ودراسة موضوعية. إذ لا يغيب عن بالنا أن التاريخ الأموي كتب في العصر العباسي، ودارس التاريخ يعرف الدور الذي قام به العباسيون في سبيل طمس مآثر الأمويين.

وهذا الكتاب ـ الذي أضعه اليوم بين يدي القراء الأعزاء ـ ما هو إلّا محاولة متواضعة للإسهام في صياغة تاريخ فترة من أعقد فترات التاريخ الأموي خاصة، الا وهي مرحلة الانشاء والبناء إن لم تكن مرحلة التأسيس والتوطيد.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول. تناولت في كل فصل منها جانباً معيناً من مراحل حياة مؤسس الدولة الأموية، معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه): فتطرقت في الفصل الأول لمولد معاوية، ونشأته في مكة، ثم الدور الذي قام به في عهد الرسول

الكريم ﷺ، ثم في فترة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم أجمعين)، مبرزاً أهم الأعمال التي قام بها معاوية(رضي الله عنه) ودوره في سير الأحداث التي وقعت في تلك الفترة خاصة في فترة ولايته على بلاد الشام، علماً بأن جوانب متعددة من نشاط معاوية في هذه الفترة تظهر تفصيلاتها - بوضوح - متداخلة في فصول الكتاب الأخرى.

ويعالج الفصل الثاني تطور مشكلة الخلاف بين كل من عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، والعوامل التي أدت إلى معركة صفين ونتائجها، ثم اجتماع التحكيم ونتائجه. . . .

ويلقي الفصل الثالث أضواء على جوانب متعددة من سياسة معاوية الداخلية، وإبراز أهم المنجزات والاصلاحات التي تمت في عهده. وهي تبيّن بكل وضوح مقدرة معاوية وكفايته الإدارية.

أما الفصل الرابع، فيبحث في أهمية الدور الذي قام به معاوية في مجال العلاقات الخارجية، وجهوده في سبيل تحويل البحر الأبيض المتوسط من بحيرة بيزنطية إلى بحيرة إسلامية، وكذلك دوره في الفتوحات الإسلامية في الشمال الافريقي وأواسط آسيا. وكلها تظهر بوضوح تام أن جهود معاوية على المستوى الخارجي كان لها أثرها في دعم مسيرة الفتح، ونشر الإسلام في بقاع عديدة في ذلك الزمن المبكر.

ويبحث الفصل الخامس، والأخير، في حركات المعارضة

وأثرها في تقويض خطط البناء والتعمير وتعطيل مسيرة الفتح في المراحل الأولى من عمر الدولة.

فإذا كنت قد وفقت فحسبي أنني أسهمت بهذا القدر القليل في هذا المجال. وإن كنت أخفقت، فأملي في القراء الأعزاء والمتخصصين أن يرشدوني إلى مواطن الضعف حتى أستطيع تجنّبها في أية طبعات لاحقة بإذن الله.

ولا يفوتني في الختام إلا أن أشكر كل من أعانني على هذا الانجاز من الأصدقاء ورفاق الدراسة. وأتقدم بوافر الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور محمد عبد الحي شعبان، والذي كان له الفضل في تدريبي على منهجية البحث العلمي، وكان لتوجيهاته وإرشاداته القيمة الفضل في إخراج الكتاب بهذا الشكل.. كما وأشكر الأستاذ الدكتور حسن أحمد محمود والدكتور عبد الغني رمضان والدكتور عبد الله محمد السّيف والأستاذ منصور محمد الصغير الذين تجشموا عناء قراءة مسودات هذا الكتاب وزودوني باقتراحاتهم القيمة والتي افادتني كثيراً في إنجاز هذا البحث.

الرياض في ٤ رمضان ١٤٠٣ هـ **عمر سليمان العقيلي**
١٤ حزيران ١٩٨٣ م

الفصل الأوّل

معاوية بن أبي سفيان
حياته وأعماله قبل توليه الخلافه

لا تزودنا المصادر المتوفرة بين أيدينا بمعلومات كافية عن مراحل حياة معاوية الأولى وعلى وجه الخصوص حياته قبل الإسلام. كما لا تعطينا فكرة واضحة عن إنجازاته التي حققها وهو أمير على الشام لمدة تقرب من عشرين سنة (١٩ - ٤٠ هـ / ٦٣٩ - ٦٦٠ م).

أما والده فهو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[١]. ووالدته: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف[٢].

---

(١) خليفة بن خياط العصفري: كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد، ١٩٦٧، ص ٢٩٧؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٠، ص ٣٤٤؛ الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج٢ (١) ص ٢٠٣، تحقيق م. ج. دي خويه، ليدن ١٨٨١ م؛ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ ص ١٤١٦، تحقيق علي محمد البجاوي القاهرة (بدون تاريخ).

(٢) نفس المصادر السابقة وصفحاتها.

ولـد معاوية قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين[1]. ونما وترعرع في مكـة حيث تلقى تعليمه الأول فيها تحت إرشاد والده أبي سفيان[2]، الذي كان مشهوراً بزعامته السياسية والتجارية ويتمتع بنفوذ اقتصادي قوي في الجزيرة العربية، وبلاد الشام والحبشـة.

أسلم معاويـة فـي السنة الثامنة للهجرة إبان فتح مكة وعمره آنذاك حوالي ثمان عشرة سنة[3]، وعدّ منذ تلك اللحظة من الطلقاء[4] أسوة بأبيه وأخيه يزيـد.

واشترك معاوية (رضي الله عنه) مع الرسول الكريم ﷺ وصحبه في غـزوة حنين (٨ هـ / ٦٢٨ م)، ضد قبيلة هـوازن[5]. فـأعـطاه

---

(١) ابن حجر العسقلانـي، أحمـد بن علي: الاصابـة في تمييز الصحـابة، ج ٣ ص ٤٣٣ ، القاهـرة ١٣٢٨ هـ .

(٢) ابن حجـر: الاصابة : ج ٢ ص ١٧٨ ـ ١٨٠ .

(٣) روي عن معاوية قوله: «لقد أسلمت قبل أن يقدم النبي (ﷺ) في عمرة القضية (سنة ٧ هـ / ٦٢٧ م)، ولقد كنت أخاف أن أخرج، كانت أمي تقول لي: «إن خرجت قـطعنا عنـك القوت». راجـع: مصعب الـزبيـري: نسب قـريش، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ١٢٤ ؛ ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، طبعة صادر (بيروت، بدون تاريخ)، ج ٧ ص ٤٠٦ ؛ البلاذري: أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ، ص ١٢، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨١ م ، ابن حجر: الاصابـة، ج ٣ ص ٤٣٣ .

(٤) الطبري: تـاريخ ، ج ١ ص ١٦٤٢ ـ ٣. والطلقاء (جمع طليق): وهم الذين اطلق الرسول ﷺ سراحهم يوم فتح مكة.

(٥) ابن هشام، عبد الملك: السيرة النبوية، ج ٤ ص ١٣٠، ١٣٥، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، طبعة ٣ بيروت ١٩٧١ م .

الرسول (ﷺ)، من غنائمها مائة من الإبل[1]، وأربعين أوقية وزنها له بلال[2]، تألّفــاً له [3].

ونظراً لأن معاوية كان يعرف القراءة والكتابة في مجتمع كان المتعلّمون فيه قلّة فقد أوردت المصادر أخباراً يستفاد منها أن النبي (ﷺ) قد جعل معاوية أحد كتّاب الوحي[4]. ولكن عباس محمود العقاد ينفي عن معاوية هذه الصفة بقوله: «وتتفق الأخبار على كتابته للنبيّ عليه السلام ولا تتفق على كتابته للوحي ولا على حفظه لآيات من القرآن الكريم تلقاها من النبي كمــا كـان كتاب الوحي يتلقون الآيات لساعتها، والأرجح أنه لم يكن معروفاً بحفظ شيء من كتابة الوحي في أيـام جمع القرآن الكريم»[5]

وعلى أيـة حال. فإن ابن حَجْر العَسْقَلاني يشير إلى أن معاوية

---

(١) ابن هشام : المصدر السابق؛ ابن سعد: الطبقات، ج ٧ ص ٤٠٦؛ البلاذري: أنساب الأشراف ج ٤ (١) ص ١٢.

(٢) ابن كثيــر: البداية والنهاية: ج ٨ ص ١١٧ ، يشير إلى أنها كانت من الذهب؛ وانــظر: د. صلاح الدين المنجد: معجم بني أمية، بيروت ١٩٧٠، ص ١٦٧.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤ ص ١٣٠، ١٣٥؛ اليعقوبي: أحمد بن جعفر: التاريخ، ج ٢، دار بيروت للطباعة ١٩٨٠ ، ص ٦٣ .

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص٨٠؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١١١؛ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج ٤ ص ٢١٥ ، تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة دار الفكر، بيروت (بـدون تاريـخ)؛ ابن الأثيـر، علي بن محمد: الكـامل في التاريخ، جـ ٢ ص ٣١٣، طبعة دار صادر بيـروت ١٩٧٩ م؛ د. أحمد عبـد الرحمن عيسى: كتّاب الوحي، نشر دار اللواء بـالريـاض، ١٩٨٠ م ص ٣٠٥ ـ ٣٢٥ .

(٥) معاوية بن أبي سفيـان، منشورات المكتبـة العصريـة، بيروت، بـدون تاريـخ، ص ١٠٨ ـ ٩ .

كان يكتب أيضاً رسائل النبي (ﷺ) إلى رؤساء القبائل العربية[1]. وقد ذكر في المصادر أن معاوية روى عن النبي (ﷺ) وصحابته حوالي مائة وثلاثين حديثاً[2]. ويروي ابن هشام أن النبي (ﷺ) آخى بين معاوية بن أبي سفيان وبين الحُتَات بن يزيد المُجَاشِعي[3].

أما في عهد الخليفة أبي بكر الصديق(رضي الله عنه)فقد ندب معاوية على رأس الفرقة التي بعث بها الخليفة إلى يزيد بن أبي سفيان[4]، في بلاد الشام. وكان تعداد هذه الفرقة حوالي ثلاثة آلاف من مختلف رجالات القبائل العربية. وكانوا في الأصل بقايا جيش خالد بن سعيد بن العاص الذي هزمته الروم بمساعدة القبائل العربية الموالية لهم مثل تَنُوخ وَكَلْب ولَخْم وجُذَام وغَسَّان وذلك في معركة مرج الصُّفَّر سنة ١٣ هـ / ٦٣٣ م ، والتي كان من نتيجتها قتل خالد وتفرق معظم جيشه[5].

وبالرغم من اعتراف إبراهيم الأبياري أنه عدا عن توجيه معاوية

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٣ ص ٤٣٤.

(٢) الخزرجي، أحمد بن عبد الله: خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال، ط ١، القاهرة ١٣٢٣ هـ ، ص ٣٢٦ .

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤ ص ٢٠٦؛ البلاذري: أنساب الاشراف، ج ٤ (١) ص ٢٢٦؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٩٦ـ٨ ؛ ابن الأثير: اسد الغابة، ج ١ ص ٣٧٩ .

(٤) ابن حجر : الاصابة : ج ٣ ص ٦٥٦.

(٥) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٠٩٠ ـ ١؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص١٠١ «مرج الصُّفَّر: قرب دمشق».

لحبيب بن مسلمة الفهري إلى ملاطية، وقصة المال والأدهم بين الخليفة عمر (رضي الله عنه) ومعاوية وأبي سفيان، ومواجهة عمر (رضي الله عنه) لمعاوية حين قدومه عليه لزيارة الشام بأن «هذا أكثر ما أُثر لمعاوية وهو وال على الشام لعمر، نكاد لا نقع بين دفات كتب التاريخ على غيره»[١]. فالحقيقة أن كتب التاريخ تشير إلى أن معاوية استمر يعمل تحت إمرة أخيه يزيد في بلاد الشام (في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه). وحارب إلى جانب أخيه ووالده في معركة اليرموك (١٥ هـ / ٦٣٥ م)، التي كانت بداية النهاية للنفوذ البيزنطي في بلاد الشام[٢]. وهناك رواية أوردها الطبري تشير إلى أن معاوية بن أبي سفيان كان أحد الموقعين على وثيقة استلام مدينة القدس (بعد معركة اليرموك)، والتي توجها الخليفة عمر (رضي الله عنه) بحضوره إلى فلسطين[٣].

وقد عمل معاوية تحت إمرة أخيه يزيد في فتح مدن صيدا وجبيل وبيروت[٤]. على أن أول حملة قادها معاوية بنفسه كانت ضد مدينة عِرْقَة قرب طرابلس. وقد تمكن معاوية من فتحها وعمل على ترميم قلعتها[٥]. وفي سنة سبع عشرة للهجرة اختاره الخليفة

---

(١) معاوية، الرجل الذي أنشأ دولة. سلسلة أعلام العرب (٦) القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٢٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق م. ج. دي خوية، ليدن ١٨٦٦، ص ١٣٥ ـ ٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٤٠٥ ـ ٦.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٦.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٢ ص ٤٣١؛ وفي معجم البلدان لياقوت، ج ٤ ص ١٠٩: عرقة بلدة شرقي طرابلس وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها.

عمر(رضي الله عنه) ليكون والياً على إقليم الأردن. فكانت هذه الولاية بداية الطريق لمعاوية ليتدرّب على الأمـور الإداريـة.

ويرى بعض المؤرخين أن معاوية قد اختاره الخليفة عمر(رضي الله عنه) ليتولى إمرة الشام في سنة ١٨ هـ / ٦٣٨ م إثـر وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيـان بطاعـون عَمَواس[١]. ولكن هـذا يخـالف الحقيقـة التاريخية التي تشير إلى أن الذي توفي من جراء طاعون عَمَواس هو أبو عبيدة عامر بن الجراح الفِهْري[٢]. كما أن المصادر تشير إلى أن يـزيـداً قـد خلف أبـا عبيـدة على إمـرة الشـام سنـة ١٩ هـ / ٦٣٩ م وأنـه كان يقـود فرقـة من الجنـد عنـدمـا فتـح المسلمون مدينة قيسارية في سنة ١٩ هـ / ٦٣٩ م[٣]. وعلى أية حال، فما دامت المصادر تشير إلى أن معاوية لم يتولَّ إمرة الشام إلّا بعد وفاة أخيه يزيد، وأنه مكث في منصبه والياً على بلاد الشام حوالي عشرين عاماً[٤]، لذلك يبدو أنه ولي بلاد الشام بعد أخيه يزيد في سنـة ١٩ هـ / ٦٣٩ م ، أو بعدها بقليل، وهذا أمـر يبدو أكثـر قبـولاً[٥].

---

(١) مصعب الزبيري: نسب قريش، ص ١٢٦؛ ابن حجر: الاصابة، ج ٣ ص ٤٣٣؛ وفي معجم البلدان لياقوت، ج ٤ ص ١٥٧، عمواس: كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس.

(٢) ابن سعـد: الطبقات ، ج ٧ ص ٣٨٥.

(٣) راجع : البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٠ ـ٢؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٢ ص ٣٣٣؛ د. ابراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ٥٧.

(٤) ابن سعد : الطبقات، ج ٧ ص ٤٠٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ١ ص ٢٠٢.

(٥) ابن حجـر : الاصابـة ، ج ٣ ص ٤٣٣.

ولعل من المفيد هنا أن نشير إلى خبر أورده البلاذري مفاده أن معاوية بن أبي سفيان كان قد أرسل في فترة ولايته على بلاد الشام زمن الخليفة عمر (رضي الله عنه) حوالي أربعة آلاف مواطن من أهل قيسارية إلى المدينة وأن عمر (رضي الله عنه) وزّع هؤلاء على مختلف الأعمال في المدينة [1]، ولكن هذه الرواية يشكّ في صحتها. إذ لم ترو المصادر عن تأثير مثل هذه الجماعات في مناحي الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية لأهل المدينة. لأن الجماعة التي كان لها تأثير واضح على أهل المدينة هم أولئك الذين أرسلهم سعيد بن عثمان بن عفان من بلاد الصُّغد إبان الفتح الإسلامي سنة ٥٦ هـ / ٦٧٦ م في فترة خلافة معاوية وليس أيام ولايته على بلاد الشام [2].

أما عن الراتب الذي كان يتسلّمه معاوية أيام ولايته على بلاد الشام زمن الخليفة عمر (رضي الله عنه) فقد اختلف المؤرخون في تقديره. فاليعقوبي يذكر أنه كان يتسلّم خمسة آلاف من الديوان [3]، بينما يشير ابن الأثير إلى أن راتبه كان ثلاثة آلاف [4]. وعلى أية حال، فإننا نرى أن هذين المؤرخين لم يذكرا هل كانت الرواتب تدفع

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٤٠ ـ ٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١١؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٧٩؛ د. عبد الله محمد السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٤٦ ؛

Gibb, H.A.R. **The Arab Conquest in Central Asia** , New York, 1970, p.20; Al-Ali, S.A. **Muslim Estates in Hejaz in the First Century A.H.** (JESHO), II, 1969, P.253؛ وانظر صفحة ١٤١ من هذا الكتاب.

(٣) تاريخ ، ج ٢ ص ١٥٣.

(٤) الكامل ، ج ٢ ص ٥٠٢ ـ ٣.

بالدرهم أو بالدينار. ولكننا نجد ابن عبد البرّ يقرّر أن معاوية كان يحصل على راتب سنوي مقداره عشرة آلاف دينار[١]. ولكن هذا الرقم مبالغ فيه خاصة إذا قارنّاه براتب شيخ القبيلة وهو حوالي مائتي دينار (ألفان إلى ألفين وخمسمائة درهم) في السنة[٢]. ولهذا أميل إلى موافقة المقريزي الذي يرى أن معاوية كان يحصل على راتب سنوي مقداره ألف دينار[٣]، وليس ألف درهم في العام كما في رواية ضرار صالح ضرار[٤]، ولا ألف دينار في كل شهر كما يرى إبراهيم الأبياري[٥].

وفي أثناء ولايته على بلاد الشام كان معاوية قد تزوج من فتاة بدوية من قبيلة كلب اليمانية تسمَّى ميسون بنت بَحْدَل بن أُنيفَ بن دُلْجَة الكلبي. وقد ولدت له ابنه يزيداً في سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م. كما ولدت له ابنته أَمَةَ ربّ المشارق التي توفيت صغيرة[٦]. أما عن زوجات معاوية الأخريات فنذكر منهن: قريبة بنت أبي أمية بن

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ ص ١٤٢٢.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، تحقيق تشارلز توري، نيوهيفين، ١٩٢٢، ص ١٤٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٥؛ د. عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط ٢ بيروت ١٩٦١، ص ٥٤ ـ ٥. راجع أيضاً: ابن سلاَّم: كتاب الأموال، تحقيق محمد هراس، بيروت ١٩٨١ص٢١٣.

(٣) الخطط المقريزية، ج ١ ص ٩٥؛ نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، دمشق ١٩٨٠، ص ٣٠٩.

(٤) العرب من معين إلى الأمويين، بيروت، ١٩٦٣ م ص ٨١.

(٥) معاوية، الرجل الذي أنشـــأ دولة، ص ١١٩.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٢٨٤؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٢٠٤.

المغيرة المخزومي[1] ، وفاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن عبد مناف وقد ولدت له ابنه عبد الرحمن وبه كان يكنّى، ولكنه توفي صغيراً. وعبد الله وكان مُحْمَقاً ضعيفاً، وابنته هند[2] . وكذلك تزوج كنود بنت قرظة وقد ولدت له بنتان: رملة وصفية[3]

وفي خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣ ـ ٣٥ هـ / ٦٤٣ ـ ٦٥٥ م)، أختير معاوية (رضي الله عنه) ليكون والياً على إقليم الشام بكامله وذلك على أثر وفاة عبد الرحمن بن مجزّر الكناني والي فلسطين، واستقالة عمير بن سعد الأنصاري والي حمص وقنسرين وذلك لظروف مرضية[4]. كذلك أضيف اقليم الجزيرة، بين العراق والشام، لولاية معاوية. وبالنسبة لاقليم الجزيرة فقد عمل معاوية جهده على تنظيم توطين القبائل العربية فيه، فأسكن بني تميم في الرابية، وأسكن خليطاً من قيس وأسد في المازِحَين والمدَيْبِر. كما أسكن ربيعة ومضر. وزاد معاوية على ذلك بأن نظم حاميات ترابط في مدن الاقليم من أهل العطاء[5]

ولعلّ مشكلة المسيَّرين هي أول امتحان لقدرات معاوية في

---

(١) ابن حبيب، محمد: المحبّر، تحقيق إ. شتيتر، طبعة بيروت، ص ١٠٢ ، ٤٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ ، ج ٢ ص ٢٠٤.

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٢٨٥ ؛ الطبري: تاريخ، ج ص ٢٠٤.

(٤) أبو زرعة الدمشقي: تاريخ، ج ١، تحقيق شكر الله القوجاني، دمشق ١٩٨٠ ص ١٨٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٩١.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٨. وانظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ص ٤٠، ٧٧.

الحكمة وسداد الرأي. أما المسيَّرون فهم أولئك النفر الذين سيَّرهم سعيد بن العاص والي الكوفة من قبل عثمان(رضي الله عنه) في سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣ م إلى معاوية بالشام. ولا بأس بأن نوجز قصتهم هنا كي نتعرف على موقف معاوية منهم:

يروي المؤرخون[١]، أن جماعة من أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الأرحبي، ومالك بن الحارث النخعي (الملقب بالأشتر) وزيد وَصَعْصَعَة ابنا صُوحان العبدي، وكميل بن زياد النخعي كانوا يتسامرون مع سعيد بن العاص فمرَّ ذكر أرض السَّواد، وهي من المناطق الخصيبة قرب الكوفة، فقال سعيد: «إنما هذا السواد[٢] بستان لقريش». فقال الأشتر: «أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك». وتكلّم القوم معه وتجادلوا ثم وطئوا عبد الرحمن الأسدي، صاحب شرطة سعيد بن العاص. فحلف سعيد ألّا يسمر أحد منهم عنده، وكتب فيهم إلى عثمان (رضي الله عنه) بخطاب وقعه معه جماعة من أشراف الكوفة. فما كان من عثمان(رضي الله عنه) إلا أن طلب من سعيد أن يسيّرهم إلى معاوية بالشام

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول قضية المسيرين، راجع: ابن سعد: الطبقات، ج ٥ ص ٣٢ - ٣ ؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٥٢٩؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٢٩٠٧ - ٢٩٢٦؛ ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج ١ ص ٧ أ - ٩ أ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ١٣٧ - ١٥٠ .

(٢) السواد: رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب (رض) سميّ بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار. وحدّ السواد من حديثة الموصل طولاً إلى عبّادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً فيكون طوله مائة وستين فرسخاً. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٧٢) .

على أمل أن يتمكن معاوية من تأديبهم. وكتب عثمان(رضي الله عنه)إلى معاوية بشأنهم: «ان أهل الكوفة قد أخرجوا اليك نفراً خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم، فان آنست منهم رشداً فاقبل منهم، وإن أعيوك فارددهم عليهم»[1].

ولما قدموا على معاوية أنزلهم دمشق وأكرمهم وأخذ يتناقش معهم ويدخلهم مجلسه في محاولة منه لتهدئة نفوسهم. ولكن حدث في إحدى المرات أن تناقش معاوية معهم فتصدّى له صعصعة بن صوحان العبدي وقال: «فإنا نأمرك أن تعتزل عملك». فشرح لهم معاوية موقفه تجاه طلبهم هذا وزاد عليه بأن حذرهم عواقب الفتنة. ولكن المسيَّرين شدّوه من لحيته. فقال معاوية: «مَه، إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم، ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم»[2]. وزاد على ذلك بأن حذرهم قائلاً: «فان أردتم النجاة فالْزموا جماعتكم ولْيَسَعكم ما وسع الدَّهْماء ولا يُبطرنّكم الإنعام فان البَطَر لا يَعتري الخِيار آذهبوا حيث شئتم فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم»[3]. ثم خرج من عندهم وكتب إلى الخليفة يخبره بأمره مع المسيَّرين، وقال له: «ولست آمن ان اقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتكن

---

(١) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٩٠٩؛ ابن الأثير: الكامل. ج٣ص ١٣٩ .
(٢) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٩٢٠.
(٣) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٩١٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ١٤١.

دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم»[1]. فطلب منه عثمان (رضي الله عنه) أن يعيدهم إلى الكوفة ولكنهم فضلوا الذهاب إلى حمص، خوفاً من أن يشمت بهم إخوانهم في الكوفة، وكان واليها لمعاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. وهناك اجتمع بهم عبد الرحمن وذكرهم ببطولات والده وحذرهم من الفتنة وعواقبها. وأقاموا عند عبد الرحمن أشهراً كان كلما ركب في مهمة له أمشاهم وليس له من هدف سوى اذلالهم، حتى ملّوا. فذهبت جماعة منهم إلى المدينة أو إلى الكوفة وأقام من أراد منهم في حمص. وهكذا فشلت جهود معاوية وعبد الرحمن بن خالد في التأثير عليهم وكبح جماحهم.

وفي سنة ٣٥ هـ / ٦٥٥ م بعث عثمان (رضي الله عنه) رسله إلى الأمصار لدراسة أحوالها ومعرفة مدى تذمّر الناس هناك. فبعث أسامة بن زيد إلى البصرة وعمار بن ياسر إلى مصر وعبد الله بن عمر إلى الشام ولكنهم رجعوا وقالوا: «أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامّهم»[2].

ثم أن عثمان (رضي الله عنه) دعا عماله في الأمصار للقدوم عليه. فحضر عبد الله بن عامر من البصرة، وسعيد بن العاص من الكوفة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر، ومعاوية بن أبي سفيان من الشام وتناقش معهم الخليفة فيما يرد عليه من

---

(١) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٩٢٠.
(٢) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٩٤٣.

شكايات. فذكروا له أن الرّسل عادت إليه وتقاريرهم نظيفة. ثم أبدى كل منهم وجهة نظره لمعالجة الموقف. وكان رأي معاوية: «أشير عليك أن تأمر أمراء أجنادك فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك أنا أهل الشام، وقد ولّيتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلاّ الخيـــر»[1]. ولكن المؤتمر انفضّ دون اتخاذ قرارات حاسمة. وعندما همّ معاوية بمغادرة المدينة إلى الشام اقترح على الخليفة عثمان(رضي الله عنه)أن يصحبه إلى هناك، أو أن يرسل إليه فرقة من أهل الشام ترابط في المدينة تحسّباً لما قد يحدث. ولكن الخليفة عثمان (رضي الله عنه) رفض تلك العروض رفضاً قاطعاً، وقال له: «أنا لا أبيع جوار رسول الله (ﷺ) بشيء، وان كان فيه قطع عنقي»[2]. أما سعيد بن العاص فقد رفض أهل الكوفة استقباله وطلبوا من الخليفة أن يعيّن عليهم عبد الله بن قيس الأشعري (أبو موسى) فوافق الخليفة على طلبهم هذا[3].

ولم يمض غير يسير حتى تحرك قادة المنحرفين في الأمصار، وخاصة في الكوفة والبصرة ومصر، وقرروا الذهاب إلى المدينة المنـورة. وهناك حـاصروا الخليفـة عثمان (رضي الله عنه) بضعـة أشهـر (الحصار الأول والحصار الثاني)[4]. ولما فشلت جهود الخليفة في

---

(١) الطبري: تاريخ ، ج ١ ص ٢٩٣٣، ٢٩٤٥ .

(٢) البـلاذري: أنساب الأشـراف، ج ٤ (١) ص٥٣٣؛ الطبـري: تـاريـخ، ج ١ ص ٢٩٤٩ .

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٥ ص ٣٣ ـ ٤؛ البلاذري: أنساب الأشراف ج ٤ (١) ص ٥٣٥ ـ ٦ ؛ الطبــري: تاريخ، ج ١ ص ٢٩٥٠ .

(٤) انظر تفاصيل ذلك في العديد من المصادر التاريخية القديمة. والمشار إليها في=

ردعهم عن غيّهم أرسل يطلب النجدة من عماله. وكان مما جاء في خطابه الذي حمله مِسْوَر بن مَخْرَمَة الزُّهْرِي إلى معاوية: «فابعث إليَّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول»[1]. فأرسل له معاوية حبيباً بن مسلمة الفهري مع فرقة من ألف فارس. ولكنه ما كاد يصل وادي القرى حتى كان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد قتل[2].(ذو الحجة ٣٥ هـ / حزيران ٦٥٦).

وبمقتل الخليفة عثمان رَحِمَهُ اللهُ بقيت المدينة خمسة أيام دون خليفة حتى بايع الناس علياً بن أبي طالب (رضي الله عنه). وما أن تسلّم عليّ (رضي الله عنه) منصبه حتى خرج عليه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة بنت أبي بكر (أم المؤمنين) رضي الله عنهم. واشتبك الطرفان في معركة الجمل في الخُرَيْبَة بالبصرة في سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م . والذي يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن معاوية قد وقف من هذا الخلاف موقف الحياد[3] .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا إلى أن ندرة المعلومات في مصادرنا التاريخية حول فترة ولاية معاوية (رضي الله عنه) على بلاد الشام تعود إلى حالة الاستقرار والهدوء التي تمتع بها ذلك الاقليم. وما كان ذلك ليتم لمعاوية لولا مقدرته وكفايته الشخصية وتعاونه مع

= الهوامش أعلاه في هذه الصفحة.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٥٦١ ، ٥٧٨ الطبري تاريخ، ج ١ ص ٢٩٨٥ ـ ٦ .

(٢) نفس مصادر الملاحظة السابقة والصفحات.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٠٩٩ ـ ٣١٠٠؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص١٠٩ .

رجالات القبائل العربية هناك مثل شُرَحْبيل بن السِّمط الكِنْدي وحسَّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي والضحاك بن قيس الفِهري وغيرهم. كما سنرى في فصول قادمـــة.

وهناك نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها وهي أن معاوية (رضي الله عنه) كان يقضي فصول الشتاء في فترة ولايته على بلاد الشام في بلدة الصِّنَّبرة[1]، من أرض الأردن. ولعلَّ في اعتدال مناخها وتواجد أصهاره من قبيلة كلب اليمانية بكثرة في ذلك الاقليم سبباً رئيسياً في هذا الاختيـــار.

** . . ** . . **

(١) الصِّنَّبـــرة: موضع بالأردن مقابل لعقبة أَفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٤٢٤)، وحول عقبة أَفيق، انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٣٢٣ . وانظر كذلك:

Sharon, M., **An Arabic inscription From the time of Abdulmalik b. Marwan.** (BSOAS). XXIX, ii, 1966, P.370 .

الفصل الثاني

الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما

خرج علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من معركة الجمل (٣٦ هـ /٦٥٦ م) منتصراً على طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، ومن والاهم، وتمت له البيعة أميراً للمؤمنين في كل من الحجاز، والعراق، ومصر، واليمن، وخراسان. أما بلاد الشام ووليها معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) فكانت الاقليم الوحيد الذي رفض مبايعة عليّ (رضي الله عنه).

وتشير المصادر إلى أنه عندما عرض علي (رضي الله عنه) ولاية الشام على عبد الله بن عباس رفضها رفضاً قاطعاً. وتزيد تلك المصادر على ذلك قائلة أن المغيرة بن شعبة الثقفي قد نصح علياً (رضي الله عنه) بأن يترك معاوية (رضي الله عنه) على ولاية الشام «فإن لمعاوية جرأة وهو في أهل الشام يُسمَع منه، ولك حجّة في اثباته، كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد ولّاه الشام كلها» ولكن علياً (رضي الله عنه) رفض هذه النصيحة قائلاً: «لا والله ! لا أستعمل معاوية يومين أبداً»[1].

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٨٧ هـ، =

ثم ما لبث علي(رضي الله عنه) أن اختار سهل بن حنيف الأنصاري، عامله على المدينة، ليكون بديلاً لمعاوية(رضي الله عنه) في اقليم الشام. فتوجه سهل بن حنيف إلى دمشق لكن جيوش معاوية قابلته وجماعته عند تبوك وأرجعوهم إلى المدينة[1]

ثم ندب علي(رضي الله عنه) جرير بن عبد الله البجلي ليطلب من معاوية(رضي الله عنه) أن يعطي بيعته، فرفض معاوية(رضي الله عنه) ذلك وطلب من جرير أن يكتب لعليّ(رضي الله عنه) لأن يبقيه على ولاية الشام مقابل البيعة له. ومما جاء في طلبه: «أن يجعل لي الشام ومصر جباية، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بيعة في عنقي، وأسلّم له هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة»[2] ولكن عليا (رضي الله عنه) رفض طلب معاوية(رضي الله عنه) هذا، لأنه «عرف أنها خدعة منه»[3]. وكتب إليه في إحدى المرات يقول: «فان قلت: استعملني عثمان(رضي الله عنه) ثم لم يعزلني فان هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين، وكان لكل امريء ما في يديه، ولكن الله لم يجعل للآخر من الولاة حقَّ الأول، وجعل تلك أموراً موطأة، وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً»[4].

= ص ٥٢، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوطة استانبول، ص ١٧٢ ؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٠٨٥ - ٦ .

(١) الدينوري، أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٤١ ؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٠٨٧.

(٢) نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين ، ص ٥٢.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: الإمامة والسياسة ، ج ١ تحقيق د. طه الزيني، القاهرة ١٩٦٧، ص ٨٦.

(٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٣١.

ولقد كان همّ معاوية الوحيد كما تصوره لنا هذه المراسلات هو البقاء في منصبه كوال على اقليم الشام[1]. ولكن حدثت تطورات أخرى زادت من تصلّب معاوية(رضي الله عنه) في موقفه وبالتالي عملت على تعقيد الأمور وصعوبة ايجاد وسيلة سهلة لحلّها: فقد وصل قميص عثمان (رضي الله عنه) وكان قد لُطّخ بدمه حين اغتياله، وكذلك وصلت معه أصابع نائلة بنت الفَرافِصَة الكلبية زوجة عثمان (رضي الله عنه) ومعها خطاب من نائلة موجه إلى معاوية(رضي الله عنه) تخبره أن من بين قتلة عثمان(رضي الله عنه) كذلك رجالاً من قبائل خُزَاعة، وسعد بن بكر، وهُذَيل، وجُهَينة، ومُزَينة، وكان القميص والرسالة قد وصلتا مع النعمان بن بشير الأنصاري[2]. فاتخذ معاوية(رضي الله عنه) من قضية قميص عثمان ومن رسالة نائلة ذريعة ليزيد من تصلّبه، تجاه بيعته لأمير المؤمنين علي(رضي الله عنه). بل وزاد على ذلك بأن نصب نفسه وليّاً لعثمان ومطالباً بدمه بصفته أحد أبناء عمومته، مع أن معاوية (رضي الله عنه) كان يعرف مسبقاً أن في عمله هذا تحدّ واضح للسلطة المركزية التي من واجبها وحدها فقط القيام بمهمة القصاص من قتلة عثمان (رضي الله عنه) إن عرفوا. وزاد معاوية(رضي الله عنه) على ذلك بأن كتب لأهل المدينة يقول: «أما بعد، فإنه مهما غابت عنّا من الأمور فلن يغيب عنا أن عليا(رضي الله عنه) قتل عثمان(رضي الله عنه). والدليل على ذلك مكان قتلته منه. وإنما نطلب بدمه حتى يدفعوا إلينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله. فإن دفعهم عليٌّ (رضي الله عنه) إلينا كففنا

---

(١) انظر: نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٤٧٠.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٥ ص ٩٩.

عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب(رضي الله عنه). وأما الخلافة فلسنا نطلبها، فاعينونا على أمرنا هذا وانهضوا من ناحيتكم، فان أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد، هاب عليٌّ مما هو فيه»[1].

وعندما استشار معاوية أهله فيما يمكن أن يتخذه من خطوات، أشار عليه الوليد بن عقبة بن أبي معيط (ابن عم معاوية) بأن يعتصم في الشام ويقوي موقفه هناك ولا يضيّع وقته في مراسلات مع علي بن أبي طالب(رضي الله عنه).[2] كذلك نصحه أخوه عتبة بن أبي سفيان بأن يبعث إلى عمرو بن العاص ليسمع رأيه ويتقوَّى به، وكان عمرو معتزلاً كلا الفريقين في مزرعته عَجْلان من حيز فلسطين منذ ما قبل مقتل عثمان(رضي الله عنه)[3]. وعندما وصل عمرو إلى دمشق شرح له معاوية وجهة نظره حول موقفه من علي(رضي الله عنه) وبيَّن له أن جرير بن عبد الله البجلي (رسول علي إليه) ما يزال ينتظر جوابه لعلي(رضي الله عنه). وعرفه بوصول قميص عثمان(رضي الله عنه) وأنه أصبح وليّ عثمان والمطالب بدمه. فوافقه عمرو على رأيه وتحالف معه لنصرته وتأييده على أن يعطى عمرو «مصر طعمة له، ما دامت لمعاوية ولاية»[4]. ولا بد من أن نشير هنا إلى أن عمرو

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢ ـ ٣؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٥٨.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ١ ص٨٦ ـ ٨٩ ؛ البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوطة استانبول، ص ١٨٤ ؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٥٧، ١٥٩؛ الطبري: تاريخ ج ١ ، ص ٣٢٥٢.(وتقع عجلان قرب بئر السبع).

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٤؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٥٨ ـ ٩ ؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٩٥.

بن العاص كان يعرف مصر جيداً حتى قبل أن يتولّاها لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه). فقد روى الكِنْدي في هذا الصدد أنه «كان تاجراً في الجاهلية وكان يختلف بتجارته إلى مصر وهي الأدَم والعطر فقدم مرة من ذلك فأتى الاسكندرية»[1].

وبدأ معاوية (رضي الله عنه) فعلاً في اشعار من حوله أنه وليّ عثمان (رضي الله عنه) والمطالب بالثأر له من قتلته. وحتى يكسب عطف أهل الشام ويحرضهم فقد علّق قميص عثمان وأصابع نائلة على منبر جامع دمشق وأخذ يخطب في الناس يعرفهم على نواياه.

وقبل أن يتخذ أية خطوة أخرى، عقد معاوية (رضي الله عنه) مؤتمراً بدمشق حضره كبار رجالات أهل الشام أمثال: شُرَحْبيل بن السِّمط الكندي، وبُسْر بن ارطأة الفِهري، والضحّاك بن قيس الفِهري، وذو الكَلاَع الحِمْيرَي، والحُصَين بن نُمير السَّكوني، وحسان بن بَحْدَل الكلبي، وحابس بن سعد الطَائي، ومُخَارق بن الحارث الزَّبيدي، وغيرهم. فذكر لهم معاوية (رضي الله عنه) قدوم رسل عليّ (رضي الله عنه) عليه ووصول قميص عثمان ورسالة نائلة، وعن فكرته في الطلب بدم عثمان. وفي نهاية الاجتماع عبَّر جميع الحاضرين عن تقبلهم فكرة معاوية «وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم»[2]. ثم

---

(١) الكندي، محمد بن يوسف: كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق ر. غيست، ليدن ١٩١٢م، ص ٦ - ١٠.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٣٢.

وقف شرحبيل بن السمط الكندي، رأس أهل الشام[1]، وقال لمعاوية بعد أن سمع كلام القوم: «ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك»[2]. ولكن معاوية (رضي الله عنه) أجابه بأنه يعتبر نفسه واحداً من أهل الشام وأنه لا يستطيع أن يأتي ما لا يقرونه أو يوافقونه عليه[3].

وما أن اطمأن معاوية إلى مساندة كبار رجالات أهل الشام له، ندب شرحبيل بن السمط الكندي ليطوف بأقاليم الشام المختلفة - بادئاً ببلده حمص - ويعرض عليهم موقف معاوية (رضي الله عنه) تجاه علي (رضي الله عنه)، ويطلب منهم طاعته ونصرته. فقام شرحبيل بما كلّفه به معاوية (رضي الله عنه) حتى لم تبق بلدة في الشام إلّا وساندت معاوية (رضي الله عنه). عند ذلك طلب معاوية، جرير بن عبد الله البجلي وقال له: «يا جرير إلحق بصاحبك، واعلمه أني وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعة»[4].

ورجع جرير بن عبد الله البجلي إلى عليّ بعد أن أقام عند معاوية بدمشق حوالي الثلاثة أشهر. وعند وصوله الكوفة وجد أن الأشتر النخعي قد حَرَّك الناس ضده فاتهموه أنه لطول اقامته عند

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٥٠؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٥٩.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٤٧؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٥٩ - ٦؛ ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول، ج ١ ص ٥٦ / أ.

(٣) راجع المصادر المذكورة في هامش الملاحظة السابقة.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٦٠؛ وانظر: نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٥٦.

معاوية (رضي الله عنه) تواطأ معه. وزاد الأشتر على ذلك أن قال «ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسنك واشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستبين هذه الأمور»[1]. ثم زادوا على ذلك بأن أحرقوا بيته. فلما رأى جرير ذلك خرج إلى قرقيسياء وتبعه جماعة من قَسْر من قومه، ومن هناك كاتب معاوية فدعاه الأخير للقدوم عليه والعيش عنده ففعل. وبسبب موقف الأشتر وجماعته لم يشهد صفيّن مع عليّ (رضي الله عنه) من قَسْر (بطن من بَجِيله) غير تسعة عشر شخصاً[2].

ثم ما لبث معاوية (رضي الله عنه) أن عبَّر عن موقفه تجاه عليّ (رضي الله عنه) صراحة وذلك بارساله شُرَحْبيل بن السِّمْط الكِنْدي، وحَبيب بن مَسْلَمة الفِهْري، ومعن بن يزيد بن الأَخْنَس السُّلَمي يطلبون منه أن يسلِّم لمعاوية (رضي الله عنه) قتلة عثمان (رضي الله عنه) ولكن علياً (رضي الله عنه) رأى أن في مثل هذه المطالب اثارة للاضطرابات. فعبأ نفسه لقتال معاوية (رضي الله عنه) وأهل الشام. وكان معاوية نفسه قد تأهب لذلك واعد للأمر عدته[3].

ونظرة سريعة على استعدادات الفريقين الأولية، نجد أن معاوية (رضي الله عنه) كان يتمتع بولاء مطلق في جنده وبثقة وطاعة تامة

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٦٠.

(٢) راجع: نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٦٠ ـ ١؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٦١؛ اليعقوبي: التاريخ، ج ٢ ص ١٨٤؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٥٤ ـ ٦.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٧٠؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٧٧.

من أهل الشام. وكان معاوية(رضي الله عنه) يعتمد على جيش أهل الشام المدرَّب على وسائل الحروب والغارات. وقد اكتسب خبراته هذه من حروبه على الجبهة البيزنطية. وحتى يكون معاوية(رضي الله عنه) في موقف قوي فقد هادن البيزنطيين على إتاوة يدفعها لهم في مقابل عـدم اعتدائهم على حدود بلاد الشام[1]. وعبأ معاوية(رضي الله عنه) قواته وأكمل استعداداته وسار بجنده يصحبه خيرة رجالات أهل الشام. وخلَّف عمار بن السِّعر على دمشق[2]. وتوجه نحو العراق.

أما علي (رضي الله عنه) فقد كان وجنده يتحلون بروح معنوية عالية، وكفاءة قتالية مميزة، ولكنهم كانوا قد خرجوا لتوّهم من معـركة طاحنة قتل فيها عدد كبير من الطرفين ألا وهي معركـة الجمل (٣٦ هـ / ٦٥٦ م)، ومع ذلك فقد عبأ عليّ (رضي الله عنه) قواته وسار بهم من الكوفة ـ مخلّفاً عليها أبا مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري ـ إلى النخيلة[3]. وهناك قدم عليه عبد الله بن عباس ومعه رؤوس أخماس أهل البصرة: «خالد بن المعمَّر السَّدوسي على بكر بن وائل، وعمرو بن مرجوم العبدي على عبد القيس، وصَبُرة بن شَيمان الأَزدي على الأَزد، والأحنف بن قيس على تميم وضَبَّة

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٨ ـ ١٦٠؛ محمد كرد علي: خطط الشام، ج ١ ص ١٤٢.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١٢٨؛ ولكن أبا زرعة الدمشقي في تاريخه، ج ١ ص ١٩٩، ٢٢٣، يرى «أن معاوية بن أبي سفيان استخلف فضالة بن عبيد ـ حين خرج إلى صفين ـ على دمشق».

(٣) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سَمْت الشام. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٧٨).

والرّباب، وشريك بن الأعور الحارثي على أهل العالية»[1]. كما أمَّر عليّ (رضي الله عنه) الأَسْباع من أهل الكوفة: «سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس، ومعقل بن قيس الرياحي على تميم وضبَّة والرباب وقريش وكنانة وأَسَد، ومخنف بن سليم على الأَزد وبَجِيلة وخَثْعَم والأَنصار وخُزاعة، وحُجر بن عدي الكندي على كندة وحضرموت وقُضاعة ومَهْرة، وزياد بن النضر على مَذْحِجٍ والأَشعريين، وسعيد بن قيس بن مرة الهَمْداني على هَمْدان ومن معهم من حِمْيَر، وعدَيّ بن حاتم على طيء، ويجمعهم الدعوة مع مَذْحجٍ، وتختلف الرايتان: راية مذحج مع زياد بن النضر، وراية طيء مع عدي بن حاتم»[2].

ولما وصل عليّ (رضي الله عنه) إلى المدائن، أرسل معقلاً بن قيس الرياحي إلى الموصل ونصيّبين ورأس العين فتمكن من السيطرة عليها ضمن ولاءها لعليّ (رضي الله عنه)[3]. ثم أرسل عليّ (رضي الله عنه) الأشتر النخعي لقتال أهل الرقة، من اقليم الجزيرة، الذين كانوا معروفين بموالاتهم إلى معاوية (رضي الله عنه) وكانوا حوالي ٥٠٠ ـ ٧٠٠ شخصاً يتزعمهم سماك بن مَخْرَمَة الأَسدي. فطلب سماك النجدة من معاوية (رضي الله عنه) فأرسل إليه الضحاك بن قيس الفهري، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد في فرق من جند أهل الشام. ولكن الأشتر هزمهم في موقعة مرج مَرِينا (بين حران والرقة) وتمكن

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٦٧؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٥٩.

من دخول مدينة الرقة وآجبر أهلها على أن يقوموا ببناء جسر على نهر الفرات، فعبـرت قوات الأشتـر الجزيرة في طريقها إلى بلاد الشام[1].

وتقابل جيشا علي ومعاوية على مقربة من صفّين، على ضفاف نهر الفرات غربي الرقة، وكان معاوية(رضي الله عنه) قد سبق علياً (رضي الله عنه) إلى هناك ونزل وجماعته «منزلاً اختاروه مستوياً بَسَاطاً واسعاً وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم»[2]. وتروي المصادر أن معاوية رفض السماح لجند عليّ (رضي الله عنه) بالتزود من نبع الماء، فعند ذلك أَمَّر عليّ (رضي الله عنه) الأشعث بن قيس الكندي والأشتر النخعي على ألفين من رجاله وطلب منهم القيام بمحاولة استعادة نبع الماء. ولما أفلحوا في مساعيهم ودحروا أبا الأعور سفيان بن عمرو السلمي وبُسر بن ارطأة الفهري (وكانوا في خمسة آلاف من أهل الشام) عن نبع الماء، أمر علي (رضي الله عنه) جماعته قائلاً: «خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم، وخلّوا بينهم وبين الماء»[3].

وبينما كان الطرفان معسكرين في صفّين، أرسل عليّ (رضي الله عنه) بشير بن عمرو بن مِحْصَن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني،

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١٢ ـ ١٣، ١٤٦، ١٥١ ـ ٢؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ١٨٧؛ ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج ١ ص ٧٦ / أ، ١٠١ / أ، ١٠١ / ب؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٥٩ ـ ٦٠.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١٦٠؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٦٨.

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١٦٢؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ١٨٧؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٩٩.

وشبث بن ربعي الرياحي إلى معسكر معاوية(رضي الله عنه)يطلبون منه أن يبايع علياً (رضي الله عنه) وأن يحقن دماء المسلمين من كلا الطرفين. ولكن معاوية (رضي الله عنه)رفض هذا العرض مرة أخرى(١)، وردّ على عليّ(رضي الله عنه)بأن أرسل إليه حبيباً بن مسلمة الفهري، وشرحبيل بن السمط الكندي، ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمي يطلبون من عليّ (رضي الله عنه)أن يسلّم لمعاوية (رضي الله عنه) قتلة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)(٢)، ولكن علياً(رضي الله عنه) شرح لهم أن هذا مطلب تعجيزي من معاوية (رضي الله عنه). ويورد الدينوري رواية مفادها أن علياً(رضي الله عنه) قال: «إني لا أستطيع ذلك، وهم زهاء عشرين ألف رجل»(٣).

وتروي المصادر أن أبا هريرة الدوسي قدم على معاوية(رضي الله عنه) من حمص وهو معسكر في صفين وطلب منه أن يذكر له الأسباب التي دفعته لمقاتلة علي بن أبي طالب(رضي الله عنه). فرد معاوية(رضي الله عنه) بأنه إنما يطلب بدم الخليفة المقتول عثمان (رضي الله عنه)، وأنه إنما يقاتل علياً (رضي الله عنه)حتى يدفع إليه قتلته. فما كان من أبي هريرة إلّا أن ذهب إلى معسكر عليّ(رضي الله عنه) يعرض عليه مطالب معاوية(رضي الله عنه) بوجوب تسليم قتلة عثمان(رضي الله عنه)وسمّى له بعض الأسماء وفيهم: عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، والأشتر النخعي، وعمرو بن

---

(١) الطبـــري: تاريخ، ج ١ ص ٣٢٧٠؛ ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج ١ ص ٨٢ / أ.

(٢) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص ٢٠٠؛ ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج ١ ص ٨٢ / أ.

(٣) الدينـــوري: الأخبار الطـــوال، ص ١٧١.

الحمق الخزاعي. ولكن ما أن سمع القوم هذه الأسماء حتى صاحت جماعة تقرب من عشرة أو عشرين ألفاً قائلين: «كلّنا قَتَلَه، فان شاؤوا فليروموا ذلك منّا»[1]. ولما سمع أبو هريرة هذه الصيحة، رجع إلى معاوية(رضي الله عنه)وأبلغه بما حدث.

وظل الجيشان طيلة شهر ذي الحجة لسنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م، في مبارزات تقليدية كانت تدور كل يوم مرة أو مرتين تقريباً. وكان الهدف منها اظهار مفاخر رجالات القبائل العربية من كلا الطرفين. فمثلاً كان يخرج من جيش عليّ (رضي الله عنه) كل من الأشتر النخعي[2]، وحجر بن عدي الكندي، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وشبث بن ربعي الرياحي، وزيد بن قيس الهمداني، وخالد بن المعمَّر السَّدوسي فيقابلون أفراداً من جيش معاوية أمثال: شُرَحبيل بن السّمط الكندي، وسفيان بن عمرو السلمي (أبو الأعور)، وذو الكلاع الحِمْيَري، وحبيب بن مسلمة الفهري،

---

(١) تتفق المصادر التاريخية فيما بينها على ما جرى من حوار بين علي (رض) وجماعته من جهة، وبين رسل معاوية (رض) من جهة أخرى. إلاّ أنها تختلف فيما بينها حول اسم الشخصية أو الشخصيات المرسلة. ففي كتاب وقعة صفين (ص ٨٥ ـ ٦) نجد أنه أبا مسلم الخولاني. ولكن في (ص ١٩٠ من نفس الكتاب) نجد أنهما أبا أمامة الباهلي وأبا الدرداء. وفي كتاب الأخبار الطوال (ص ١٦٢ ـ ٣) يرد اسم أبي مسلم الخولاني. ثم في صفحة ١٧٠ يورد رواية مشابهة على لسان أبي الدرداء وأبي أمامة الباهلي. بينما في كتاب الإمامة والسياسة، ج ١ ص ٩٦ نجد أنهما أبا هريرة وأبا الدرداء. وفي كتاب الفتوح لابن أعثم، ج ١، ص ٩٢ / ب ـ ٩٣ / أ : أبو هريرة الدوسي.

(٢) ورد في كتاب وقعة صفين (ص ١٩٥) وصفاً للأشتر أنه «كان أكثر القوم حروباً».

وحمزة بن مالك الهمداني، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي.

وبدخول شهر محرَّم لسنة ٣٨ هـ / حزيران - يوليو ٦٥٨ م حافظ الفريقان على حرمة هذا الشهر، وتراسلا فيما بينهما «لعلّ الله أن يجري صلحاً واجتماعاً»[١]. ولكن كل مساعي الصلح باءت بالفشل.

وما أن استُقبل شهر صفر حتى بدأ الفريقان استعداداتهما النهائية للقتال. وبالقاء نظرة خاطفة على ترتيبات الجيوش في كلا المعسكرين نجد أن ميمنة معاوية (رضي الله عنه) كانت تتكون من أفراد من قبائل حِمْيَر وأهل حمص وقنسرين وعليهم ذو الكلاع الحِمْيَري، وزُفَر بن الحارث الكلابي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحابس بن سعد الطائي. وهؤلاء يقابلون ميسرة جيش عليّ (رضي الله عنه) وكانت تتكون من رجالات من قبائل ربيعة[٢]، وأسد وكنانة وعليهم عبد الله بن عباس، والحارث بن مرة العبدِي. أما ميسرة معاوية فتتكون من رجال قبائل السكاسك والسكون وغيرهم وعليهم مالك بن هُبَيرة السكوني، وحبيب بن مسلمة الفهري وآخرون. وهؤلاء يقابلون ميمنة عليّ (رضي الله عنه) ومن فيها من رجالات قبائل كندة (وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وحُجْر بن عدي الكندي) ومذحج (وعليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي). وكان سليمان

---

(١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ١٩٦.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٨ : «وكان عليّ (رض) لا يعدل بربيعة أحداً من الناس».

بن صُرَد الخزاعي، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي على رجالة ميمنة عليّ(رضي الله عنه). أما رجالات همدان (ويقودهم حمزة بن مالك الهمداني) في معسكر معاوية(رضي الله عنه) فقد كانوا يواجهون من جيش عليّ (رضي الله عنه) أفراداً من قبيلة بَجِيلَة والأزد وهمدان. وعليهم رفاعة بن شداد البجلي، وجندب بن زهير الأزدي، وسعيد بن قيس الهمداني. وأما قبائل هوازن وغطفان وسُليم في معسكر معاوية(رضي الله عنه) فقد كانت تواجه تيّم في معسكر علي (رضي الله عنه) بينما كانت قبائل عَكّ[1] وجُذام، ولَخْم، والأشعَرون في معسكر معاوية (رضي الله عنه)وعليهم مخارق بن الحارث الزَّبيدي وناتل بن قيس الجذامي يواجهون جماعات مذحج وعليها الأشتر النخعي، الذي سبق ذكره.

أما عن القيادة: فقد كان كل فريق يعتمد على نخبة متميزة من رؤساء العشائر والقبائل. أي أن كل قبيلة كانت تناط قيادتها إلى زعيمها أو الشخصية البارزة فيها. ولا بأس من أن نشير باختصار إلى أن الضحاك بن قيس الفهري قد كان على أهل دمشق «وهم القلب»[2]، في جماعة معاوية(رضي الله عنه). كما أن عمرو بن العاص

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٢١٣: أن عك «عقلوا أنفسهم بالعمائم»، وانظر صفحة ٢٢٨ من المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٦. وللمزيد من التفاصيل حول ترتيب الفريقين وقيادتهما في صفين، راجع: وقعة صفين: ص ٢٠٥ ـ ٧، ٢٢٧ ـ ٩، ١٣٧؛ خليفة بن خياط: التاريخ، ص ١٩٣ ـ ٦؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٧٢ ـ ٣، ١٨٢؛ الطبري: تاريخ، ج ١، ص ٣٢٨٣؛ ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح ج ١ص ١٠٠ / ب ـ ١٠١ / ب.

كان على الخيل كلها. أما علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقد كان «في القلب في أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، وعُظم من معه من [أهل] المدينة الأنصار، ومعه من خزاعة عددٌ حسن، ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة»[1]. وأمر عليّ (رضي الله عنه) كل قبيلة في جيشه من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام. وحدث أن قبيلة بَجِيلَة «لم يكن بالشام منهم إلّا عدد يسير فصرفهم إلى لخم»[2].

وفيما يتعلّق بالعيون والمخبرين، الذين يتطلب وجودهم عادة في كل موقف، فقد كان معاوية (رضي الله عنه) يعتمد في ذلك على عامر بن عقبة بن أبي معيط وكان في جيش علي (رضي الله عنه)[3]. وبالمقابل فقد كان علي (رضي الله عنه) يعتمد على تقارير يرسلها إليه معاذ بن الضحاك بن سفيان قائد بني سُلَيم في جيش معاوية (رضي الله عنه). وكان معاذ يكتب تقاريره حول تحركات جيش أهل الشام ويبعث بها إلى عليّ (رضي الله عنه) مع عبد الله بن طفيل العامري. ولكن معاوية (رض) عرف بأمر معاذ فنفاه إلى مصر[4].

وأما عن الشارات: فقد كانت العلامة المميزة لأهل العراق «قطع الصوف الأبيض قد جعلوه في رؤوسهم وعلى أكتافهم»[5].

---

(١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٢٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٩؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٨١؛ الطبري: تاريخ، ج ١، ص ٣٢٨٧؛ ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٠٠ / ب.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ، مخطوطة استانبول، ص ٤٠٠.

(٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص٤٦٨ ـ ٩ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٣٣٢.

وأما علامة أهل الشام فقد كانت «خِرَقاً صُفراً قد جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم»[1].

وأما نداءات الحرب في هذه المعركة فقد كان أهل الشام يصيحون: «نحن عباد الله حقاً حقاً، يا لثارات عثمان»[2]. في حين كان نداء أهل العراق: «يا الله، يا أحد يا صمد، يا رب محمد يا رحمٰن يا رحيم»[3].

ويتبين من دراستنا لطبيعة المعركة، أن الفريقين ظلاَّ معسكرين في صفين لمدة تقارب الثلاثة أشهر ونصف[4]، دون أن يكون هناك قتال حقيقي. ويفسر ابن سعد هذه الظاهرة بأن كلا الفريقين لم يكن له رغبة حقيقية في القتال[5].

وعلى أية حال، فقد قادت المبارزات الفردية، وقتال الفرق، والذي كان يحصل يومياً بين الطرفين منذ الأول من صفر إلى ملحمة عارمة في اليوم الثامن من الشهر نفسه (صفر) سنة ٣٧ هـ الموافق ٢٦ يوليو ٦٥٧ م فيما يسمّى في المصادر التاريخية بليلة الهَرِير[6]، أو الليلة العاصفة. ويصفها نصر بن مزاحم بأنها كانت

---

(١) المصدر السابق والصفحة.

(٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ٣٣٢.

(٣) المصدر السابق والصفحة.

(٤) المسعودي: التنبيه والاشراف، ص ٢٥٦ «وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام».

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ص ٣٢.

(٦) قارن : ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٤٧٩.

بعد «يوم من أيام الشِّعْرى طويل شديد الحرّ»[1]. ويشير خليفة بن خياط إلى أن الناس اقتتلوا «يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت»[2].

وتروي المصادر أن المعركة كانت حامية الوطيس، وأنه قد استحرّ فيها القتال، وكان عامته مشياً على الأقدام، لدرجة أن الأشعث بن قيس الكندي، وكان في صفوف عليّ(رضي الله عنه) أشفق على هلاك الناس وعبّر عن ذلك بقوله: «إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات»[3]. ويقدم نصر بن مزاحم وصفاً دقيقاً للمعركة في ليلة الهرير وما بعدها بقوله: «..... فتراموا حتى فنيت النبل، ثم تطاعنوا حتى تقصَّفت رماحُهم، ثم نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كُسِّرت جفونها وقامت الفرسان في الركب، ثم اضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد، فلم يسمع السامع إلّا تغمغم القوم وصليل الحديد في الهام، وتكادم الأفواه، وكسفت الشمس، وثار القتام، وضلَّت الألوية والرايات، ومرت مواقيت أربعِ صلواتٍ لم يُسْجَد لله فيهن إلّا تكبيراً، ونادت المشيخة في تلك الغمرات: يا معشرَ العرب، الله الله في الحرمات، مَنْ للنّساء وللبنات».[4].

وعلى أية حال، فإن الروايات المتعددة بشأن معركة صفين

---

(١) وقعة صفين ، ص ٤٧٩.

(٢) كتاب التاريخ ، ص ١٩١.

(٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ٤٨١.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص ٤٧٩؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٨٣.

تتفق في معظمها على أن الأشتر النخعي قارب السيطرة على أرض المعركة والفوز بها، وأن معاوية (رضي الله عنه) قد فكر في إحدى اللحظات في الهرب من أرض المعركة، وذلك لسرعة اندفاع جماعة عليّ (رضي الله عنه) نحوه، وعجز قوات أهل الشام عن صدّهم.

ولكن ما أن شعر عمرو بن العاص أن الهزيمة حالّة بأهل الشام لا محالة، حتى نصح معاوية (رضي الله عنه) بأن يحاول وقف القتال وذلك بأن يأمر قواته ليرفعوا المصحف على سنان الرماح، ويدعو جماعته لأن ينادوا: «هذا كتاب الله بيننا وبينكم فتعالوا نحتكم إليه فهو الذي سيقرر عما نحن فيه مختلفون». وما أن طبقها أهل الشام «ورفعوا مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح»[1]، وتعالى صياحهم: «من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق»[2]، حتى استجابت أقوام أهل العراق لندائهم وبدأوا بالتراجع. وحاول علّي (رضي الله عنه) كل جهده أن يقنعهم بأن ذلك ما هو إلا خدعة من جانب معاوية وعمرو بن العاص، وطلب من قادته مواصلة القتال وعدم الاستجابة لنداءات أهل الشام ولكن هذه النداءات من جانب علي (رضي الله عنه) جاءت على ما يبدو متأخرة بعض الشيء. ذلك أن جماعته قد انقسموا إلى عدة فرق منها: الفرقة الأولى ويقودها الأشعث بن قيس الكندي، وهؤلاء طالبوا عليا (رضي الله عنه) بوقف القتال وقبول التحكيم وهددوه بالانسحاب من معسكره إذا لم يستجب لطلبهم

---

(١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٨١.

(٢) الطبري : تاريخ ، ج ١ ص ٣٣٢٩.

هذا. ويلخص لنا صاحب كتاب الإمامة والسياسة[1] كلمات الأشعث إلى علي (رضي الله عنه): «لا ترد ما دعاك القوم إليه، قد أنصفك القوم، والله لئن لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك، ولا نرمي معك بسهم ولا حجر، ولا نقف معك موقفاً». ويروي اليعقوبي أن معاوية حاول كسب الأشعث إلى صفوفه وأنه أحرز بعض التقدم في ذلك. لكن وقف القتال كلياً حال دون ذلك[2]. وعلى أية حال، فربما يكون سبب رفض الأشعث مواصلة القتال يرجع إلى أن جماعته قد تعبوا من القتال وأرادوا قسطاً من الراحة. وقد عبَّر الأشعث عن موقفه هذا عندما قال لعلي (رضي الله عنه): «وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال»[3].

والفرقة الثانية ويقودها سعيد بن قيس الهمداني، وشفيق بن ثور البكري كانت محايدة في موقفها. فيروي نصر بن مزاحم أن سعيد بن قيس كان «تارة هكذا وتارة هكذا»[4]. أما عن موقف شفيق بن ثور فيروي نصر كذلك أنه قال لعليّ (رضي الله عنه): «وقد أكلتنا

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١١١ وانظر: ابن أعثم: كتاب الفتوح ج ١ ص ١٥ / ب .

(٢) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ص ١٨٨ ـ ٩.

(٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ٤٨٢. ولا بأس من الاشارة هنا إلى موقف مماثل سبق أن اتخذه الأشعث مع عليّ (رض) عندما أمره وجماعته للسير لقتال أهل الشام عقب معركة النهروان (٣٨ هـ / ٦٥٨ م) فرفض الأشعث وقال: «يا أمير المؤمنين، نفدت نبالنا، وكلت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا، فارجع بنا إلى مصرنا، لنستعد بأحسن عدتنا». انظر: الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢١١.

(٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ٤٨٤.

هذه الحرب، ولا نرى البقاء إلاّ في الموادعة»[1].

وأما الفرقة الثالثة فهي التي يقودها عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) بنفسه ومعه الأشتر النخعي. وكانوا مصممين على استمرار القتال، وعدم الاذعان إلى خديعة معاويه وعمـــرو.

والفرقة الرابعة، ويقودها مِسْعَر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي وهؤلاء كانوا قد طلبوا من عليّ (رضي الله عنه) وقف القتال وهددوه بقولهم: «أجب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان»[2]. وتجدر الاشارة إلى أن هذه الجماعة وأن كانوا متفقين مع جماعة الأشعث في وجوب وقف القتال إلاّ أنهم قد يختلفون في أسباب الرفض، فالأشعث رفض القتال لأنه ربما تعب وملّ ويريد لجماعته قسطاً من الراحة وتجميع الصفوف. أما بالنسبة لجماعة مسعر والحصين فقد أجبروا عليا (رضي الله عنه) على وقف القتال وقبول التحكيم، ثم بعد ذلك خرجوا عن صفوفه (فعرفوا فيما بعد بالخوارج).

وبعد هذا الانقسام غير المتوقع وجد عليّ (رضي الله عنه) نفسه في موقف حرج فما كان منه إلاّ أن طلب من الأشتر النخعي وقف القتال. وتم تبادل الأسرى[3] ودفـــن الناس قتلاهم[4]، في فترة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٥.

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨٩. وفي تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٨٩: «والله لتجيبنهم إلى ما دعوا إليه، أو لندفعنك إليهم برمتك».

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص ٥١٨ ـ ١٩؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٣٣.

(٤) الطبـــري: تاريخ، ج ١ ص ٣٣٣٤.

الهدنة التي سبقت اجتماع التحكيم.

أما فيما يتعلق بمسألة التحكيم، فقد اتفق الطرفان على أن يختار كل فريق منهما محكّماً واحداً يمثله في الاجتماع المقترح عقده. فاختار معاوية وأهل الشام بالاجماع عمرو بن العاص. بينما وجد عليّ (رضي الله عنه) صعوبة في اختيار ممثله. فعندما اقترح على جماعته قبول عبد الله بن عباس أو الأشتر النخعي، رفضوا ذلك، وطالبوه بأن يكون أبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري هو ممثلهم. فرفض علي (رضي الله عنه) أول الأمر وعرفهم بمواقف أبي موسى عندما كان يخذّل الناس عنه في الكوفة أيام وقعة الجمل[1]. ولكن القوم أصروا على أبي موسى فما كان من عليّ (رضي الله عنه) إلّا أن قبل ذلك وقال لهم: «فاصنعوا ما أردتم»[2]. وأرسل عليّ (رضي الله عنه) إلى أبي موسى فحضر إلى الكوفة من بلدة عرُاض[3]، حيث كان معتزلاً كلا الفريقين.

واجتمع مندوبا الطرفين. وكتبا فيما بينهما مسوّدة وثيقة التحكيم وهي تشتمل على عدة شروط منها: أن يجتمع الحكمان

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٤٩٩؛ ابن قتيبة: الامامة والسياسة، ج ١ ص ٦٢ ؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ، ص ١٨٨ ـ ٩ ؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣١٤٣ ـ ٥٤ ، ٣٣٣٣ .

(٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ٥٠٠.

(٣) عُرض: بُلَيد في برية الشام يدخل في أعمال حلب الآن، وهو بين تدمر والرصافة الشامية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ١٠٣) .

في موضع عدل بين الكوفة والشام. وقد اختارا لذلك بلدة أَذرُح[1] واتفقا على أن يكون الاجتماع في شهر رمضان[2]. ولكن إذا رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وجّها له عجلاها وإن أرادا تأخيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم فان ذلك إليهما»[3]. وأن يحضر مؤتمر التحكيم المحكِّمَيْن فقط مع عدد محدودة يختاره كل طرف. وأن يتمتع المحكمان بثقة وطمأنينة كلا الطرفين، وأن يكونا آمنين في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأهلهما «ما لم يَعْدُوَا الحَقّ»[4]. وإذا توفي أحد المحكِّمَين قبل انقضاء الحكومة فعلى جماعته أن يختاروا مكانه رجلاً «من أهل المعدلة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق»[5]. وأن يُمنح أفراد القبائل من كلا الطرفين أماناً عاماً يستطيعون بموجبه أن يتنقلوا بحرية وأمان تامين إلى انقضاء مدة الأجل[6]. وأن يعود أهل الشام إلى ديارهم وكذلك أهل العراق.

وقد كتبت الوثيقة الخاصة بمعاوية بيد عَمَّار بن عَبَّاد

---

(١) أَذْرُح: بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء وعمَّان مجاورة لأرض الحجاز. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١ص ١٢٩).

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال، ص ١٩٥ .

(٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ٥٠٦؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٣٣٧.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٩٥ .

(٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين، ص ٥٠٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٩٥؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٣٣٧ .

(٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٥٠٥.

الكلبي[1]. أما وثيقة عليّ(رضي الله عنه) فكتبها عبيد الله بن أبي رافع[2]. ووقع عديد من الشهود من كلا الطرفين على نسختي الوثيقة[3]. وكان ذلك في الخامس عشر من شهر صفر سنة ٣٧هـ.

وبعد ذلك حمل الأشعث بن قيس الكندي صحيفة التحكيم هذه، وأخذ يطوف بها في أرجاء معسكر عليّ(رضي الله عنه) داعياً القوم إلى قبولها. ولكن ظهر نه جماعة أخذوا يصيحون: «لا حكم إلاّ لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله»[4]. وكان أفراد هذه الفئة هم الذين عرفوا فيما بعد بالخوارج[5].

وعندما حان موعد الإجتماع في أَذرح، ذهب أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري ومعه عبد الله بن عباس وشريح بن هانيء الحارثي يصحبهم اربعمائة شخص يمثلون مختلف رجالات القبائل في العراق. كما خرج عمرو بن العاص وشرحبيل بن السمط الكندي في نفس العدد من أهل الشام[6]. وما لبث أن حضر سعد بن أبي وقاص من المدينة ، والمغيرة بن شعبة الثقفي من الطائف وعبد الله بن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) من مكة، كمراقبين فقط

---

(١) ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٣٢/أ؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٨٩؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١١٥

(٢) المصادر السابقة في الهامش أعلاه.

(٣) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٣٣٧ ـ ٨.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٥١٧؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٣٣٩.

(٥) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٣٣٩.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٣٥٣ ـ ٤.

وليس لهم من الأمر شيء[1].

وتصور المصادر التاريخية أن أهل الشام كانوا متحدي الكلمة مع عمرو بن العاص. أما أهل العراق فكانوا مختلفي الأهواء لدرجة أنهم كانوا يسألون عن محتوى كل رسالة تصل لأبي موسى من عليّ (رضي الله عنه) حتى ضجّ منهم عبد الله بن عباس، وقال لهم: «أما تعقلون! أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به، ويرجع لا يعلم ما رجع به، ولا يُسمَع لهم صياح ولا لفظ، وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون»[2].

أما فيما يختص بمحاضر جلسات التحكيم، وما دار بين الحكمين من مناقشات ومداولات وما أسفرت عنه من نتائج فعليه، فأمرها غامض. وكل ما تتحدث عنه المصادر التاريخية القديمة أن أبا موسى وعمرو قد اجتمعا «ومكثا أياماً يلتقيان في أمرهما سراً وجهراً»[3] ثم يخرج أبو موسى وعمرو ليعلن أبو موسى عن خلع عليّ ومعاوية رضي الله عنهماوترك الأمر شورى بين الناس. ويتبعه عمرو فيعلن موافقته على خلع عليّ (رضي الله عنه) ولكنه يصرّ على تثبيت معاوية (رضي الله عنه)[4] فيتساب الإثنان ويعود عمرو مسروراً إلى معاوية

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٥٥١، الشهر ستاني: الملل والنّحل، ج١ ص ١٣٨ يقرر أن سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد الكلبي، ومحمد بن مسلمة بن مخلد الأنصاري كانوا على الحياد.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٥٣٣؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٩٧–٨؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٣٥٤.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١ ص ١١٧.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٩٠، الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٠٠.

(رضي الله عنه) لكن أبا موسى لم يستطع مواجهة علي (رضي الله عنه) «فركب ناقته ولحق بمكة»[1]. وعلى أية حال، فإن مثل هذه الروايات لا تقدم للباحث التاريخي أدلّة كافية يمكنه أن يستنبط منها حكماً قاطعاً على ما جرى في ذلك الإجتماع. علماً بأن خليفة بن خياط يشير في إحدى رواياته إلى أنه «لم يتفق الحكمان على شيء»[2].

وعرف علي (رضي الله عنه) ما تم في الإجتماع عن طريق عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) فأعلن عدم موافقته وطلب من جماعته الإستعداد لقتال أهل الشام. وفي هذه الأثناء اعترضته فرقة الخوارج وأخذوا يجادلونه ويتمرَّدون على سلطته. فدخل معهم في مفاوضات ومناقشات سلمية لكنها لم تجد نفعاً فوجد نفسه في النهاية مضطراً لأن يقاتلهم وينتصر عليهم في معركة النهروان[3] (٣٨ هـ / ٦٥٨ م).

وكان على عليّ (رضي الله عنه) أن يتوجه إلى بلاد الشام بعد قضائه على قوة الخوارج يوم النهروان، لكن الأشعث بن قيس الكندي رفض ذلك وطلب الإذن من عليّ (رضي الله عنه) بأن يدخل وجماعته الكوفة ليستريحوا بعد أن أنهكت حرب الخوارج رجاله[4]. ولما

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٤٥٤ ـ ٦، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص ٩٠؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٥ ص ٢٢٩.

(٢) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ١٩٢.

(٣) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ٣٢٤).

(٤) انظر: نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٥٨٢؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢١١؛ ابن أعثم الكوفي. كتاب الفتوح، ج١ ص ١٥/ب.

رفض عليّ (رضي الله عنه) طلب الأشعث أخذ كثير من جماعته يهجرونه ويلوذون بالكوفة فاضطر عليّ (رضي الله عنه) في النهاية أن يترك معسكره في النخيلة ويدخل الكوفة.

وفي هذه الأثناء، وجد معاوية الفرصة سانحة له ليمدّ سلطانه إلى مصر وذلك في محاولة منه للحيلولة دون حدوث أي تحالف بين العراق ومصر حتى لا يوضع معاوية بين شقي الرحى. كذلك كان معاوية (رضي الله عنه) يعرف مقدار غناء مصر وكمية الخراج والجزية التي تجمع كل عام مما سيساعده في تمويل خزائنه[1]. ثم كان لموقف جماعة العثمانية في مصر ورفضهم البيعة لعليّ (رضي الله عنه) واستنجادهم بمعاوية (رضي الله عنه) أكبر الأثر لأن يوجّه معاوية (رضي الله عنه) اهتمامه إلى مصر.

والعثمانية لقب أطلق على مجموعة من أهالي بلدة خَرْبِتا[2] (قرب الاسكندرية) يبلغ تعدادهم حوالي عشرة آلاف رجل كانوا مشهورين بولائهم لعثمان بن عفان (رضي الله عنه) وفيهم بعض من رجالات فتح مصر الأولين أمثال: معاوية بن حديج السكوني، ومسلمة بن مَخْلَد الأنصاري، ونتيجة لولائهم لعثمان (رضي الله عنه) فقد أظهروا ميلاً نحو معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ورفضوا مبايعة عليّ (رضي الله عنه) ويرى ضرار صالح ضرار أن الأمر قد أشكل على تلك الفئة «فلم يبايعوا»[3] لعليّ (رضي الله عنه) حين طلب الأخير من قيس بن

---

(١) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٣٩٦، ٣٤٠٩.
(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ٣٥٥.
(٣) ضرار صالح ضرار: العرب من معين إلى الأمويين، ص ١٠٧.

سعد بن عُبادة الأنصاري، وإليه على مصر، أن يحاول أخذ البيعة له منهم أو يقاتلهم. ولكن قيس بن سعد امتنع عن ذلك وأشار بأن العثمانية لم يتحركوا ضده ولم يظهر له أنهم يخططون لعمل أي شيء. بل على العكس فقد رآهم قيس مسالمين له. فكان يعاملهم بلطف ويجري عليهم اعطياتهم السنوية[1].

ونظراً لموقف قيس بن سعد فقد عزله عليّ (رضي الله عنه) وعيَّن الأشتر النخعي بدلاً منه على مصر. لكن المنية عاجلت الأشتر قبل أن يدخل مصر (عند العريش)[2]. فكان فقدانه، كما كان فقدان عمار بن ياسر من قبل في صفين، خسارة كبرى لعليّ (رضي الله عنه) ذلك أن هاتين الشخصيتين كانتا من خيرة رجالات عليّ (رضي الله عنه) وسنده القوي.

واختار عليّ (رضي الله عنه) محمد بن أبي بكر لولاية مصر وأمره بأخذ البيعة له من أهالي خربتا. فلما وصل محمد إلى الفسطاط أرسل الحارث بن جُمهان الجُعْفي لقتال أهل خربتا لكنه قتل في اشتباكه معهم[3]. فذهب إليهم محمد بن أبي بكر بقواته. فاستنجد العثمانية بمعاوية (رضي الله عنه) الذي بعث إليهم فرقة مكونة من أربعة آلاف جندي من أهل الشام بقيادة عمرو بن العاص، وجرت بين الطرفين موقعة المُسَنَّاة[4] (بين الفسطاط والاسكندرية) سنة ٣٨

---

(١) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٢٣٧، ٣٢٤٢.
(٢) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٢٤٢.
(٣) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٢٤٨.
(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٩٤؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٥ ص ٢٢٦.

هـ / ٦٥٨ م، قتل على أثرها محمد وتفرق معظم جيشه. ودخل عمرو الفسطاط والياً عليها من قبل معاوية (رضي الله عنه).

ومن الجدير بالذكر أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان قد أرسل حملة قوامها ألفا رجل بقيادة مالك بن كعب الأرحبي لنجدة محمد بن أبي بكر لكن الأخير كان قد قتل قبل دخول مالك وقواته أرض مصر فرجعوا إلى الكوفة[١]. وعلى أية حال فقد كان ضياع مصر ضربة كبرى لرجال عليّ (رضي الله عنه) ذلك أنه فقد موقعاً استراتيجياً يستطيع منه أن يناهض أهل الشام. أما بالنسبة لمعاوية (رضي الله عنه) فقد شعر أنه يستطيع الحركة بحرية أكثر مادام قد تمكن من القضاء على أيّ أمل في تقارب أهل مصر وأهل العراق ضدّه.

وفي أوائل سنة ٣٩ هـ / ٦٥٩ م، وبعد أن اطمأن معاوية من ناحية مصر، وجّه أنظاره نحو العراق. فأخذ يرسل حملات خفيفة منظمة ومتتابعة للإغارة على مواقع أهل العراق بقصد إشغالهم وعدم اعطائهم فرصة كافية لتنظيم صفوفهم. فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري على رأس قوة من ألف رجل إلى عين التمر[٢] فاشتبكوا مع مالك بن كعب الأرحبي الذي كان في مسلحة لعليّ (رضي الله عنه) من ألف رجل. وتمكن مالك من أن يهزم النعمان بن بشير وأرجعه إلى حدود الشام[٣]. ثم أرسل معاوية (رضي الله عنه) كذلك،

---

(١) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٤١٠ - ١٣.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة (ياقوت: معجم البلدان: ج٤ ص ١٧٦).

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٩٥؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٤٤٤.

سفيان بن عوف العامري في ستة آلاف رجل فأغاروا على هِيت[1] والأنبار[2] والمدائن[3]. وتمكن سفيان من دخول المدائن وقتل ثلاثين شخصاً من سكانها فأرسل عليّ (رضي الله عنه) سعيد بن قيس الهمداني لمواجهته ولكن ذلك كان متأخراً إذ كان سفيان قد عاد إلى الشام فرجع سعيد من عانات[4] إلى الكوفة دون أن يتواجها[5]. ثم وجه معاوية (رضي الله عنه) عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى مكة والمدينة في محاولة للإستيلاء عليهما فأرسل عليّ (رضي الله عنه) المسيّب بن نجبة الفزاري للتصدي له وتمكن من مطاردته وهزيمته عند تيماء[6]، وأرجعه إلى بلاد الشام في بقية جنده[7] ثم أرسل معاوية (رضي الله عنه) الضحاك بن قيس الفهري على رأس فرقة من ثلاثة آلاف جندي إلى الثَّعلَبيَّة[8] والقُطْقُطانة[9]

---

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة، وهي مجاورة للبرية. (ياقوت: معجم البلدان: ج٥ ص ٤٢١).

(٢) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ. (ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٢٥٦).

(٣) المدائن: بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ٧٥).

(٤) عانات: قرى مضمومة إلى هيت. (ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٧٢).

(٥) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٤٤٥ - ٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٣٧٦.

(٦) تيماء: بُليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ٦٧).

(٧) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٩٦ - ٧؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٤٤٦؛ ابن الأثير: الكامل ج٣ ص ٣٧٦.

(٨) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة (ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ٧٨).

(٩) القطقطانة: موضع قرب الكوفة. (ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٣٧٤).

فأرسل عليّ (رضي الله عنه) حُجْر بن عدي الكندي في أربعة آلاف رجل وأعطى لكل نفر منهم «خمسين درهماً»[1] حيث تمكن حُجر وجماعته من صد الضحاك وطاردوه حتى أوصلوه إلى تدمر[2] ثم رجع حُجر إلى الكوفة[3]. كما وجّه معاوية (رضي الله عنه) بُسْر بن أرطأة الفهري إلى مكة والمدينة والطائف واليمن (للإستيلاء عليها) فتمكن بُسر من دخول المدينة وفرّ واليها أبو أيوب جُندب بن جَنادة الأنصاري (رضي الله عنه) إلى علي (رضي الله عنه) بالكوفة. ومن ثم غادر بُسر المدينة إلى مكة فالطائف وأعطى أماناً لأهل الطائف بناءاً على طلب من المغيرة بن شعبة الثقفي. وتوجه بسر بعدها إلى اليمن فدخل صنعاء وفرّ واليها عبيد الله بن عباس إلى الكوفة بعد أن خلّف عليها عبد الله بن المَدَان الحارثي. فقتله بُسر وقَتَل قُثَم وعبد الرحمن أبنا عبيد الله بن عباس. ولما عرف عليّ (رضي الله عنه) بما فعله بُسْر باليمن أرسل جارية بن قدامة السَّعدي في ألفي رجل من أهل البصرة ، كما أرسل وهب بن مسعود الخثعمي في ألف رجل أيضاً من أهل الكوفة. وتوجَّه الأول إلى صنعاء والثاني إلى نجران حيث تمكنا من هزيمة بُسر وأرجعا اليمن والحجاز مرة أخرى تحت إمرة عليّ (رضي الله عنه)[4].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٤٤٧؛ ابن الأثير: الكامل؛ ج٣ ص ٣٧٧.

(٢) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ١٧).

(٣) ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج١ ص ١٣٥ /ب؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٣٧٧.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٩٧؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٣٤٥٠ - ٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٣٨٣ - ٦.

وفي سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م وجّه معاوية(رضي الله عنه) يزيد بن شجرة الرَّهاوي في ثلاث آلاف فارس إلى مكة كي يؤم الحجيج ويدعو الناس إلى بيعة معاوية (رضي الله عنه). فلما سمع عليّ (رضي الله عنه) بهذا الأمر بعث معقل بن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف رجل «فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى، فظفروا بنفر منهم فأخذوهم أسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا بهم إلى أمير المؤمنين، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية»[1].

وفي هذه السنة أيضاً ـ وبينما كان عليّ (رضي الله عنه) يجهز نفسه للتوجّه إلى بلاد الشام، كان الخوارج من ناحية أخرى يخططون لإغتيال كل من عليّ (رضي الله عنه) ومعاوية (رضي الله عنه) وعمرو بن العاص في وقت واحد كي يأخذوا بثأر إخوانهم قتلى يوم النهروان ـ كما كانوا يعتقدون ـ وظن الخوارج أنهم بفعلتهم هذه سوف يضعون حداً لاستمرار الفرقة والإنقسام بين صفوف المسلمين. واختار الخوارج لفعلتهم هذه ثلاثة أشخاص هم عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرادي والبَرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي. واجتمع هؤلاء النفر في مكة ورسموا خطتهم وحددوا يوماً معيناً من رمضان [قيل السابع عشر منه] سنة ٤٠ هـ / يناير ٦٦٠ م لينفذوا فيه جريمتهم. وتوجه كل منهم إلى ناحيته[2].

وفي ذلك اليوم، تمكن عبد الرحمن بن مُلْجَم المرادي من

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٣٧٨. وانظر: أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج١ ص ١٣٥ /ب، ١٣٦/أ، ١٣٦/ب.

(٢) ابن قتيبة: الأمامة والسياسة، ج١ ص ١٣٧.

طعن عليّ (رضي الله عنه) طعنة أصابت منه مقتلاً. أما البَرك بن عبد الله التميمي فضرب معاوية (رضي الله عنه) وجرحه جرحاً شفي منه وعوفي. وأما عمرو بن بكر التميمي فقتل خارجة بن حُذافة العَدوي صاحب حرس عمرو بن العاص اعتقاداً منه أنه عمرو. لكن عمرو كان قد اشتكى ذلك اليوم فلم يخرج للصلاة وأناب عنه ابن حذافة، فنجا عمرو وقُتل صاحب حرسه. وقيل أن عمرو بن بكر التميمي حين عرف بغلطته قال: «أردت عَمْراً وأراد الله خارجة»[1].

وبعد مقتل عليّ (رضي الله عنه) بايع الناس ولده الحسن ليكون أميراً للمؤمنين بعده. وفي هذه الأثناء أرسل معاوية (رضي الله عنه) عبد الله بن عامر بن كُريز على رأس حملة للإغارة على عين التمر والإستيلاء على الأنبار[2]. فلما سمع الحسن (رضي الله عنه) بذلك ترك الكوفة وعسكر بالمدائن على رأس ذلك الجيش الذي كان والده (رحمه الله) قد أعدّه للسيَّر به نحو الشام. ومن هناك وجه عبيد الله بن عباس وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاريَ ومعهم حوالي إثنا عشر ألفاً للإغارة على اقليم الجزيرة ومناوشة قوات معاوية (رضي الله عنه)[3].

وفي هذه الأثناء، كان معاوية (رضي الله عنه) قد غادر دمشق مخلفاً عليها الضحاك بن قيس الفهري وتوجه نحو الموصل. وعند وصوله

---

(١) راجع: ابن قتيبة: الأمامة والسياسة، ج١ ص ١٣٩؛ الطبري: تاريخ، ج١، ص ٣٤٦٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٣٨٧ - ٣٩٦.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢١٦.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣ ص ٣٣ - ٤.

مَسْكِن[1] عسكر هناك وأرسل كل من المغيرة بن شعبة الثقفي وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس إلى مخيم الحسن (رضي الله عنه) يعرضون عليه الدخول في مفاوضات مع معاوية (رضي الله عنه) (٢).

وقبل وصول وفد معاوية (رضي الله عنه) إلى مخيم الحسن (رضي الله عنه) كان الحسن (رضي الله عنه) قد خطب في جماعته وذكر لهم «رأيه في الصلح والسلم لما كره من سفك الدماء وإقامة الحرب»[3] وقال لهم: «أيها الناس، إن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة، تُحاربون من حاربت، وتُسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية، وبايعته فبايعوه وان أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين»[4] وما أن سمع القوم كلام الحسن (رضي الله عنه) حتى أخذوا يتجادلون فيما بينهم. وأخيراً تمكن أحدهم ويدعى الجراح بن سنان الأسدي من طعن الحسن (رضي الله عنه) «بالمِعْوَل في أصل فخذه فشق في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم»[5]. كذلك أخذ العديد من رجالات القبائل يعودون إلى الكوفة أو يسيرون نحو معسكر معاوية (رضي الله عنه).

ويروي ابن اعثم الكوفي أن الحسن (رضي الله عنه) عندما رأى موقف

---

(١) مَسْكِن: موضع قريب من أَوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ١٢٧).

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٣، ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج١ ص ١٦١/أ.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوطة استانبول، ص ٢٢٥ أ.

(٤) ابن قتيبة: الأمامة والسياسة، ج١ ص ١٤١.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣ ص ٣٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢١٧.

أصحابه وهجرانهم له، بعث إلى «عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم» يطلب منه عقد صلح مع معاوية. وقام عبد الله بهذه المهمة[1]. وبعد مداولات توصل الطرفان إلى اتفاق تختلف معظم المصادر التاريخية في تحديد بنوده[2]. إلّا أنهم يتفقون على أن الحسن (رضي الله عنه) ومعاوية (رضي الله عنه) اجتمعا في مَسْكِن في شهر ربيع الثاني سنة ٤١ هـ. ثم شخصا إلى الكوفة سوية حيث بايع الحسن (رضي الله عنه) لمعاوية (رضي الله عنه) هناك. ومن ثمّ تركها إلى المدينة المنورة حيث عاش هناك حتى توفي في سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩ م.

أما معاوية فقد نظم أمور الكوفة والبصرة. فعيَّن المغيرة بن شعبة الثقفي على الكوفة، وعبد الله بن عامر بن كُريز على البصرة. ورجع هو ثانية إلى بلاد الشام حيث بويع أميراً للمؤمنين في اجتماع عام بمدينة القدس (عام ٤١ هـ / ٦٦١ م). وسمّي ذلك العام بعام الجماعة[3] وذلك لإجتماع كلمة الأمة الإسلامية

---

(١) ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج١ ص ١٦١/ب.

(٢) انظر: ابن قتيبة: الأمامة والسياسة، ج١ ص ١٤٠؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٣ ص ٤١، ٤٦ - ٧، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢ - ٩؛ الذهبي: العبر، ج١ ص ٤٩؛ القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١ ص ١٠٨.

(٣) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢٠٣، أبو زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة، ج١ ص ١٨٨، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٤ - ٥. ولكن عباس محمود العقاد في كتابه معاوية بن أبي سفيان، ص ١٢٥ يقدم رأياً مخالفاً لإجماع الغالبية العظمى من المؤرخين. إذ يقول: « فلس أضل ضلالاً ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سمّوا سنة «احدى وأربعين هجرية» بعام الجماعة لأنها السنة التي استأثر فيها معاوية =

حول خلافة معاوية (رضي الله عنه). والفرقة الوحيدة التي لم تبايع معاوية (رضي الله عنه) هي فرقة الخوارج[1]. فقد ظلت في خلاف معه طيلة فترة خلافته ـ كما سنرى في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

وعلى أية حال، فقد كانت النتيجة المباشرة للخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما هي سيطرة الأمويين على منصب الخلافة وبالتالي نقلهم للعاصمة من المدينة إلى دمشق.

= بالخلافة فلم يشاركه أحدٌ فيها. لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة كما تفرقت في تلك السنة ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها».

(١) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٠؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ص ٧٨؛ د. نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٥؛ Spuler, B., The Muslim World, pt. 1. Leiden 1960, p. 35.

الفصل الثالث

سياسة معاوية (رضي الله عنه) الداخلية
إصلاحاته وإنجازاته [1]

بعد مقتل عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) وتنازل الحسن بن علي (رضي الله عنه) أصبح معاوية (رضي الله عنه) على رأس السلطة في الدولة. وقد بويع له بإمرة المؤمنين في بيت المقدس سنة ٤١ هـ [2] ٦٦١ م. ويرى بعض المؤرخين أن معاوية (رضي الله عنه) بويع أميراً للمؤمنين بعد معركة صفين ومؤتمر التحكيم [3]. لكن هذا الرأي يبدو مغايراً للحقيقة لأنه حتى ذلك الوقت كان عليّ (رضي الله عنه) مازال

---

(١) لا بد من التنويه أن كثيراً من النقاط المتعلقة بهذا الموضوع يجدها القارىء متداخلة في الفصول الأخرى وذلك للمحافظة على ترابط سياق الأفكار، وتقسيمها حسب مكانها في البحث.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٩٩؛ ابن عبد البر: الإستيعاب، ج٣ ص ١٤١٨.

(٣) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ: ص ١٩٢؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥ ص ٨٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣ ص ٤٣٣. ويرى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، ج١ ص ٧٤ أن شرحبيل بن السمط الكندي بايع لمعاوية (رض) «بالخلافة هو وأهل حمص» عندما قدم النعمان بن بشير الأنصاري على معاوية (رض) بكتاب زوجة عثمان (رض).

على قيد الحياة وكان هو الوحيد المعترف به خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين. أما معاوية بن أبي سفيان فكان «يدُعى بالشام الأمير»[1]. ومن جهة أخرى، يورد بعض المؤرخين معلومات مفادها أن معاوية كان يلقب بـ «الناصر لحق الله»[2] ولكن هذا يبدو غير مقبول فمثل تلك الألقاب لم تعرف إلّا في العصر العباسي[3].

ويجمع المؤرخون على أن أهم صفتين تحلّى بهما معاوية هما: الحِلْم والدَّهاء. ويشيرون إلى أن دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وزياد بن أبي سفيان.- وتشرح تلك المصادر بإيجاز فيه بعض الإيضاح عن ذلك قائلة: «فأما معاوية فللحِلْم والأناة، وأما عمرو فللمعضلات،! وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللكبير والصغير»[4] ومن ناحية ثانية، فهناك مصادر أخرى تضيف دهاة آخرين للأشخاص الذين ذكرناهم سابقاً، أمثال: عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعي، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، دون أن تعطينا معلومات عن سبب اطلاق هذه الصفة عليهما[5].

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٥٤٦؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٠٢. الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٤ ـ ٥: ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ١٥.

(٢) القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١ ص ١١٠.

(٣) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص ١٢٩ يوضح أن بني أمية لم يتلقبوا بهذه الألقاب.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١)، ص ١٣١؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥ ص ٢٥٠؛ ابن عبد البر: الإستيعاب، ج٣ ص ١١٨٨؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب؛ ج٨ ص ٥٧.

(٥) ابن حبيب: المحبّر: ص ١٨٤؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٨.

ويعرّف ابن منظور الحِلْم على أنه «نقيض السَّفَه». ويبيّن لنا أن الرجل الحليم هو «الذي لا يَستخِفُّه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً، فهو منتهٍ إليه»(١).

وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين أن يفسروا ظاهرة الحِلْم عند معاوية (رضي الله عنه) ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ولم يتوصلوا إلى قناعة كافية لماهية الحِلْم هذه. فيرى كل من جولد تسِيهَر وتشارلزبلاَّ أن كلمة الحِلْم مرتبطة بكلمة عِلْم وهي عكس الجهل أو البربرية(٢). ويرى فيليب حتّي أن الحِلْم هو «المقدرة على أن لا يلجأ الإنسان إلى العنف إلاَّ حين لا يرى محيصاً عنه، وأن ينزع في الأحوال الأخرى إلى اللّين والمسالمة ـ شدة في غير عنف ولين في غير ضعف ـ فكان يقرن لينه بالحزم فينتزع بذلك من خصمه سلاحه ويخجل معارضه وكان يملِك نفسه ويكظم غيظه ومن هنا استطاع أن يكون دائماً سيّد كل موقف»(٣).

أما هنري لامانس فهو لم يبتعد كثيراً في تفسيره لهذه الصفة عن سابقيه. ولكنه في قرارة نفسه ينفي عن معاوية صفة الحِلْم بقوله: «أن التحليل لحِلْم معاوية يبيّن أنه اتخذ من هذه الظاهرة مبدأ سياسياً، فقد استطاع بليونته أن يجرّد كثيراً من خصومه من

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢ طبعة بيروت ١٩٥٦م، ص ١٤٦ مادة حلم. وانظر أيضاً جزء ١٤ ص ٢٧٥ مادة دهاء. وفي القاموس المحيط للفيروزابادي، ج٤، القاهرة ١٩١٣، ص ١٠٠: «الحِلْم: الأناة والعَقل».

(٢) راجع الموسوعة الإسلامية (باللغة الانجليزية) ج ٣، ص ٣٩١.

(٣) فيليب حتي: تاريخ العرب المطول (بالعربية) بيروت ١٩٦٥م، ج١ ص ٢٦٠.

سلاحهم، كذلك استطاع بأفكاره المتطورة أن يحوز على رضى وثقة الآخرين وبالتالي يستسلمون له. فقد كان يرى دائماً أن الحرب تكلّفه كثيراً مقارنة بالكرم والسماحة. ومثل هذا الحِلْم لا يكون بأي حال من فضائل المسلم»[1].

ولعلّ عباس محمود العقاد يشارك لامانس في رأيه هذا في دهاء معاوية (رضي الله عنه) فيصفه بأنه مفرّق الجماعات وأن دهاءه يقوم على تبادل المصالح مع الآخرين وأن الحِلْم عند معاوية (رضي الله عنه) ما هو إلاّ «وسيلة من وسائل التحبّب إلى الناس، ووسيلة من وسائل الدعاية السياسية يعزّز بها حجّتـــه»[2].

وعلى أي حال، فإن آراء هنري لامانس، ذلك القسّيس الكاثوليكي المتعصّب، لا يمكن الأخذ بها أو قبولها لأنها تفتقر إلى الدليل المقنع. يقول بلياييف: «أما كُتب لامانس عن الأمويّين ففيها نقص في التقييم تتميّز بـه الكتب التي يصنّفهـا المبشـرون الكاثوليك»[3] كما أن المؤرخ الفرنسي المسلم، ناصر الدين دينيه Etienne Dinet ردّ على لامانس وفنّد أقواله وأضعف حججه في كثير مما كتبه عن تاريخ الإسلام. وختم دينيه كلامه بقوله: «إن

---

(١) Lammense, h, Etudes Sur le regne du Calife Omiyade Mo'awiya 1, Leipzig, 1908, p. 108. وانظر أيضاً الموسوعة الإسلامية (بالانجليزية) ج٣ ص ٣٩١.

(٢) عباس محمود العقاد: معاوية بن أبي سفيان، ص ٥٤، وانظر الصفحات ٥٢ ـ ٧٨ من نفس الكتاب.

(٣) بلياييف: العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة د. أنيس فريحة، بيروت ١٩٧٢م ص ٢٠٧.

عقلية لامانس لا تتلائم مع البحث العلمي الذي يجب أن يكون متجرداً من العاطفة، بعيداً عن الأهواء، خالياً من الأغراض»[1].

ولا بد من أن نشير هنا إلى أن معاوية نفسه قدَّم لنا من خلال آرائه التي كان يطرحها بين الفَيْنَة والأخرى مفتاحاً لتفسير ظاهرة الحِلْم في نفسه. ففي كلماته تبرز لنا قدرات معاوية القيادية، وإمكانياته في إيجاد الحلول المناسبة لكل قضية بعد تمحيصها. فهو القائل: «لا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجد من السَّيف بدّاً ركبته»[2]. وفي رواية أخرى أن معاوية (رضي الله عنه) زاد في ذلك بقوله: «... ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما قطعتها، إذا مدُّوها خليّتها وإذا خلُّوها مددتها»[3].

وتورد المصادر التاريخية أمثلة عديدة عن جوانب متعددة لعب الحِلْم فيها دوره في سياق الأحداث في فترات مختلفة من مراحل حياة معاوية (رضي الله عنه). ويوجز ابن الأثير أبعاد سياسة معاوية (رضي الله عنه) بقوله: «كان معاوية يُعطي المقارب، ويُداري المباعد ويَلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه»[4]. ويورد البلاذري رواية مفادها أن يزيد بن معاوية قال لوالده: «لقد أفرطت في الحِلْم حتى

---

(١) راجع: د. ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، بيروت ١٩٧٥م، ص ٣٤.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢١.
(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢٣٨، فيليب حتي: صانعوا التاريخ العربي، ترجمة د. أنيس فريحة، بيروت ١٩٨٠م. ص ٦٣.
(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٥٠٨.

خِفْتُ أن يعدَّ ذلك منك ضَعفاً وجُبناً». فقال معاوية: «أي بنيّ إنه لا يكون مع الحِلْم ندامة ولا مَذَمَّة»[1].

لقد حاول معاوية (رضي الله عنه) طيلة فترة خلافته أن يجعل أسلوب حكمه في وضع بين المركزية واللامركزية. فقد اتخذ من دمشق عاصمة للدولة. وغدت المركز الرئيسي الذي تصدر منه الأوامر السياسية والإقتصادية والإدارية للدولة. أما ترتيب أمور الولايات داخلياً فقد ترك معاوية (رضي الله عنه) ذلك للولاة ليقوموا به كل حسب خبرته وجدارته على أن يكونوا جميعاً مسؤولين أمام معاوية (رضي الله عنه) مسؤولية مباشرة ومحاسبين على كل عمل يقومون به.

ولعلّ من ضمن الأسباب التي حدت بمعاوية لأن يتخذ من دمشق عاصمة للدولة الأموية هو معرفته الجيدة بأهل الشام وثقته التامة فيهم وفي ولائهم له. فقد أمضى معاوية (رضي الله عنه) هناك قرابة عشرين عاماً أميراً على بلاد الشام، كان خلالها يتمتع بشعبية كبيرة بينهم. ولعلّ معاوية (رضي الله عنه) كذلك كان يشعر أن استمرار دولة الأمويين يعتمد في درجة كبيرة على مدى المساعدة التي يقدمها إليه أهل الشام خاصة.

كان معاوية (رضي الله عنه) يعي هذه المسائل جيداً ويعيرها جلّ انتباهه. لذلك حاول جهده منذ البداية أن يعمل على حفظ التوازن بين رجالات القبائل العربية المختلفة في بلاد الشام وعلى وجه الخصوص القبائل اليمانية والقبائل القيسية. وقبل أن نفيض في

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٧٩.

شرح هذه النقطة نرى من الأهمية أن نشير إلى أن بلاد الشام والجزيرة العربية كانت على اتصال مع بعضها البعض قبل الإسلام بفترة طويلة. ولهذا فإنه بعد انفجار سد مأرب والخراب الذي حلَّ باليمن من جرائه، كان من الطبيعي أن يتوجه أهل اليمن إلى بلاد الشام ويستقروا في جهات مختلفة منها ويصبحوا قوة مؤثرة في سير الأحداث في المنطقة، وخاصة في أيام الفتوحات الإسلامية الأولى[1]. ولعلّ من الأهمية أن نشير إلى أنه عندما حاول الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إرسال امدادات للجيوش الإسلامية التي كانت تقوم بفتح العراق فضَّل أهل اليمن الذهاب إلى بلاد الشام وذلك لأنهم اعتبروها ـ نتيجة للهجرات السابقة ـ «أرض أسلافهم»[2]. ولهذا أصبح اليمانيون أكثر عدداً بالمقارنة مع أفراد القبائل الأخرى في بلاد الشام مما أدَّى بالتالي إلى استمرار نفوذهم وسيطرتهم هناك.

ويوضح دِكْسُن ذلك بقوله: «إن نظرة فاحصة لمناطق استقرار القبائل في بلاد الشام تظهر بوضوح هذا النفوذ. ففي فلسطين كان لَخْم وعَامِلَه وجُذَام وكَلْب. وفي الاردن كان غسَّان ومَذْحج وقُضَاعَةوهَمْدَان وكَلْب وعَكّ. أما حوران والجولان فقد حَوتَا على

---

(١) نقصد بذلك الدور الذي قام به الغساسنة أثناء مساعدتهم للروم البيزنطيين ضد المسلمين. راجع: الطبري، ج ١ ص ٢٠٨١.

(٢) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٢١٨٧ ـ ٨، ٢٢١٧ ـ ٢٢١٨، دكسن، عبد (رب) الأمير: الخلافة الأموية، بيروت ١٩٧٣م، ص ١٤٠؛ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، بيروت ١٩٧٨، ص ٩٤ ـ ٥.

خليط من لَخْم وجُهَينة وذُبيان. وفي دمشق كان قضاعة وغسان وحِمْير مع عدد قليل من قيس وقريش. وكانت حمص إلى درجة كبيرة يمنيَّة في سكانها حيث كانت هناك كندة وطيء وحِمْير وكلب وهمدان وقلة من إياد وقيس. وكان يقطن حماة يمنيّين أيضاً وخاصة تنوخ وبهراء كما نجد في الشمال سليم وزبيد وهمدان وكندة وطيء وجميعهم من أهل اليمن مع أقلية من قيس وأياد. وكانت قيس هي الغالبة على تُنسّرين وضواحيها إضافة إلى منطقة الجزيرة. كما كانت تقطن هناك ربيعة. وكانت قبيلة كلب من جهة أخرى هي الساكنة الوحيدة لبادية السَّماوة [بين الكوفة ودمشق] حتى أنها سميت باسمها. أما تغلب فكانت على الخابور من منطقة الجزيرة»[1].

ويرى دكسن وبسام العسلي أن سياسة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) في بلاد الشام كانت تميل إلى محاباة أفراد القبائل اليمانية، وأنه «كان لا يفرض إلاّ لليمن» مما زاد في نفوذهم لدرجة أنهم هددوا بطرد القيسيين من بلاد الشام[2]. ولكن الذي نراه أن معاوية عمل كل ما في استطاعته لإبقاء التوازن بين مصالح الطرفين في بلاد الشام. فقد كان في خدمة معاوية (رضي الله عنه) رجالات من القيسية أمثال الضحاك ين قيس الفهري، والأحنف بن قيس

---

(١) دكسن: الخلافة الأموية، ص ١٤١. وفي معجم البلدان لياقوت، ج ٣ ص ٢٤٥: «السماوة ماءة لكلب».

(٢) دكسن: الخلافة الأموية، ص ١٤٣ ـ ٤؛ بسام العسلي: معاوية بن أبي سفيان، بيروت ١٩٧٨، ص ٤٧ ـ ٨. وانظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢٠ تحقيق عبد الستار احمد فراج، بيروت ١٩٦٠ ص ١٧١.

التميمي مثلما كان هناك رجالات من اليمانية أمثال مالك بن هبير السكوني وشرحبيل بن السمط الكندي وحسان بن بحدل الكلبي وغيرهم. كما أن معاوية (رضي الله عنه) حصل على مساعدات من كلا الطرفين إبان فترتي ولايته وخلافته وكانوا يحاربون إلى جانبه في جيش واحد وتحت إمرة واحدة. ولعل من الأهمية أن نشير إلى أن كتاب الأغاني نفسه (والذي اقتبس منه دكسن والعسلي روايتهما) يروي أنه لم تكن هناك صراعات ظاهرة بين الفريقين، ويشيد بنجاح معاوية في وضعهم جميعاً في جيش واحد وبالتالي سيطرته على كلا الفريقين[1].

وكانت سياسة معاوية تقوم على الإستعانة بأفراد من أقاربه أبناء البيت الأموي مثل: عَنْبَسَة بن أبي سفيان، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبةَ بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص بن أمية، ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك[2]، وعمرو بن سعيد بن العاص[3] وغيرهم. كما حرص معاوية (رضي الله عنه) على اختيار أعوانه وولاته من ذوي التجارب الواسعة من أفراد القبائل العربية أمثال: عبد الله بن عامر بن كُريز[4]، والمغيرة بن شعبة الثقفي[5]،

---

(١) كتاب الأغاني، ج٢٠ ص ١٧١ - ٢.

(٢) ولّاه معاوية ديوان المدينة فكان عليه إلى أواخر أيام يزيد بن معاوية. (البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٥٩).

(٣) ولّاه معاوية (رض) على فلسطين. (البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٦٠).

(٤) ولّاه معاوية (رض) على البصرة حتى سنة ٤٥ هـ.

(٥) ولّاه معاوية (رض) على الكوفة حتى سنة ٥٠ هـ.

وحسان بن مالك بن بحدل الكلبي، والضحاك بن قيس الفهري، وعمرو بن العاص السهمي، والأحنف بن قيس التميمي، والنعمان بن بشير الأنصاري[1]، ومسلمة بن مخلد الأنصاري[2].

ويعلّق الدكتور إبراهيم العدوي على سياسة معاوية تلك بقوله: «ولم تكن المحاباة وحدها هي الأساس الأهم والأوحد في انتقاء معاوية لهؤلاء الرجال دون غيرهم وإنما كان كثير منهم ممن خدم أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) ورأى أن يستفيد بجهودهم ومواهبهم ولاسيما أولئك الذين أظهرتهم أحداث الفتوحات الإسلامية بالشام»[3] وغيرها.

ومع أن معاوية (رضي الله عنه) اختار بعض أعوانه من أهل بيته، يولّيهم الولايات إلّا أنه كان يعاملهم بحذر شديد إلى أن يطمئن لهم، ويقتنع بمقدرتهم الإدارية، فقد كان يختارهم أول الأمر لولاية مدن صغيرة كالطائف[4] مثلاً، فاذا ما أظهر أحدهم مقدرة

---

(١) ولّاه معاوية (رض) على حمص ثم تولى الكوفة في أواخر أيام خلافة معاوية.

(٢) ولّاه معاوية (رض) على مصر سنة ٤٧ هـ ثم جمع له افريقية حتى سنة ٦٢ هـ. فكان «أول من جمعت له مصر والمغرب من طرابلس إلى طنجة» الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٥.

(٣) د. ابراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، القاهرة ١٩٦٣، ص ٦٧.

(٤) يعلّق الدكتور ابراهيم العدوي في كتابه «الأمويون والبيزنطيون، ص ٦٧» حول أهمية الطائف بقوله: «وكان لقريش اتصال وثيق مع بني ثقيف قبل الإسلام. وعرفوا فيهم الذكاء اللماح والنشاط الوافر، فضلاً عما كان لقريش من أملاك بالطائف جعلتهم أشد اتصالاً ومعرفة بحقيقة سكانها والتمييز بين طبقاتها. ونبغ من بني ثقيف على عهد معاوية شخصية المغيرة بن شعبة الثقفي».

إدارية فإن معاوية (رضي الله عنه) يضمّ إليه مكة لتكون تحت اشرافه ثم يتبعها بالمدينة وعند ذلك يقال: «هو قد حَذَق»[1].

وغنيّ عن البيان أن الطائف كانت مدينة مهمة في ذلك الوقت حيث تتمركز فيها قبيلة ثقيف[2] القوية وأن من يستطيع من الولاة أن يسيطر على الطائف ـ سياسياً واقتصادياً ـ فإن بقية المدن تسهل السيطرة عليها بعد ذلك. وتشير نَجدة خَمَّاش إلى أن معاوية (رضي الله عنه)«جعل من مدن الحجاز مدرسة يدرّب فيها أبناء البيت الأموي على إدارة تلك الولاية والسماح لهم بالتدرّج في تلك الادارة وفق خطوات مقررة»[3].

وقد اتبع معاوية (رضي الله عنه) اسلوباً مميزاً في معاملته لبني أهله ممن يستعين بهم. فقد كان يحاول أن يجعلهم متفرقين عن بعضهم البعض وذلك كي يتجنّب أي تحالف ضده[4]. وتروي المصادر مثلاً على ذلك بقولها: «كان معاوية يغري بين سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية وبين مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. فكتب إلى سعيد وهو على المدينة يأمره بهدم دار مروان فلم يفعل، فلما ولي مروان المدينة كتب إليه بهدم دار سعيد، فأرسل الفَعَلَة وركب مروان ليهدمها، فقال له سعيد: يا

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٦٧.

(٢) راجع كتاب: الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية لمؤلفه د. عبد الجبار منسي العبيدي، منشورات دار الرفاعي بالرياض ١٩٨٢م.

(٣) نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص ١٠٨ ـ ٩.

(٤) انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٦٥، ٦٧، ١٥٩؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٦٤.

أبا عبد الملك أتهدم داري؟! قال: كتب أمير المؤمنين إليَّ في هدمها، فبعث سعيد فجاء بكُتُب معاوية إليه في هدم دار مروان، فقال مروان: يا أبا عثمان كَتَبَ إليك بهذه الكتب فلم تُعلمني؟! قال: ما كنت لأُمرِّرَ عليك عيشك، وإنما أراد أن يغري بيننا. فقال مروان: فِداك أبي وأمي فإنك أكرمنا ريشاً وعقباً، وأمسك عن هدم داره»[1]. ويشير الطبري في إحدى رواياته إلى أن سعيد بن العاص كتب إلى معاوية يلومه على اتخاذ مثل هذه المواقف بقوله: «العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا أن يُضْغِن بعضنا على بعض...». فكتب معاوية(رضي الله عنه) إليه « يتنصّل من ذلك وأنه عائد له إلى أحسن ما يعهده»[2]

وأما القضاء فقد تركه معاوية (رضي الله عنه) لجماعة من أفاضل صحابة رسول الله ﷺ وإلى الفقهاء من الصحابة والتابعين، حتى يستطيع هؤلاء توجيه الناس وتعليمهم أمور دينهم[3]. ففي دمشق أثبت معاوية (رضي الله عنه) أبا الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري، مقرىء أهل دمشق وعالمهم، على القضاء. فظل في منصبه حتى وافته المنيّة في سنة ٣٢ هـ. وتروي المصادر أن أبا الدرداء عندما حضرته الوفاة قال له معاوية: من ترى لهذا الأمر؟ قال: فضالة بن عبيد الليثي الأنصاري. فأرسل معاوية(رضي الله عنه) إلى

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٣٣؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٦٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٦٤ ـ ٥.

(٣) نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص ١٤٨.

فضالة بن عبيد فولاه القضاء[1]. ثم جاء بعده النعمان بن بشير الأنصاري ثم بلال بن أبي الدرداء الأنصاري الذي ظل في منصبه حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) في شهر رجب سنة ٦٠ هـ / ابريل ٦٨٠م. وفي فلسطين كان عُبادة بن الصامت أول من ولي أمر القضاء هناك[2]. أما في البصرة فتولّى القضاء كل من عمران بن الحسين الخزاعي، وعبدالله بن فضالة الليثي، وعاصم بن فضالة الليثي، وزرارة بن أوفى الجرشي، وعمير بن يثربي الضّبيِّ[3]. وفي الكوفة تولّى قضاءها شريح بن الحارث الكِنْدي[4]. أما في المدينة المنورة فقد «استقضى مروان عليها عبد الله بن نوفل بن الحارث، ولم يزل قاضياً عليها حتى عزل مروان سنة ثمان وأربعين، ثم ولي سعيد بن العاص فاستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، فلم يزل قاضياً حتى عزل سعيد بن العاص وولي مروان بن الحكم الثانية سنة أربع وخمسين، فاستقضى مروان بن الحكم مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، فلم يزل قاضياً عليها حتى عزل مروان سنة سبع وخمسين في آخر ذي القعدة وولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فاستقضى ابن زمعة العامري حتى مات معاوية»[5].

---

(١) أبو زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة، ج١ تحقيق شكر الله القوجاني، دمشق ١٩٨٠ ص ١٩٨ - ١٩٩؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٢، تحقيق ابراهيم الأبياري، القاهرة (بدون تاريخ) ص ٢٤١ - ٢٥٥.

(٢) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص ٢٠٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٦.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٦، ٦٧، ٧٩، ٨١، ٨٥، ١٥٦ - ٧.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٢٢٨.

وفي مصر ولّى معاوية (رضي الله عنه) على قضاءها سُلَيم بن عِتْر التُّجيبي وظل في منصبه من سنة ٤٠ ـ ٦٠ هـ / ٦٦٠ ـ ٦٨٠م ويروي الكندي أن سليم استحدث أمرين هامَّين جداً في تاريخ القضاء إبان فترة عمله. فقد سنّ نظام التعويضات ولم يكن معروفاً من قبل. كما أنه كان أول من سجَّل محاضر جلسات المحاكم في مصر. وتفاصيل هذين الإجراءَين يرويهما الكندي فيما يلي: «أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى القاضي سُلَيم بن عتر يأمره بالنظر في الجراح وأن يرفع ذلك إلى صاحب الديوان وكان سليم أول قاض نظر في الجراح وحكم فيها. قال أبو ميسرة: فكان الرَّجُل إذا أُصيب فجرح أتى إلى القاضي وأحضر بيّنته على الذي جرحه فيكتب القاضي بذلك الجرح قصته على عاقلة الجارح ويرفعها إلى صاحب الديوان فإذا حضر العطاء اقتص من اعطيات عشيرة الجارح ما وجب للمجروح وينجَّم ذلك في ثلاث سنين فكان الأمر على ذلك»(١). ويرجع الكندي سبب إتخاذ سُليم السجلات إلى أنه «اختصم إلى سُليم بن عِتْر في ميراث فقضى بين الورثة ثم تناكروا فعادوا إليه فقضى بينهم وكتب كتاباً بقضائه واشهد فيهم شيوخ الجند. قال: فكان أول القضاة بمصر سجَّل سجلاً بقضائه»(٢).

---

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٠٩؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصَر عن قضاة مصر، ج١ تحقيق د. حامد عبد المجيد ورفاقه، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٢٥٤

(٢) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠. ويذكر ابن حجر في كتابه رفع الإصر ج١ ص ٢٥٤ أن سليم بن عتر مات بدمياط في إمرة عبد العزيز [بن مروان] سنة خمس وسبعين هجرية.

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) تمتع رعايا الدولة من غير المسلمين بمنتهى التسامح والرفق، وحصلوا على امتيازاتهم بسهولة ويسر. فقد كانوا يعملون في مختلف الوظائف الحكومية. ذلك أن معاوية (رضي الله عنه) أبقى على النظم البيزنطية (والقبطية) التي كان معمولاً بها في الشام ومصر والمغرب. كما أبقى على النظم الفارسية في العراق وخراسان. وكان ترك معاوية (رضي الله عنه) هذه النظم على حالتها بسبب نقص من كانوا يعرفون لغات ونظم إدارة البلاد المفتوحة من المسلمين في أوائل العهد الأموي. وعلاوة على ذلك فقد كان طبيب معاوية (رضي الله عنه) الخاص، ويدعى ابن أُثال[1]، غير مسلم. وكذلك سريج (سرجون) بن منصور الرومي مستشاره المالي[2]، وابن مينا[3] وابن النضير[4] (مولاه) من عماله على الصوافي، كانوا أيضاً من سلالة غير المسلمين. وأسلم بعضهم فيما بعد.

وفضلاً عن ذلك ترك معاوية لرعايا الدولة من غير المسلمين أيضاً حرية تامة في ممارسة طقوسهم الدينية «فاستجاب لطلب

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢٢٣؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢٠٥.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٢٢٨، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢٠٥؛ د. يوسف القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٤.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢٩٧؛ أبو العرب محمد بن احمد التميمي: كتاب المِحَن، تحقيق ودراسة د. عمر سليمان العقيلي، دار العلوم بالرياض، ١٩٨٤، ص ١٧١؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١ ص ١٢٧؛ د. صالح العلي: إدارة الحجاز في العهود الإسلامية، مجلة الأبحاث. كانون الأول سنة ١٩٦٨م، ص ٣٤.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٣٢.

نصارى دمشق بعدم زيادة كنيسة يوحنا في مسجد دمشق»[1] كما «رمّم لهم كنيسة الرَّها (أُوديسًا) والتي كانت قد تهدمت من جراء الـزلازل»[2] وفوق ذلـك «سمح لهم ببنـاء كنيسـة مـار مـرقص بالاسكندرية ما بين عامي ٣٩ و٥٦ هـ. كما بنيت أول كنيسـة بالفسطاط في حارة الروم في ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر بين عامي ٤٧ و٦٨ هـ»[3]. كما استعان معاوية (رضي الله عنه) بمهندسين وفنّيين من غير المسلمين في بناء قصر الخضراء بدمشق الذي اتخذه معاوية مقراً لإقامته في فترة إمارته على بلاد الشام ثم في فترة خلافته بعد ذلك. ويروي البلاذري أنهم بنوه لمعـاوية (رضي الله عنه) من الحجارة بعد أن كان قبل مبنياً باللِّبن والطين»[4].

ويشير بِلْيايِيف إلى أن رجال الدين النصارى في سوريا كانوا «يتمتعون بمكانة ممتازة في عهد الأمويين، وبوضع لم ينعموا به من قبل. فبزوال حكم الروم في سوريا لم يعد هناك من اضطهاد للطوائف المسيحية التي كانت تخاصم البيزنطيين، أتباع الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية. حتى أن رجال الدين الأرثوذكس تحرروا في عهد الأمويين من طغيان الأمراء اليونان والكنيسة اليونانية» ويضيف

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٤.

(٢) يوليوس فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها (بالانجليزية) ص ١٣٤؛ ابراهيم العدوي الأمويون والبيزنطيون، ص ٢٩١.

(٣) انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٣٢؛ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، ص ١٢١؛ د. يوسف القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص ٢٠ ـ ٢١.

٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٤٧.

بِلْيايِيف قائلاً: إن أديرتهم «كانت تعفى من دفع بعض الضرائب»[1].

ويعلّق الدكتور ابراهيم العدوي على نتائج المعاملة الحسنة من قبل معاوية (رضي الله عنه) تجاه رعايا الدولة من غير المسلمين بقوله: «وقد حفظ المسيحيون لمعاوية وآله هذا التسامح الديني وما نالوه على أيديهم من عطف وتكريم فأخلصوا للبيت الأموي، وتفانوا في تأدية ما عهد إليهم أداءه من أعمال، فاستطاع الأمويون أن ينهضوا بأعباء إدارة شؤون دولة الإسلام على أحسن الوجوه وخيرها. ومن ناحية أخرى سجَّل المسيحيون فيما وضعوه من مؤلفات[2] فضائل البيت الأموي وأشادوا به بما يعلي من شأنه»[3].

وكما كانت سياسة التسامح مع الرعايا غير المسلمين هي الطابع المميز لفترة خلافة معاوية (رضي الله عنه) كذلك نرى سياسة التعاطف والإهتمام المتزايد وحسن المعاملة تجاه الموالي من المميزات الأخرى في عصر معاوية (وما تلاه من عهود). فنجد أن معاوية (رضي الله عنه) استعان بكثير من الموالي في إدارة بعض شؤون الدولة: فعيَّن مولاه عبد الله بن درَّاج على خراج الكوفة ومَعُونتها

---

(١) بلياييف: العرب والإسلام والخلافة العربية، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة، راجع: توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام ترجمة د. حسن ابراهيم حسن، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة.

(٣) د. ابراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، ص ٢٩٢.

في ولايـة المغيرة بن شعبـة (٤١ ـ ٥٠ هـ)[١]. وكان وِرْدان، مولاه، على خراج مصر في ولاية عتبة بن أبي سفيان[٢]. وكان على حرسه رجل من الموالي يقال له المختار وقيل رجل يقال له مالك ويكنى أبا المُخَارق مولى لِحمْيَر. وكان على حُجَّابه سعد مولاه[٣]. وكان يلي أمواله بالحجاز أيضاً. وهو الـذي قال فيـه معاوية: «أغبط الناس عيشاً مولاي سعد، كان يتربَّع جدَّه، ويتقيَّظ الطائف، ويشتو بمكة»[٤]. واتخذ زياد بن أبي سفيان من مِهْران، مولاه، حاجباً له وكاتبه على الخراج في العراق[٥]. وكـان أبو المهاجر دينار مولى لمسلمة بن مخلد الأنصاري فتولى له إدارة شؤون المغرب في سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م.

وبالرغم من هذه الأمثلة، نجد أن عباس محمود العقاد يشير إلى أن معاوية كان لا يلتفت إلى الموالي «فقد كان معاوية لا يباليهم لأنهم قِلَّة هناك لا يحسب لها حساب. ومرضاة العرب أولى من مرضاة الموالي في دمشق حيث قامت الدولة الأموية، وحيث

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٨٩، ٢٩٢، اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢١٨.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٤٢٧؛ نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص ٣٤٧.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٥٤، ٦٣، ٨٩ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢٠٥، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥ ص ١٠٤؛ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ١٦ ص ١٧.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ١٢؛ د. عبد الله السيف: الحياة الإقتصادية والإجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ٧٦.

(٥) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢١٢؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٩٩.

هان خطبهم بعد ذلك حتى قيل أنه همّ بقتلهم والبطش بهم على غير عادته. وقال لهم غير مرة: إنكم عجم وعلوج!»[1].

ولكنني أرى أن العقاد في رأيه هذا يردّد ما سبقه إليه المستشرقون[2] في طعنهم في تسامح معاوية (رضي الله عنه) ومن تبعه من الخلفاء الأمويين مع الموالي، رغم ما تزخر به المؤلفات العربية القديمة من أمثلة على هذا التسامح.

ومن ناحية أخرى، فقد ترك معاوية (رضي الله عنه) الإصلاحات الضرورية لعماله على الأقاليم ليقوم كل واحد منهم بواجبه تجاه الإقليم الذي يرعى شؤونه. ففي بلاد الشام كان العرب محظوظين جداً ذلك أنهم وجدوا أنفسهم وسط مناطق عمرانية مزدهرة من قبل فسكنوا في منازل كانت قد بنيت منذ عهد البيزنطيين.

---

(١) عباس محمود العقاد: معاوية بن أبي سفيان، ص ٢٣.

(٢) فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ترجمة د. حسن ابراهيم حسن وزميله، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣٥ ـ ٦٨. وهناك أيضاً آراء أخرى مماثلة لكل من فون كريمر وبراون وفلهاوزن ردّدها كل من جرجي زيدان وفيليب حتي وحسن ابراهيم حسن والخربوطلي. انظر: نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص ٣٤١. ويعلّق الدكتور إبراهيم العدوي برأي صائب حول هذا الموضوع ولا غبار في إثباته هنا. فهو يقول: «ردّد كثير من المستشرقين الزعم الخاطيء بسوء معاملة الأمويين للموالي. كما سار على نهج اولئك المستشرقين نفر من المؤرخين المحدثين دون اعتماد على الروية وتمحيص الحقائق التاريخية. وخلط هؤلاء وهؤلاء بين مقاومة الأمويين لحركات الموالي المناهضة للإدارة العربية وبين الإتهام بهتاناً بأن هذا العمل من جانب الأمويين يحمل تعصباً منهم للعنصر العربي على الموالي» (الأمويون والبيزنطيون، ص ٢٩٩ هامش رقم (١).

وفي مصر كان المسلمون الفاتحون قد بنوا مدينة الفسطاط كقاعدة للجند الإسلامي هناك منذ سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م. فأخذ كل والٍ منذ عهد عمرو بن العاص يعمل جاهداً على تنمية المدينة وازدهارها. فبعد أن كان عمرو قد بنى المسجد الجامع في الفسطاط نجد أن مسلمة بن مخلد الأنصاري أمر «بالزيادة في المسجد الجامع، فهدم في سنة ثلاث وخمسين ما كان عمرو بناه. وفيها أمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها، وأمر المؤذنين أن يكون أذانهم في الليل في وقت واحد فكان مؤذنوا المسجد الجامع يؤذنون للفجر فاذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد فكان الأمر على ذلك إلى دخول المُسَوِّدة»[١].

أما في العراق: فقد كان الفاتحون الأوائل يبنون مدناً لسكنى جند المسلمين. فنشأت مدينة البصرة ومدينة الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد أدى ذلك إلى ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ذلك الاقليم فنزح إليه الكثيرون.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ظل كل من عبد الله بن عامر بن كريز (والي البصرة حتى سنة ٤٥ هـ) والمغيرة بن شعبة الثقفي (والي الكوفة حتى سنة ٥٠ هـ) يولي جلّ اهتمامه لأمن المصر الذي تولّاه، خاصة بعد ظهور حركات الخوارج[٢]

---

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٨ ـ ٩. ويعني هنا بالمسوّدة: العباسيون، لأن راياتهم كانت سوداء اللون.

(٢) راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب.

وتوالي اغارتهم على المدن والقرى. فأخذ ذلك منهما جهداً كبيراً. ومع ذلك نجد أن عبد الله بن عامر قد قام ببعض الإصلاحات الضرورية من أجل ازدهار الناحية الاقتصادية. فقد اشترى دوراً فهدمها وجعلها سُوقاً وَهَبَـه لأهل البصرة، وكان ذلك من ماله. كما أنه حفر العديد من الأنهار في البصرة والمناطق المحيطة بها ليساعد في مجال الري وتنمية الثروة الزراعية. فحفر نهرأم عبد الله (نسبة إلى والدته) وسط البصرة، وحفر نهر الأُبُلَّه، ونهر نافذ (مولاه التي تولّى حفره) ونهر مرَّة (نسبة إلى مرَّة مولى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)،ونهر الأساورة[1]. كما قام بتوزيع الأراضي الزراعية على الأشخاص المهتمين باستغلالها[2]، وأما المغيرة بن شعبة فإنه فضلاً عن جهوده في قتال الخوارج، فقد وجد وقتاً كافياً قام فيه بتوسيع مسجد الكوفة[3] فجعله يتسع لأربعين ألفاً من المصلّين[4].

---

(١) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً. مفردها أُسوار وإسْوار. وهو قائد الفرس وقيل: هو الجيد الرمي بالسهام. (لسان العرب، ج ٤ ص ٢١٠، ٣٨٨)

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ١٦٦؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٥١، ٣٥٣ ـ ٥؛ محمد جاسم حمادي: ولاية عبد الله بن عامر للبصرة واصلاحاته الإقتصادية فيها. مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢٢ بغداد ١٩٨٢، ص ١٢٧ ـ ١٤٠. ولعل من الأهمية أن ننوه هنا إلى أن اصلاحات عبد الله بن عامر ـ التي ذكرناها أعلاه ـ وان كان بدأها قبل فترة خلافة معاوية إلا أنه استمر في رعايتها وتنميتها إبان فترة ولايته لمعاوية بعد ذلك.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٥.

(٤) د. علي حسني الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص ٢٩٨.

والواقع أن زياد بن أبي سفيان عامل معاوية (رض) على البصرة والكوفة بعد عبد الله بن عامر والمغيرة بن شعبة، هو الذي قام بمعظم الإصلاحات الضرورية في ذلك الجناح الشرقي من الدولة الأموية. وكان هذا الرجل يتمتع بمقدرة إدارية فائقة. وقد ناصر علياً (رضي الله عنه) في بداية أمره وولي له على اقليم فارس[١]. وأبدى مقدرة متميزة في تعامله مع مختلف رجالات القبائل. فلما جاء معاوية للسلطة عرف مقدرة زياد وكفاءته استماله إليه وجعل منه ساعده الأيمن، وذلك منذ سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤م،[٢]، لدرجة أن الطبري[٣] يورد قصائد لشعراء يصفون زياد وكأنه وزير معاوية (رضي الله عنه). ولكننا نعرف من المصادر التاريخية أن مثل هذه الألقاب لم تستعمل إلّا في عهد الدولة العباسية عندما لقّب السَّفّاح أبا سلمة الخلال بِـ «وزير آل محمد»[٤].

وقد استن زياد عدة قوانين وتنظيمات. وقام بكثير من

---

(١) انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٩٧ ـ ٨ حول الوظائف التي تقلدها زياد قبل دخوله في خدمة معاوية (رض).

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٢٠٧، اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢١٨؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٦٩ ـ ٧٠. ولكن الدكتور خورشيد فارق يشير إلى أن حفريات حديثة في جنوب إيران وجنوب العراق أسفرت عن اكتشاف نقود معدنية تحمل اسم زياد بن أبي سفيان وتاريخ سنة ٢٤هـ. فإذا أثبتت دراسة هذه النقود صحة التاريخ الذي تحمله، فإنها بلا شك سوف تضعف جميع الروايات السابقة.

Fariq, K.A. A remarkable early Muslim governor Ziyad b. Abih, Islamic Culture, 1952, No' 26, p.l.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٧٨، ١٤٦.

(٤) القلقشندي: مآثر الأناقة، ج١ ص ١٠٣.

الإصلاحات في البصرة أولاً (٤٥ ـ ٥٠ هـ) ثم في الكوفة بعد أن جُمعت المدينتين تحت إمرته في ولاية واحدة وذلك منذ سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠م وحتى سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣ م. فبنى دار الرزق في البصرة[١]، وهي شبيهة بمخزن المؤن في أيامنا هذه، فكان الأهالي يتمونون منها. وعين أشخاصاً يشرفون عليها منهم عبد الله بن الحارث بن نوفل، وروّاد بن أبي بكرة. كما عين الجَعْد بن قيس النّمري مشرفاً على السوق ومراقباً على أسعار المواد الغذائية فيه[٢]. واستمرّ زياد في قبوله للمدفوعات العينية (حبوب وزيوت ودقيق وما شابهها) لسداد الجزية والخراج وكان يضعها في دار الرزق، فكانت الخزائن مملوءة من ذلك[٣]. وكان يعطي قروضاً للتجار إذا ما ارتفعت الأسعار كي يحثهم على المحافظة على سعر السلعة أو بزيادة بسيطة. وإذا ما تحقق ذلك وتوفرت الحاجيات «ارتجع ماله»[٤].

وترك زياد الناس في البصرة أخماساً. أما الكوفة فقد قسمهم إلى أَرباع[٥] بدل الأَسباع. واختار عريفاً لكل قسم يقوم بمهمة

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢١٤؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٧٧، ويرى د. صالح العلي «أن دار الرزق كانت كبيرة جداً حتى لقد سميت قرية ومدينة، وأنها كانت مسورة بسور عال نسبياً، وهذا أمر ضروري لحفظ ما يخزن فيها من السرقة». خطط البصرة، مجلة سومر، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢١٤، ٢١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١)، ص ٢٣٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ج١ ص ٢٤٩٥، ج٢ ص ١٣١: «وكان رؤوس الأرباع يومئذ عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان،=

توزيع الأعطيات على أفراد عشيرته. كما أنه كان مسؤولاً أمام زياد عما يحدث في ناحيته. فيقوم بارسال التقارير بما يحصل فيها أولاً بأول إلى زياد. وكان لهذا النظام مزايا عديدة منها أن زياداً استطاع أن يضبط الأمور في المدينتين برجال من أهلها ولم يضطر لجلب أية قوة من أهل الشام[1] مما زاد في ضمان الإستقرار في أرجاء الإقليم كله. وأصدر زياد أوامره بألاَّ يدخل أو يخرج أحد من الكوفة أو البصرة بعد صلاة العشاء. وأوقع القصاص بالسارق وقاطع الطريق فعمَّ الأمن والطمأنينة بحيث أن المرأة كانت تنام وباب بيتها مفتوحاً، وأن الشيء ليسقط على الأرض فيظل ملقى دون أن يحركه أحد[2]. ونظم العطاء من الديوان فحذف منه أسماء الذين توفوا ومن كان غائباً عن قطره ومن كان عابثاً بالأمن. فكان «إذا جاء شعبان أخرج أعطية المقاتلة فملأوا بيوتهم من كل حُلْو وحامض واستقبلوا رمضان بذلك، وإذا كان ذو الحجة أخرج أعطية الذرية»[3] ويشير البلاذري إلى أنه «كان لكل عيِّل جريبان ومائة درهم، ومعونة الفطر خمسين، ومعونة الأضحى خمسين»[4]. واختار زياد حوالي خمسمائة رجل من أهل البصرة ليعملوا كحرس خاص له وكذلك حماية الأماكن الهامة وأعطى لكل واحد منهم ما

= وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي موسى على مذحج وأسد».

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥ ص ٢٥٠؛ محمد كرد علي: مميزات بني أمية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، عدد XIX ص ٤٥١، سنة ١٩٦٤م.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٧٣ - ٤.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢١٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

بين ثلاثمائة إلى خمسمائة درهم، وأسند قيادتهم إلى شيبان بن عبد الله السعدي فكانوا لا يبرحون المسجد[1].

وبنى زياد مساجد عديدة منها: مسجد بني عديّ، ومسجد بني مُجَاشِع، ومسجد الأَساوِرَة. وكان لا يدع أحداً يبني بقرب مسجد الجماعة مسجداً. فكان مسجد بني عديّ أقربها منه[2]. ويذكر ابن الفقيه «ان زياداً بنى سبعة مساجد فلم يُنسب إليه شيء منها، وأن كل مسجد بالبصرة كانت رحبته مستديرة فإنه من بناء زياد»[3]. وزاد زياد في مسجد البصرة زيادة كثيرة «وبناه بالآجر والجص، وسقّفه بالساج، وبنى منارته بالحجارة»[4].

واهتم زياد بتقدم الزراعة وتنظيم طرق الري: فبنى السدود[5] وحفر القنوات[6]. كما أنه كان يمنح المزارع قطعة من الأرض

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٢١.

(٢) ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي خويه، ليدن ١٨٨٥م، ص ١٩١.

(٣) المصدر السابق والصفحة؛ نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٤٦ - ٧.

(٥) لعل فكرة بناء السدود وتنظيم الري كانت سائدة في أقاليم الدولة كلها. فلا نزال نرى على بعد ستة أميال إلى الشرق من مدينة الطائف سداً بني من حجارة الجرانيت وحدها ويسمى «سدّ ساي سدّ» وقد بني في عهد معاوية (رض) سنة ٥٨ هـ / ٦٧٨ ليساعد على تنظيم الري في تلك المنطقة. راجع: د. عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ٤٨.

(٦) انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٥٦، ٣٦٢ - ٣، ٣٦٩.

الزراعية مساحتها ستين جريباً ثم يدعة عامين فان عمَّرها أصبحت له، وإلاَّ استردها منه، وأعطاها لآخرين ينتظرونها. ولاشك أن زياداً قد اتبع في تنظيمه هذا تلك القوانين التي كان قد سنّها الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)[1].

ولكي يسهل الإتصال بين ضفتي نهر الفرات، فقد أصلح زياد قنطرة الكوفة وأعاد بناءها باللبِّن والطوب المقوّى، بعد أن كانت من أخشاب القوارب المتهالكة. وأصبحت تعرف بعد ذلك بِـ «جسر الكوفة»[2]

أما عن كيفية تصرف زياد في موارد بيت مال الولاية فيشير البلاذري إلى «أن زياداً كان يجبي من كُوَر البصرة ستين ألف ألف، فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين ألف ألف، ويعطي الذرية ستة عشر ألف ألف درهم، وينفق في نفقات السلطان ألفي ألف، ويجعل في بيت المال للبوائق والنوائب ألفي ألف درهم، ويحمل إلى معاوية أربعة آلاف [ألف] درهم، وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف، ويحمل إلى معاوية ثُلثي الأربعة الآلاف ألف لأن جباية الكوفة ثلْثا جباية البصرة». كما أن عبيد الله بن زياد، والذي خلف أباه على ولاية العراق حمل إلى معاوية «ستة آلاف ألف درهم فقال [معاوية]: «اللهم ارض عن ابن أخي»[3].

---

(١) أبو يوسف: كتاب الخراج، ص ١٤٠، طبعة القاهرة، ١٩٧٨ م.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٨٥ ـ ٦.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

ولعل من الأهمية أن ننوه بأن عمل زياد هذا ليس بالشيء الجديد ابان خلافة معاوية(رضي الله عنه). فتشير المصادر إلى أن عمرو بن العاص، والي مصر، كان يرسل فائض جباية مصر، بعد انفاقه على مشاريعها، إلى بيت المال بدمشق، وقد بلغ في إحدى المرات حوالي «ستمائة ألف دينار»[1].

وفيما يتعلق بالإنجازات الحضارية العامة في الدولة فقد قام معاوية بإنشاء وتنظيم ديوان الخاتَم[2]. ويشير الطبري إلى السبب الذي حدى بمعاوية (رضي الله عنه) لإتخاذه هذا الأجراء بقوله: أمر [معاوية] لعمرو بن الزبير في معونته وقضاء دَيْنه بمائة ألف درهم وكتب بذلك إلى زياد بن سُميَّه وهو على العراق ففضّ عمرو الكتاب وصيَّر المائة مائتين. فلما رفع زياد حْسابه أنكرها معاوية فأخذ عمراً بردِّها، وحبسه فأداها عنه أخوه عبد الله بن الزبير فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وحَزْم الكتب ولم تكن تُحْزَم»[3] وعيّن معاوية (رضي الله عنه)موظفين يشرفون على هذا الديوان منهم عبد الله بن مِحْصَن (عمرو) الحِمْيَري[4] وقيل عبيد بن أوس

---

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٢ ـ ٥؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٣، ويورد المقريزي في كتاب الخطط، ج١ ص ٦٤ رواية مفادها: «واعطى مسلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر أهل الديوان اعطياتهم واعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وارزاق الكتبة وحملان القمح إلى الحجاز وبعث إلى معاوية ستمائة ألف دينار فضلاً».

(٢) شبيه بدائرة السجلات أو الأرشيف العام في الوقت الحاضر.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢٠٦. وانظر كذلك: العسكري: الأوائل، ج١ ص ١٥٧ ـ ٨.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢٠٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤ ص ١١.

الغساني[1]. وترى نَجدة خَمَّاش أن كاتب الرسائل «كان أعظم الكتاب نفوذاً لأنه كان مؤتمناً على أمور الدولة وأسرارها»[2]. واتخذ معاوية لهذا الديوان خاتماً رسمياً منقوشاً عليه «لكل عمل ثواب»[3] وفي رواية أخرى أنه كان يحمل نقش: «لا قوة إلا بالله»[4].

وكان معاوية (رضي الله عنه) أول من نظم[5] البريد في أرجاء الدولة الأموية. فبنى لهذا الغرض محطات أو مراكز على الطرق الرئيسية التي يمرّ منها البريد بحيث تبعد كل محطة عن الأخرى بمقدار أربعة فراسخ[6]. ويجعل في هذه المحطات خيلاً وموظفين. فإذا ما وصل صاحب البريد من محطته إلى المحطة التي تليها يستريح ويترك نظيره في تلك المحطة ينطلق للمحطة التي بعدها وهكذا حتى المحطة الأخيرة. ونتيجة لهذا التنظيم أصبح البريد بما يحمله من رسائل وطرود يصل بسرعة وأمان. وصارت أخبار الأقاليم وتقارير الولاة تصل الخليفة أولاً بأول. وكان البريد أيضاً يحمل

---

(١) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢٢٨.

(٢) نجدة خمّاش: الإدارة في العصر الأموي، ص ٣١٢.

(٣) العسكري: الأوائل، ج١ ص ١٥٧.

(٤) المسعودي: التنبيه والاشراف، ص ٣٠٢.

(٥) تشير بعض المؤلفات أن معاوية (رض) كان «أول من وضع البريد في الإسلام». (العسكري: الأوائل، ج١ ص ٣٣١، ابن الأثير: الكامل، ج٤ ص ١٣؛ فيليب حتي: صانعوا التاريخ العربي، ص ٦٩). ولكن هذا خطأ واضح إذ أن المسلمين ورثوا عن البيزنطيين نظماً إدارية شبه متكاملة وكان أن طوروه فقط بما يتلائم وطبيعة المجتمع الجديد هناك.

(٦) لسان العرب، ج ٣، ص ٤٤: الفرسخ: ثلاثة أميال أو ستة.

رسائل أفراد الرعية إلى الخليفة. فيشير الطبري في إحدى رواياته أن عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريداً إلى معاوية أمر مناديه فنادى: «من له حاجة فليكتب إلى أمير المؤمنين»[١].

وكان آخر إجراء تنظيمي داخلي قام به معاوية (رضي الله عنه) قبل وفاته هو مبايعته لولده يزيد بولاية العهد من بعده. وتختلف المصادر فيما بينها حول إتخاذه هذه الخطوة. فبعضهم يرى أنها كانت فكرة عمرو بن العاص أسرّ بها إلى معاوية[٢] والبعض الآخر يرى أنها فكرة المغيرة بن شعبة الثقفي[٣]. ولكننا نرى أن صاحب الفكرة الأساسي هو معاوية (رضي الله عنه) نفسه. فيروي البلاذري أن معاوية (رضي الله عنه) قال مرة: «أنا إن متّ فخليفتي ابني يزيد»[٤] وقال في مناسبة أخرى: «إني أرهب أن أدع أمة محمد ﷺ بعدي كالضأن لا راعي لها»[٥] وبناءاً على هذا عمل معاوية (رضي الله عنه) كل جهده في تنشئة ولده وإعداده للقيام بمهام هذا الأمر من بعده، كما سنرى، إن شاء الله، في سيرة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية[٦].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) ابن أعثم الكوفي: كتاب التاريخ، ج١ ص ١٧١ /أ.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٧٤ ـ ٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٥٠٥.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٣٨، ٤١، ٤٩؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢١٤.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٧٦.

(٦) في مرحلة الإعداد.

الفصل الرابع

سياسة معاوية (رضي الله عنه) الخارجية

(١) العلاقات الإسلامية البيزنطية .

لقد كان فتح القسطنطينية، عاصمة الامبراطورية البيزنطية وأكبر مركز ديني واقتصادي لدول حوض البحر الأبيض المتوسط حُلُماً بالنسبة للمسلمين منذ أن فتحوا بلاد الشام ومصر وأصبحوا قريبين من حدود الدولة البيزنطية. وهذا الأمل حفز المسلمين لكي يقوموا بعمليات حربية نشطة في البر والبحر ضد البيزنطيين، كما سنرى.

ولقد نمت هذه الفكرة وترعرعت في ذهن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) منذ أن كان والياً على بلاد الشام. وكي يحقق فكرته هذه فقد شعر أن عليه أن يدخل معترك السياسة لدول حوض البحر الأبيض المتوسط. ذلك المعترك الذي يتطلب ـ بلا شك ـ قوة بحرية إسلامية كبيرة تكون قادرة على حماية شواطىء بلاد الشام من أي خطر خارجي. ولذا فقد بدأ بترميم وبناء دور صناعة السفن في عكا، وطرابلس، وعسقلان، وصور، وصيدا،وقيسارية، خاصة وأن الأخشاب المناسبة لبناء سفن الأسطول متوفرة بشكل كبير في جبال

لبنان[1]. كما أنه قام بترميم وتشغيل دور صناعة السّفن في السويس والإسكندرية والتي كانت موجودة منذ أيام البيزنطيين. علماً بأنه كان يساعد المسلمين في تشغيل وتصنيع قطع الأسطول هذه خبراء وحرفيون من الأقباط واليونانيين الذين استقروا في بلاد الشام ومصر بعد طرد البيزنطيين من تلك الأقاليم[2]. وما لبث أن تعلّم المسلمون أنفسهم فنون هذه الصناعة وحذقوها. ويعلّق أحد الباحثين المحدثين على ذلك بقوله: «إن العرب استبدلوا بالصحراء والجمل، البحر والمركبة في سرعة مدهشة»[3].

وعلاوة على ذلك، فقد أولى معاوية(رضي الله عنه)الجانب البرّي من حدود بلاد الشام مع البيزنطيين اهتماماً كبيراً. فقد عمل على ترميم وبناء الحصون والقلاع [الثغور] على طول الساحل الشمالي الشرقي لبلاد الشام [بين الاسكندرونة وانطاكية وطرسوس]. وعلى مفارق الطرق الرئيسية المارَّة عبر جبال طوروس والمؤدية إلى بيزنطة حيث توجد مدن رئيسية هامة مثل مَنْبِج[4]، وأَذَنَة[5]، ومَرْعَش[6]؛

---

(١) Ostrogorsky, G., History of the Byzantine States, Transtated by J. Hussey, Oxford, 1956. P.104

بلياييف: العرب والإسلام، ص ٢١٩؛ حتي: صانعوا التاريخ العربي، ص ٧٠.

(٢) Fahmi, M., Muslim Naval Organisation, Cairo, 1966. P.23;

د. صابر محمد دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ٧.

(٣) د. صابر دياب، المصدر السَّابق، ص ١٧ [والرأي للمستشرق الألماني فلهاوزن].

(٤) مَنْبِج: بلدة مشهورة في شمال سوريا. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٠٥).

(٥) أَذَنَة: بلد كان من الثغور قرب المصيصة، وهي اليوم بتركيا في الأناضول وتعرف بأضنة. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ١٣٢).

(٦) مَرْعَش): مدينة كانت من الثغور الشامية، بتركيا اليوم. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ١٠٧).

وَمَلَطْيَـة[1]، وحصن [ممـرّ درب] الحَـدَث[2]، وحصن زِبَـطْرَة[3]، وسُمَيْساط[4].

وحتى يزيد في مناعة وقـوة هذه الثغـور ضد هجمـات البيزنـطيين فقد شحنها معاوية(رضي الله عنه)بقوات من جند المسلمـين أسكنهم فيها مـع عـائلاتهم وأجـرى عليهم العطاء. وكـان على هـذه القـوات أن تمكث هنـاك أطـول فتـرة ممكنـة. ولهـذا عـرفـوا فيـما بعـد: بـالمـرابـطة أو المرابطين[5].

ومـا أن اطمأن معـاويـة(رضي الله عنه)عـلى تجهيـزات قـواتـه البـريـة والبحرية حتّى أخذ يرسل حملات استكشافية واستطلاعية بصورة منتظمة لتغـير على المـواقع البيـزنطيـة. أحيانـاً في فصل الصيف فلهـذا عرفت هذه الحملات بـالصوائف (مفـردها صـائفة) وأحيـاناً أخـرى في فصل الشتـاء فعرفت بـالشواتي (مفـردها شـاتية)[6]. ولعـلَّ معاوية(رضي الله عنه)

---

(١) مَلَطيـة: بلد في بلاد الروم مشهورة. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ١٩٢).

(٢) الحَـدَث: قلعة حصينـة بين ملطيـة وسميسـاط ومـرعش من الثغـور. (يـاقـوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٢٢٧).

(٣) زِبَـطْرة: مدينـة بين ملطيـة وسميساط والحـدث في طرف بلد الـروم. (يـاقـوت: معجم البلدان، ج ٣ ، ص ١٣٠) .

(٤) سُمَيْسـاط: مـدينـة عـلى شـاطىء الفـرات في طـرف بـلاد الـروم عـلى غـربي الفـرات. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٥٨) .

(٥) البلاذري: فتـوح البلدان ، ص ١٦٢ ـ ٣.

(٦) البـلاذري: المصدر السـابق، ص ١٦٢، ويشير الـدكتور ابـراهيم العـدوي (الأمـويـون والبيـزنطيـون، ص ١١٦) أن الصائفـة تبدأ من منتصف شهـر مايـو ـ منتصف حـزيـران =

«استهدف من هذا النظام في تلك الفترة المبكرة ايجاد ميدان يتدرّب فيه الجند الإسلامي على أساليب القتال وإعدادهم للقيام بمشاريع الفتوحات الكبرى فيما بعد»[1] . ويشير الطبري في إحدى رواياته أن أول حملة صيفية برية أرسلها معاوية(رضي الله عنه)ضد الأراضي البيزنطية كانت في سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م . وكانت هذه الحملة تتكون من ألف رجل. لكن الطبري لم يشر بالتحديد للمدينة أو المنطقة التي توجهت إليها[2].

وبعد ذلك طلب معاوية(رضي الله عنه)من الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)الإذن له بالغزو في البحر. وكانت أول وجهة له جزيرة قبرص. وذلك لأهميتها الاستراتيجية في الربط بين سواحل بلاد الشام ومصر، ولاتخاذها قاعدة متقدمة لنشاط الأسطول الإسلامي في البحر الأبيض المتوسط وبحر ايجه ضد الأسطول البيزنطي»[3]. فكتب الخليفة عمر (رضي الله عنه)إلى عمرو بن العاص، واليه على مصر، ليصف له البحر. فردّ عليه عمرو برسالة هوَّل عليه فيها أمور البحر ومخاطره، وقال له: «إني رَأَيتُ خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير، ليس إلّا السماء والماء،

= (فصل الربيع) ثم يستريح الجند ويبدأوا مرة أخرى في منتصف يوليو (فصل الصيف). وكانت هذه الحملات غالباً ما تستغرق ستين يوماً. أما الشاتية فلم تكن تستغرق أكثر من عشرين يوماً وتقع عادة في الفترة ما بين أواخر فبراير والنصف الأول من مارس ولم يقدم عليها المسلمون إلا وقت الضرورة القصوى.

(١) د. إبراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، ص ١١٣.

(٢) الطبري : تاريخ ، ج ١ ص ٢٦٧١.

(٣) د . صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣ ؛ د. الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ١٤٢.

ان ركن خرق القلوب، وان تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلَّة، والشك كثرة، هم فيه كَدود على عود، ان مال غَرِقَ، وان نجا بَرِقَ»[1]. ونتيجة لذلك فقد رفض عمر(رضي الله عنه)طلب معاوية(رضي الله عنه) بحجة أن المسلمين ليس لديهم بعد الخبرة العسكرية الكافية في النواحي البحرية بالمقارنة مع البيزنطيين[2]. وزاد عمر(رضي الله عنه)على ذلك بأن طلب من معاوية(رضي الله عنه)أن يقوم بترميم وتحصين المدن الساحلية مثل صور، وصيدا، وعكا، واللاذقية ويضع فيها الحاميات العسكرية لتحافظ على سلامة وأمن سواحل بلاد الشام[3].

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)(٢٣ ـ ٣٥ هـ / ٦٤٣ ـ ٦٥٥ م) عاد معاوية(رضي الله عنه)يطلب موافقة الخليفة كي يقوم بنشاطه في البحر. فسمح له الخليفة عثمان(رضي الله عنه)شريطة ألّا يجبر أحداً من المسلمين على الاشتراك في هذه الحملات بل يكون الخروج فيها عن رغبة وطواعية. وكتب إليه في ذلك: «لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه»[4]، فما كان من معاوية(رضي الله عنه)الّا أن نفَّذ أوامر الخليفة، وبدأ استعداده للبدء في العمليات البحرية.

---

(١) الطبري: تاريخ ، ج ١ ص ٢٨٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٩٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٨٢٠ ـ ١؛ د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) البلاذريَ: فتوح البلدان، ص ١١٧ ، ١٥٢ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٩٥ ـ ٦ .

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٣ـ ٤؛ الطبري: تاريخ، ج ١ص ٢٨٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ص ٩٥.

وفي شتاء عام ٢٨ هـ / ٦٤٨ م كانت أول حملة بحرية للأسطول الإسلامي. إذ أبحرت السفن من ميناء عكا متجهة نحو جزيرة قبرص ذلك المركز الاستراتيجي الهام للقواعد البحرية البيزنطية في الشرق والتي كانت تهدد باستمرار سواحل بلاد الشام[١]. وكان الأسطول الإسلامي بقيادة عبد الله بن قيس الفزاري[٢].

وتشير المصادر إلى أن المسلمين نجحوا في دخول الجزيرة وتمكنوا من عقد معاهدة صلح مع سكانها تتضمن البنود التالية: أن يدفع أهالي الجزيرة جزية سنوية مقدارها سبعة آلاف دينار. (على أن يستمروا بدفع مثل هذا المبلغ للبيزنطيين وليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك)؛ وأن يخبروا المسلمين بأي هجوم بيزنطي على سواحلهم إذا عرفوا هم عن ذلك؛ وأن يجنّبوا جزيرتهم - بقدر الامكان - أن تكون محطة للأسطول البيزنطي ضد المسلمين؛ وأن لا يقوموا بمساعدة أي عدوّ للمسلمين - بأن يزودوهم بالمعلومات أو بالامدادات - إذا ما دعوا إلى ذلك[٣]. ويشير بسام العسلي إلى بندين آخرين من بنود الاتفاقية، هما: «الا يتزوج أهل قبرص من الروم إلّا بإذن المسلمين، وذلك بهدف اضعاف روابط الروم بأهل

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٨٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٩٦.

(٣) ابن سلّام، أبو عبيد القاسم: كتاب الأموال تحقيق محمد خليل هراس، ط ٣، القاهرة ١٩٨١ ص ١٤٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٣؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٨٣٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٩٦؛ د. دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٢.

الجزيرة؛ وأن يقوم إمام المسلمين بانتخاب بطريق الجزيرة من أهل الجزيرة أنفسهم، وألاَّ يكون رومياً»[1]. وعلى أية حال، فما دامت المصادر الأولية تذكر أن المسلمين لم يتخذوا لأنفسهم قاعدة فوق أرض الجزيرة، ولم يخلّفوا وراءهم حامية تعسكر هناك، وأنهم رجعوا إلى ميناء عكا مكتفين ببنود المعاهدة السابقة[2]، فإنه من الصعب علينا أن نسلّم بحقيقة هذين البندين خاصة وأن تطبيقهما في غياب التواجد الإسلامي فوق أرض الجزيرة يبدو أمراً بعيد الاحتمال.

وفي سنة ٣٢ ـ ٣٣ هـ / ٦٥٢ ـ ٦٥٣ م نقض أهل قبرص شروط معاهدة الصلح السابقة بينهم وبين المسلمين إذ «أعانوا الروم على الغَزَاة في البحر بمراكب أعطوهم إياها»[3]. فرد المسلمون على ذلك بأن أرسلوا حملة بحرية مشتركة من قوات الأسطول الإسلامي في بلاد الشام ومصر في خمسمائة سفينة بقيادة عبد الله بن سعيد بن أبي سرح على الأسطول المصري[4]، وأبي الأعور عمرو بن سفيان السُّلَمي على الأسطول الشامي[5]. وقد نجح المسلمون مرة أخرى في فتح الجزيرة. وأقروا أهلها على شروط معاهدة الصلح السابقة.

---

(١) بسام العسلي: معاوية بن أبي سفيان، ص ٤٤. لكن العسلي لم يحدد لنا مصادره التي أخذ منها تلك المعلومات.

(٢) انظر المصادر المذكورة في الهامش رقم (٣) الصفحة السابقة. راجع أيضاً:

Sir G.F.Hill:, A History of Cyprus, rol. 1. Cambridge 1949, P.234; Finley, G., A History of Greece, Vol. 1. Oxford 1877, P. 374; The Encyclopaedia of Islam, Vol. 1. Leiden, 1913, P.883.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٢ ـ ٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٩٦.

(٥) د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٤.

لكنهم في هذه المرّة اتخذوا لأنفسهم قاعدة فوق أرض الجزيرة. ويروي البلاذري أن معاوية(رضي الله عنه)«بعث إليها باثني عشر ألفاً كلهم أهل ديوان، فبنوا فيها المساجد، ونقل إليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة. وأقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفي معاوية»[1].

وقد شهدت سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ م أعظم وأهم معركة بحرية في التاريخ الإسلامي المبكر بين الأسطولين الإسلامي والبيزنطي. وقد عرفت تلك المعركة بوقعة ذات السَّواري نظراً لكثرة سَواري السفن المشتركة من كلا الطرفين في هذه المعركة[2]. فتشير بعض الروايات إلى أن الأسطول الإسلامي كان مكوناً من مائتي سفينة في مقابل خمسمائة سفينة من الجانب البيزنطي[3]. بينما ترى روايات أخرى أنه كان هناك خمسمائة سفينة للمسلمين، أما للبيزنطيين فقد كان هناك سبعمائة سفينة[4]. وكان الأسطول البيزنطي بقيادة الامبراطور قسطنطين الثاني. أما الأسطول الإسلامي فقد كان بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح يساعده بُسر بن أرطأة الفهري قائد وحدات المشاة الإسلامية[5].

وقد اختلف المؤرخون في تحديدهم مكان هذه المعركة. فبعضهم يرى أنها وقعت في ثغر فونيكية غربي مدينة الاسكندرية

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ١٥٣.

(٢) المقريزي: الخطط ، ج ١ ص ٢٩٩.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٠، المقريزي: الخطط، ج ١ ص ٢٩٩.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٨٦٥ ـ ٧ ؛ المقريزي: الخطط، ج ١ ص ٢٩٩.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ١٩٠.

(قرب مدينة مرسى مطروح)[1]، وبعضهم يرى أنها كانت «من ناحية سواحل المغرب»[2]. بينما يشير آخرون إلى أنها حدثت «على شواطىء تونس»[3]، أو أنها دارت «بالقرب من الساحل الافريقي في الفرضة المسمَّاة فرضة زيواره»[4]. ولكن إذا ما أخذنا بعين الاعتبار طموح معاوية الأساسي ألا وهو الوصول إلى مدينة القسطنطينية وفتحها، فاننا لا نعدو الحقيقة إذا ما وافقنا الآراء التي تشير إلى أن معركة ذات السواري قد حصلت قرب خليج فوينكس Phoenix على ساحل ليكيا Lycia في آسيا الصغرى (جنوب غرب تركيا حالياً)[5].

وقد اختلف المؤرخون كذلك في الدوافع الأساسية لهذه المعركة ووضعوا لأجل ذلك تعليلات عدة منها: ان البيزنطيين كانوا يحاولون وقف زحف الجيوش الإسلامية المتجهة نحو القسطنطينية لا سيما بعد فتح جزيرة قبرص. أو أن البيزنطيين قاموا بها كي يحاولوا وقف زحف المسلمين باتجاه الشمال الافريقي[6]. وفي الجانب الآخر: نرى

---

(١) د. سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ط ١، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٨٤.

(٢) د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج ١ الإسكندرية ١٩٧٩ م ، ص ١٦٣ .

(٣) د. عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، بيروت ١٩٨١ م،ص ٤٧ .

(٤) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ١، القاهرة، ١٩٦٤ م ، ص ٢٦٢.

(٥) راجع : د. ابراهيم العدوي: الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٣٨؛ د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧ ؛ د. الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ١٤٢ ؛

Encyclopaedia Britanica, Vol. 1. Chicago 1972, P.607, Vol. 14, P.461; Yusuf, Abbas Hashmi: Dhat al-Sawari, The Islamic Quarterly, Vol. VI, N° 1 and 2, 1961, pp. 55 - 64 .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ص ١١٧ - ١١٨.

أن هناك من يشير إلى أن المسلمين قاموا بها من أجل احباط محاولة بيزنطية للاستيلاء على ميناء الاسكندرية[1]. أو أن غرضهم «كان النزول إلى ساحل ليكيا واقتطاع أشجار السّرو لبناء السفن»[2]. ولكن هذا السبب ـ الأخير ـ يعتبر واهياً إذا ما عرفنا أن غابات الأخشاب الصالحة لبناء السفن كانت توجد بكثرة في جبال لبنان وسوريا. كما أنها كانت موجودة بكثرة في مصر[3]. ولعلّ في انتشار دور صناعة السفن في كل من مصر وبلاد الشام دليلاً قوياً على توفر مصادر كافية للأخشاب هناك.

وعندما التقى الأسطولان في عرض البحر، وبدأت المعركة، اتبع المسلمون طريقة فريدة تنمّ عن خبرة واسعة في فنون الحرب. فقد حولوا المعركة من بحرية إلى برية وذلك بأن ربطوا السفينة الإسلامية إلى جانب السفينة البيزنطية بواسطة السلاسل فتحولت أرضية المعركة وكأنها منبسط من الأرض. واشتبك جنود الطرفين فوق سطح المراكب بالأسلحة التقليدية من سيوف، وخناجر، وسهام، ورماح، ونشّاب وغيرها. وكانت نتيجة المعركة في صالح المسلمين إذ حققوا انتصاراً باهراً. وحطموا قوة الأسطول البيزنطي.

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج ١ ص ٢٨٦٧ ؛
Ostrogorsky, Op. cit., P. 104; Finley., Op. cit., Vol. 1. p.377; The Encyclopaedia of Islam, Vol. 1.P.876.

(٢) د. حوراني، جورج فضلو : العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ١٨٥ .
د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٢٧ ؛

(٣) د. فيليب حتي: صانعوا التاريخ العربي، ص ٧٠؛ د. دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٧ ؛
Fahmi, M., OP. cit., P.76.

أما الامبراطور البيزنطي قسطنطين بن هرقل فقد هرب من أرض المعركة إلى جزيرة صقلية. وهناك اتهمه رعاياه بالخيانة وقتلوه[1].

أما عن الرجال المقاتلين في الجانب الإسلامي فقد كان جلّهم من العرب المسلمين. وكان يقع على عاتقهم عبء القتال الحقيقي. وكانوا بذلك يتميزون عن أفراد رعايا الدولة الإسلامية الآخرين مثل الاقباط وغيرهم الذين كانوا يعملون كحرفيين وملاحين ومهنيين وعمال سواري ومجدفين وما إلى ذلك من الأعمال العادية غير الحربية، خاصة وأن خبرة المسلمين في شؤون البحر والملاحة كانت لا تزال في بدايتها كما يشير بذلك الطبري في إحدى رواياته[2].

وأما عن النتائج المباشرة لمعركة ذات السواري فتتمثل في أنها أنهت عصر السيادة البيزنطية في شرق البحر الأبيض المتوسط[3] فاطمأن المسلمون إلى أن هجمات البيزنطيين المفاجئة على شواطئهم قد أصبحت بعيدة الاحتمال. فنعموا بالأمان والهدوء على طول الساحل الإسلامي. كما أن نتيجتها تتمثل في أن الطريق نحو

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٠؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٨٦٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ١١٨؛ بسام العسلي: معاوية بن أبي سفيان، ص ٤٥ - ٦.

(٢) الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٢٨٦٥ - ٧٠؛ وانظر كذلك: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٨٩ - ١٩٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٧ - ١١٨؛ جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ١٨٣ - ٤؛ د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ١٢، ١٤.

(٣) د. ابراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، ص ١٠٦؛ د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٣٠.

القسطنطينية قد أصبح ممهداً أمام القوات الإسلامية لتواصل زحفها لفتح المدينة. لكن التطورات التي وقعت داخل الدولة الإسلامية والمتمثلة في مقتل الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)وما تبعه من خلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما أدت ليس فقط إلى توقف الزحف الإسلامي تجاه القسطنطينية بل وأجبرت معاوية على أن يهادن البيزنطيين أنفسهم، ويدفع لهم جزية سنوية[1] حتى يستطيع أن يتفرغ للاعداد والتنظيم الداخلي لولايته. وظل الأمر كذلك حتى تولى معاوية(رضي الله عنه)الخلافة في سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م.

وبتولي معاوية(رضي الله عنه)الخلافة، دخلت العلاقات الإسلامية البيزنطية مرحلة أخرى تميزت بتصعيد العمليات الحربية بين الطرفين وذلك لأن معاوية عاد من جديد إلى محاولاته لتنفيذ مخطط من أجل الوصول إلى القسطنطينية وفتحها. فأخذ يرسل حملات متكررة ومنتظمة لتغير على مواقع البيزنطيين مرة أو مرتين في العام الواحد. ففي سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م بعث معاوية(رضي الله عنه)حبيب بن مسلمة الفهري على رأس إحدى الصوائف فأغار على مواقع للبيزنطيين لكن هذه الحملة لم تسفر عن شيء[2]. وفي سنة ٤٣ - ٤٤ هـ / ٦٦٣ - ٤

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص٢١٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٨ - ١٦٠؛
Oman, C.W., The Byzantine Empire, London, 1915, P.115; Ostrogorsky, Op. Cit., P. 105;
د. الباز العريني: الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤٣؛ محمد كرد علي: خطط الشام، ج ١، ص ١٤٢، دمشق ١٩٢٥ م: صالح معاوية الروم على «مائة ألف دينار».

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢٣٩. وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٢ ص ١٩٠: «وكان حبيب بن مسلمة الفهري يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله عليهم».

قاد عبد الرحمن بن خالد بن الوليد إحدى الشواتي وتوغل في الأراضي البيزنطية ووصل حتى كْلودْيُوبُولِيس وقضى الشتاء هناك. ثم سار متوجهاً نحو أنقيرة حيث قابله الجيش البيزنطي عند بحيرة كاراليس. وعندما فشل عبد الرحمن في فتح أي من الجزر هناك تقدم نحو قلعة سِيلِيوس ولكن حصاره للقلعة كان فاشلاً أيضاً فتركها وتحول إلى قلعة سِبْري حِصَاري، شمال عَمُّورية، وهاجم جزيرة كِيُوس ومدن بيرغامون وأَزْمِير على الشاطىء الغربي لاسيا الصغرى. وما لبث بعد أن وصل إلى هذا العمق في الأراضي البيزنطية أن عاد مرة أخرى إلى حمص حيث توفي هناك في سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م [١].

وفي سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م قاد مالك بن عبد الله الخثعمي صائفة توغل فيها في بعض الأراضي البيزنطية واستطاع مالك أن يحرز بعض الانتصارات عليهم. كما حصل على بعض الغنائم. وتشير المصادر أن مالكاً وزع حصة جنده بينهم عند مكان سميّ فيما بعد بِـ «رَهْوَة مالك» وهو على بعد خمسة عشر ميلاً من مركز الحدود في الحدث في اقليم الجزيرة[٢]. ونتيجة للانتصارات التي حققها مالك في حملاته ضد البيزنطيين أطلقت عليه المصادر لقب: «مالك الصوائف» كنوع من التكريم له[٣].

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢٣٩؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٦٧، ٨١ ـ ٢؛ فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢ ص ٤٢؛
Cambridge Medieval History, Vol. 2. Cambridge 1936, P.396.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٠؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢٤٠؛ د. ابراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، ص ١١٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٠؛ د. ابراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، ص ١١٤.

وفيما بين سنتي ٤٧ ـ ٤٨ هـ / ٦٦٧ ـ ٨ م بعث معاوية(رضي الله عنه) سرايا من قواته لتغير على الأراضي البيزنطية لتمهد الطريق في سبيل الوصول إلى القسطنطينية فتمكن مالك بن هُبَيرة السكوني من قضاء الشتاء في الأراضي البيزنطية[١]. بينما تمكن عبد الله بن كُرْز البَجَلي من التوغل في الأراضي البيزنطية فوصل حتى خَرْشَنَه[٢] وقضى الشتاء فيها. أما فضالة بن عبيد اللّيثي الأنصاري فقد وصل حتى مدينة جَرَبَّه[٣] وقضى فصل الشتاء هناك. كما أن عبد الرحمن القيني ذهب في حملة شتوية ضد الأراضي البيزنطية[٤].

ولقد شهدت سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩ م أول حصار إسلامي لمدينة القسطنطينية ذلك أن نجاح قوات المسلمين في توغلهم في الأراضي البيزنطية بالاضافة إلى الصراعات الداخلية التي واجهها الامبراطور قُنسطانز الثاني نتيجة تمرد اثنين من قادته هما سيليوس وميزيريوس[٥] كل ذلك ساعد معاوية(رضي الله عنه) على أن يبعث قواته في البر والبحر بقيادة كل من فضالة بن عبيد الليثي وسفيان بن عوف العامري يساعدهم يزيد بن شجرة الرهاوي، تجاه القسطنطينية[٦].

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص٢٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٥٥.

(٢) خَرْشَنَة: بلد قرب ملطية من بلاد الروم. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٣٥٩).

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٥٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ١١٨: «جَرَبّه: قرية بالمغرب.....».

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢٤٠؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٨٥.

(٥) يشير الدكتور ابراهيم العدوي إلى أن الامبراطور قنسطانز الثاني قد قتل وجاء بعده ابنه قسطنطين الرابع والملقب: «ذو اللحية» Pogonatos لأنه أرخى لحيته؛ ص ٧٩؛ Ostrogorsky, op.cit.pp. 110 — 111

(٦) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٨٦ ـ ٧.

ووصل الأسطول الإسلامي إلى خلقيدونية ـ ضاحية من ضواحي القسطنطنية على البر الآسيوي ـ وحاصرها توطئة لاقتحامها في محاولة لاختراق المدينة من تلك الناحية . لكن انتشار مرض الجدري وفتكه بكثير من جند المسلمين علاوة على حلول الشتاء القارس جعل ظروف الجيش المحاصِر صعبة للغاية. فما كان من فضالة بن عبيد الليثي، قائد الجيش البري، الّا أن استنجد بمعاوية طالباً منه أن يمدّه بقوات اضافية. فأرسل معاوية(رضي الله عنه)مدداً من الجيش يضم بين أفراده نخبة مختارة من الشخصيات الإسلامية أمثال: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنهم[1]. وكان القائد العام لهذه الفرقة هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. وعندما وصل يزيد بقواته إلى خلقيدونية انضم إلى الجيش المرابط هناك. وزحفوا جميعهم نحو القسطنطينية وعسكروا خلف أسوارها ضاربين عليها الحصار حوالي ستة أشهر (من الربيع إلى الصيف). وكان يتخلل هذا الحصار اشتباكات بين أفراد القوتين. وأبلى يزيد في هذا الحصار بلاءاً حسناً، وأظهر من ضروب الشجاعة والنخوة والاقدام ما حمل المؤرخين على أن يلقبوه بِـ « فتى العرب»[2]. وكادت القوات الإسلامية أن تحرز انتصاراً لولا أنهم واجهوا صعوبات جمة منها: الشتاء الغزير المطر والبرد القارس مما أدّى إلى نقص الطعام والأغذية، وتفشي الأمراض بينهم. كما كان لمناعة

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ، ص ١٥٩ (ومعه العبادلة. . . .)؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٥٨ ـ ٩ .

(٢) د. إبراهيم العدوي: الأمويون والبيزنطيون، ص ١٦٤.

أسوار القسطنطينية أثرها في تراجع المسلمين واجبارهم مرة أخرى على العودة إلى بلاد الشام[1].

وفي أثناء حصار المسلمين للقسطنطينية، أرسل معاوية(رضي الله عنه) حملة بحرية من مائتي سفينة إلى صقلية بقيادة معاوية بن حديج السكوني، واليه على افريقيا، وقد تمكن معاوية بن حديج من النزول فوق أرض الجزيرة وفوّت على البيزنطيين فرصة استخدامها، مرة ثانية، كقاعدة انطلاق أو مركز إمدادات لاساطيلهم باتجاه السواحل المصرية أو الشامية[2].

وفي سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م قاد جنادة بن أبي أمية الغساني حملة بحرية إلى جزيرة رودس وتمكن من فتحها. وقد أمر معاوية(رضي الله عنه) جنادة أن يُنزل أرض الجزيرة «قوماً من المسلمين»[3]. ففعل جنادة ذلك. ويروي الطبري أن هؤلاء القوم من المسلمين، الذين نزلوا الجزيرة، قد استوطنوا فيها «وزرعوا واتخذوا بها أموالاً ومواشي يَرْعَونها حولها، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن ولهم ناطورٌ يحذرهم ما في البحر ممَّن يريدهم بكَيْد فكانوا على حَذَر منهم، وكانوا أشد شيء على الروم، فيعترضونهم في البحر فيقطعون سُفُنَهم، وكان معاوية يُدرّ لهم الأرزاق والعطاء، وكان العدو قد خافهم»[4]. ويشير

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٥٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٤ ـ ٥؛ د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٤ ـ ٥.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٥٧.

البلاذري إلى أن معاوية (رضي الله عنه) أرسل إلى جزيرة رودس فقيهاً يدعى «مجاهد بن جبر يقريء الناس القرآن»[1].

أما حصار المسلمين الثاني للقسطنطينية فقد بدأ في سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م. وقد تمكن الأسطول الإسلامي بقيادة عبد الله بن قيس الحارثي التجيبي يعاونه كل من فضالة بن عبيد الليثي ويزيد بن شجرة الرهاوي [وهما من أبرز قادة الحصار الأول الذي سبقت الاشارة إليه] من عبور بحر ايجة وتقدموا حتى تمكنوا من فتح جزيرة أرواد (سزيكوس)[2] على الساحل الجنوبي لبحر مرمرة، فاتخذوها قاعدة لعملياتهم العسكرية هناك. واخذوا يشنّون منها غاراتهم على مدينة أزمير وساحل خليج قليقيا وتمكنوا من الاستيلاء عليها. كما أن فرقاً من الجيش البري الإسلامي تمكنت من اختراق خطوط البيزنطيين الدفاعية وزحفت باتجاه أسوار القسطنطينية. وقد تمكنت الجيوش الإسلامية من قضاء فصلي الشتاء لسنة ٥٦ و ٥٧ هـ / ٦٧٦ و ٦٧٧ م في جزيرة سزيكوس وقرب أسوار القسطنطينية نفسها[3].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٥. وانظر ترجمة حياته في: البخاري: كتاب التاريخ الكبير، قسم ١، ج ٤ ص ٤١١، المطبعة الإسلامية بتركيا ١٣٧٨ هـ؛ الجزري، شمس الدين محمد: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، ص ٤١ ـ ٢ تحقيق ونشر، ج. برجستراسر، القاهرة ١٣٥٢ هـ.

(٢) يروي البلاذري: (فتوح البلدان، ص ٢٣٥) أن معاوية (رض) «أسكنها قوماً من المسلمين وكان ممن فتحها مجاهد بن جبر وتُبَيع بن امرأة كعب الأحبار، وبها أقرأ مجاهد تبيعاً القرآن. . . . وارواد جزيرة بالقرب من القسطنطينية».

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٦؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٦٣؛
Baynes, N., The Byzantine Empire, London 1925, P.49; Oman, C., Op.cit., P.170; Ostrogorsky, op. cit. P.111.

وفي سنة ٥٨ هـ / ٦٧٨ م تمكن مالك بن عبد الله الخثعمي من دخول بعض المناطق في الأراضي البيزنطية وقضى شتاء تلك السنة هناك[١].

وفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٩ م قاد عمر بن الحُباب السُّلَمي حملة بريّة ضد مدينة كَمْخ (كَمَاخ)[٢]، على نهر الفرات وتمكن من فتحها. وقد ساعد هذا الفتح على تأمين الطريق إلى أرمينية من أي هجمات بيزنطية متوقعة. كما ساعد في اشغال وحدات من الجيش البيزنطي في هذه الناحية، وحال دون تمكينها من مساعدة اخوانهم المحاصرين في القسطنطينية[٣].

وقد دام حصار المسلمين لمدينة القسطنطينية مدة تقارب الست أو سبع سنوات (٥٤ ـ ٦٠ هـ / ٦٧٤ ـ ٨٠ م). ورغم طول هذا الحصار وشدته وبسالة جيش المسلمين المرابط هناك إلاَّ أنه فشل في النهاية لعدة أسباب رئيسية منها: موقع القسطنطينية الجغرافي الذي ساعد في اعطائها حصانة طبيعية. ثم هبوب العواصف الشديدة قرب سواحل بامفيليا مما أفقد الجيش الإسلامي الكثير من أفراده وسفنه. وهناك أسباب أخرى جانبية أثرت في تراجع الجيش الإسلامي منها: ان البيزنطيين نجحوا في الالتفاف حول وحدات من الجيش البري الإسلامي وتمكنوا من قطع خطوط الامدادات عليهم

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢٤٠؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٨١ ؛ ابن الأثير: الكامل: ج ٣ ص ٥١٥.

(٢) كَمْخ: مدينة بأرض الروم لها حصن. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٤٧٩).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٣ ـ ٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٥٢٦.

مما أثّر في مقدرتهم على الاستمرار[١]. كما أن البيزنطيين استخدموا النار الاغريقية في دفاعهم عن المدينة. وهذا المستحضر، الذي لم يكن معروفاً من قبل، عبارة عن خليط من النفط مع الفوسفور يعبأ في سلندرات أو أنابيب، أو كرات حديدية يقذفها المحاربون فتشتعل حال ارتطامها بأي جسم صلب. ويعزي اكتشافه إلى مهندس اغريقي يدعى كاللينيكوس Callinicus والذي سبق أن أقام في سوريا قبل الفتح الإسلامي لها ثم هاجر إلى القسطنطينية[٢].

وتشير المصادر الغربية إلى أن معاوية(رضي الله عنه)عندما شعر بعجز جنده عن فتح القسطنطينية عقد معاهدة صلح مع البيزنطيين مدتها ثلاثون عاماً يدفع لهم بموجبها ضريبة سنوية مقدارها ثلاثة آلاف قطعة ذهبية ويبعث لهم بخمسين شخصاً من المسلمين كرهائن يحتفظون بها عندهم ويرسل لهم خمسين حصاناً عربياً[٣]. ولا نستطيع الأخذ بهذه الروايات إذ لم تتحدث عنها المصادر العربية القديمة من قريب أو بعيد. وكل ما تخبرنا به المصادر العربية القديمة[٤] أن معاوية(رضي الله عنه) توفي فجأة في شهر رجب سنة ٦٠ هـ / ابريل ٦٨٠ م والجيش الإسلامي ما يزال معسكراً خلف أسوار القسطنطينية وأن يزيداً تولّى

---

(١) Muir, W., The Caliphate, 2nd ed. (Khayyats) Beirut, 1963, p. 313 - 314; Clark, E., History of Turkey, New York, 1878, P.29; Oman, C., Op. cit. P.170, Vasilieve, A.A., History of the Byzantine Empire, Vol.1. Wiscounsin, 1964, P. 214; Sounders, J.J., A. History of Medieval Islam London, 1965, PP. 38.69.

(٢) Clark, E.,: Op. Cit. P. 29; Gilman, A. The Saracens, London 1890, P.292.

(٣) Gilman, A., OP. cit. p.293; Finley, op. cit. vol. 1.p. 284; Ostrogorsky, op. cit. p.112; Baynes, op. cit. p.215; Oman, op. cit. p.171; Hill, Gi.F.; op. cit, Vol.1. P.286.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٥٢ ـ ٣ ، ٢٣٥.

الخلافة بعد والده. لكنه ـ أي يزيد ـ واجه مشاكل داخلية عديدة (منها رفض أهل المدينة ومكة اعطاء البيعة له) فوجد نفسه عاجزاً عن ارسال أية امدادات إلى جيوش المسلمين مما اضطره إزاء ذلك إلى اصدار أوامره للجيش الإسلامي المحاصِر للقسطنطينية وللحاميات الإسلامية في كل من رودس وقبرص وكمخ بالقفول والعودة إلى بلاد الشام إذ أن يزيداً كان في حاجة إلى جند موال له يرابط في دمشق. ومع ذلك يشير البلاذري إلى أن أهالي جزيرة قبرص استمروا بدفع الجزية للمسلمين[1].

هذا، وقد كان لتراجع الجيش والأسطول الإسلامي عن القسطنطينية صدى واسعاً في العالم الغربي في ذلك الوقت، مما حدى بمؤرخيهم أن يعتبروه حدثاً عالمياً هاماً. وصنعوا من قسطنطين الرابع بطلاً عالمياً مشهوراً لأنه تمكن ليس فقط من انقاذ الامبراطورية البيزنطية بل انقاذ أوروبا بأسرها من الوقوع تحت النفوذ الإسلامي في ذلك الزمن المبكر.

كما أن الامبراطور البيزنطي نفسه قد استفاد فائدة كبرى من هذا التراجع. فقد جاءته الوفود من بلاد الفرنجة والخزر للتهنئة، كما تقرب إليه اعداؤه القدماء من الآفار والصقالبة في شبه جزيرة البلقان مدلّلين على حسن نواياهم تجاهه وآملين في بدء علاقات طيبة بينهم وبينه[2].

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٥٣ ـ ٤.

(٢) Ostrogorsky, Op. cit, P.112; Oman, op.cit. p. 171; Vasilieve, op. cit. p.215; Hussey, J., The Bazantine World, London 1957, P.26;

د. السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية، بيروت ١٩٨٢م ،ص ١٥١ .

ولعلّ من المفيد قبل أن نختم هذا البحث أن نشير إلى أنه في أثناء الحروب والغارات بين المسلمين والبيزنطيين، في عهد معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)، كان هناك طرف ثالث يشارك في النزاع القائم بينهما، يطلقون على أنفسهم اسم «الجُرَاجِمَةَ» نسبة إلى مدينة «الجُرَجُومَة»[1] وأصولهم غير معروفة. ويشير البلاذري إلى أنهم كانوا يدينون بالنصرانية وانهم كانوا لذلك يتبعون «بطريق أنطاكية ووالياها»[2]. وعندما فتح المسلمون بلاد الشام أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري حبيبَ بن مسلمة الفهري «فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام، وأن لا يُؤخَذوا بالجزية، وأن يُنَفَّلوا أسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين إذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم»[3].

ولكن الجراجمة لم يلبثوا أن نقضوا اتفاقهم هذا، وصنعوا حاجزاً بين المسلمين والبيزنطيين واستطاعوا عرقلة سير الفتوحات الإسلامية في آسيا الصغرى. ويشير البلاذري إلى ذلك بقوله: «فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرَّة ويَعْوجُّون أخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم» ولعل لموقفهم المتذبذب هذا، ولتخوف معاوية(رضي الله عنه) من ناحيتهم ما أجبره على أن يصالحهم «وأن يؤدي إليهم مالاً وارتهن منهم رهناء

---

(١) الجُرَجُومة: مدينة على جبل اللكام بالثغر الشامي فيما بين بياس، وبوقا قرب انطاكية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ١٢٣).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٨.

وضعهم في بعلبك»[1]. كي يأمن جانبهم قبل مسيره إلى صفِّين.

ويرى فيليب حتّي أن جماعات الجراجمة تفرقت داخل لبنان منذ سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م وأصبحوا نواة التفت حولها جماعات الموارنة[2]. ولعلّ من المفيد أن نشير هنا إلى أن الأسطول البيزنطي كان قد استغل فرصة انشغال معاوية(رضي الله عنه)بحملته على القسطنطينية في سنة ٥٧ هـ / ٦٧٧ م فعمل على نقل فئات من الجراجمة من مدينة الجرجومة وأنزلهم قرب مرفأي صور وصيدا[3] وذلك كي يعملوا على اشغال المسلمين هناك. وقد بقيت هذه الجماعات شوكة في ظهر الجيوش الإسلامية ليس في عهد معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)ولكن حتى عهد عبد الملك بن مروان[4] (٦٥ ـ ٨٦ هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) . ثم ما لبثت أن تفرقت في بلاد الشام وآسيا الصغرى فخفَّ خطرها.

وعلى أية حال، فلا بد من القول بأن الانشاءات والمجهودات التي قام بها معاوية(رضي الله عنه)في سبيل الوصول إلى القسطنطينية وان كانت لم تثمر خلال حياته إلاّ أنها لعبت دوراً أساسياً في حَفْز من جاؤ وا بعده من الخلفاء لأن يكملوا المسيرة التي بدأها.

*** . . . *** . . . ***

---

(١) البلادري: فتوح البلدان ، ص ١٥٩.
(٢) فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، ج ١ ص ٢٦٩.
(٣) د. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢ ص ٥٢.
(٤) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(ب) الفتوحات الاسلامية في شمال افريقية :[1]

لقد كان الزحف الإسلامي بإتجاه شمال افريقيا (المغرب) ضرورياً لدعم مسيرة الفتح ونشر الإسلام بالدرجة الأولى، ثم لأجل تأمين حدود مصر الغربية ضد أي هجوم برّي قد يقوم به البيزنطيون الذين كانوا يسيطرون على الشمال الأفريقي في ذلك

---

(١) نعني هنا بمصطلح الشمال الأفريقي تلك المنطقة التي تشمل اليوم دول ليبيا، وتونس، والجزائر والمغرب. أما زمن الفتوحات الإسلامية الأولى (القرن الأول الهجري) فكانت المنطقة كلها تعرف باسم افريقية وان اختلف المؤرخون في تعريف حدودها. فيرى البكري أن «حد افريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان» (ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٢٢٨). أما ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها، ص ١٧٠ - ١، ١٨٣، والبلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٣، ٢٢٩ فقد أفردا بحثاً خاصاً عن فتح افريقية في كتاباتهما وميزاها بذلك عن فتح كل من برقة وطرابلس. وينقل ياقوت الحموي عن أبي الريحان البيروني قوله: «إن أهل مصر يسمّون ما عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب، ولذلك سميت بلاد افريقية وما وراءها بلاد المغرب. يعني أنها فرقت بين مصر والمغرب» (ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٢٢٨). ثم ما لبث هذا المصطلح أن تغيّر في القرون اللاحقة (القرن السابع الهجري) فينقل ياقوت: «وحّد افريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية وقيل إلى مِلْيانة» (معجم البلدان، ج١ ص ٢٢٨). أما ابن أبي دينار فقد حدّد ما يعنيه هذا اللفظ بقوله: «وعند أهل العلم إنْ أُطلق اسم افريقية فإنما يعنون بلد القيروان». (المؤنس في تاريخ افريقية وتونس، ص ١٤) راجع أيضاً: د. عبد العزيز السالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت ١٩٦٣م ص ١٧ هامش رقم ٢.

الوقت. فمن أجل ذلك أخذ عمرو بن العاص (فاتح مصر ووالیها) منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يرسل فرقاً من الجيش بقيادة عقبة بن نافع الفهري (ابن خالته) لتغير على برقة وطرابلس. فنجحوا في مهمتهم وصالحهم أهلها على مال يؤدونه للمسلمين[1]. وإزاء هذه الانتصارات كتب عمرو للخليفة عمر (رضي الله عنه) راجياً السماح له بالاتجاه غرباً. لكن عمر (رضي الله عنه) ـ بعد استشارة أصحابه ـ رفض طلب عمرو، وقال: «لا يغزوها أحد ما بقيت»[2]. ولربما يعود سبب رفض عمر (رضي الله عنه) لطلب عمرو أنه: «رأى بعد هذا التمدد العريض حاجة المسلمين إلى فترة من الهدوء يثبّتون فيها أقدامهم، فتستقرّ بهم الأرض، وتدين لهم الأطراف، ويكونون على ثقة مما يستدبرون إذا أقدموا»[3].

أما الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فسمح لواليه على مصر، عبد الله بن سعد بن أبي سرح في سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م باستكمال مسيرة الفتح ونشر الإسلام في شمال افريقيا. وزاد على ذلك أن أمدَّه «بألف بعير يُحمل عليها ضُعَفاء الناس، وفتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين»[4] وكان في الجيش الذي أرسله الخليفة

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٧٠ ـ ١، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٣ ـ ٦، اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٣٤٦.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٧٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٥.

(٣) د. شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، بيروت ١٩٧٤م، ص ١٥٧.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١ تحقيق ليفي بروفنسال، ليدن ١٩٤٨م، ص ٩.

عثمان (رضي الله عنه) عدد من الشخصيات الإسلامية المشهورة، أمثال: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن أبي بكر ولهذا عرفت هذه الغزوة في المصادر بـ «غزوة العبادلة»[1] وكان على رأس هذه الإمدادات الحارث بن الحكم[2] أخو مروان بن الحكم والذي كان بدوره هو الآخر مصاحباً للحملة.

وما أن وصلت هذه الإمدادات إلى مصر حتى سار بهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح (بعد أن استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني) إلى برقة، حيث انضم إليه عقبة بن نافع الفهري والذي كان مرابطاً هناك بقواته منذ أيام الفتح الأول مع عمرو بن العاص. ومن ثمَّ توجه عبد الله بن سعد وعقبة ومن معهما نحو سُبَيطِلَة[3]. وهناك اشتبكوا مع البيزنطيين في معركة عَقُوبَة[4] قرب سبيطلة. وكانت الغلبة للمسلمين في هذه المعركة وتمكنوا من قتل جَرْجِير حاكم سبيطلة ودخلوا المدينة فتفاوض أهلها مع ابن أبي سرح وصالحوه على مال يؤدونه وقَبِل ذلك منهم ورجع إلى مصر

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠؛ المالكي، محمد بن أبي عبيد الله: رياض النفوس، ج١ تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥١م، ص ١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج١ ص ٣٠٩.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص ١٨٣، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ٩.

(٣) سُبَيطِلَة: مدينة من مدن افريقية بينها وبين القيروان سبعون ميلاً. (ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص ١٨٧).

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٦.

«ولم يولّ عليهم أحداً ولم يتخذ بها قيروانا [1]

وعلى الرغم من نجاح المسلمين في دخول برقة وطرابلس ووصولهم حتى سُبيطلة إلّا أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا مراكز استيطان دائمة هناك. ثم ان الإضطرابات التي حصلت في شرق الدولة الإسلامية (مثل مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) والخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما) أجبرت قادة الفتح في شمال افريقيا على التوقف نظراً لعجز السلطة المركزية عن امدادهم بالرّجال والمال. وظلت الحال كذلك حتى تولّى معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) الخلافة في سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م.

وفي تلك السنة (٤١ هـ) أمر معاوية (رضي الله عنه) عمرو بن العاص، واليه على مصر، بالغزو في الشمال الأفريقي ومناهضة البيزنطيين هناك. فرتّب عمرو بن العاص قواته ووضعها تحت إمرة عقبة بن نافع الفهري. ومن ثمَّ انطلق عقبة من قاعدته في برقة إلى لوبية[2] ومَراقية[3] وتمكن من فتحها. فدانت له قبائل لُواتَه،

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٨٣ ـ؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٦ ـ ٨؛ أبو زرعة الدمشقي: تاريخ، ج١ ص ١٨٥؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٦٥؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٢٨١٨؛ المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ١١ ـ ١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٩٠ ـ ١؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٢٢٩.

(٢) لوبِيَة: مدينة بين الاسكندرية وبرقة. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥ من ٢٥).

(٣) مَرَاقِيَة: بلدة بين الاسكندرية وافريقية، قبل لوبية. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ٩٤).

وهُوَّاره، وزَنَاته البربرية[1]. وتمكن عقبة كذلك من فتح مدينة غدامس[2] في سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م.

وفي سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م انطلق عقبة بن نافع بإتجاه لَبده[3]، وتمكن من فتحها[4] لكنه لم يمكث هناك طويلاً بل رجع إلى مصر إثر سماعه بنبأ وفاة عمرو بن العاص[5]. وخَلَف عمرو ابنه عبد الله على ولاية مصر ثم عيَّن معاوية (رضي الله عنه) أخاه عتبة بن أبي سفيان ولكنه ما لبث أن عزله وولّى عليها عقبة بن عامر الجهني في سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م.

وفي حوالي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥م اختار عقبة بن عامر أحد أهالي بلدة خِرْبِتا ويدعى معاوية بن حُديج السكوني عاملاً على الأقاليم المفتوحة في الشمال الأفريقي. وما أن وصل معاوية بن حديج إلى برقة حتى أخذ في تجهيز نفسه والإستعداد للغزو. فتجمع لديه حوالي عشرة آلاف مقاتل. ثم سار بهم حتى عسكروا

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٦، الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤١٩.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٢٠٥، ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤١٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ١٥: ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ١٨٧: غدامس: مدينة بالمغرب أهلها بربر يقال لهم تناوريَّة.

(٣) لبدة: مدينة بين برقة وافريقية وقيل بين طرابلس وجبل نفوسه. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص١٠)

(٤) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٢؛ المقريزي: خطط، ج١ ص ٢٠١.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٨٠، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢٨، ابن عبد البر: الإستيعاب، ج٣ ص ١١٨٨، ابن حجر: الإصابة، ج٣ ص ٣، المقريزي: خطط، ج١ ص ٣٠١.

في مكان يسمَّى القَرْن[1]. قرب مدينة القيروان. علماً بأن مدينة القيروان نفسها لم تكن قد انشأت بعد وكان موضعها «غير مسكون ولا معمور»[2] فعليه يكون معاوية بن حديج السكوني أول من فكَّر في إتخاذ مقرّ دائم لجند المسلمين في شمال افريقيا. وظل معاوية يتخذ من القرن مركزاً له ولجنده «حتى خرج إلى مصر»[3] حوالي سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧م إثر اختيار معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) له لتولّي الإمارة هناك. والغالب أن ذلك كان لقاء الخدمات التي قدَّمها معاوية بن حديج وجماعته من أهل خربتا أثناء استيلاء عمرو بن العاص على مصر سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م[4].

وعلى أية حال، أنجز معاوية بن حديج أثناء ولايته على الشمال الأفريقي عدة فتوحات هامة. فقد أرسل عبد الله بن الزبير إلى مدينة سُوسَة[5]. وتمكن ابن الزبير من أن يهزم نِقْفُور حاكم المدينة البيزنطي. فدخلها المسلمون. كما بعث عبد الملك بن مروان في ألف رجل إلى جلولاء[6]. وتمكن عبد الملك من دخول

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٣، المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ١٨، ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٣٣٣: قَرْن: جبل بافريقية.

(٢) المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ١٩.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٣، د. شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي، ص ١٦١.

(٤) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ١٦، ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص ٣٨٢ سوسة: بلد بالمغرب. وقيل: من القيروان إلى سوسة ستة وثلاثون ميلاً.

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٣، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ١٦، ١٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ١٥٦: جلولاء: مدينة مشهورة بافريقية، بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً.

المدينة. وسار معاوية بن حديج نفسه إلى بنزرت[1] فدخلها. كما أنه بعث عقبة بن نافع الفهري في أربعمائة فارس وأربعمائة جَمَّال فتمكنوا من فتح ودَّان[2]، وجأْوان، وقَفْصة[3]. وكان فتح هذه المدن يعني أن أقاليم فزان[4]، وقسطيلية[5] قد دانت للمسلمين. وفي سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م أرسل رُوَيفع بن ثابت الأنصاري إلى جَرَبَّة فتمكن من فتحها[6]. وفي حوالي تلك السنة أيضاً قاد معاوية بن حديج حملة بحرية مكونة من حوالي مائتي سفينة ضد جزيرة صقلية. وتروي المصادر أن معاوية بن حديج تمكن من النزول على أرض الجزيرة حيث مكث هناك شهراً، عاد بعدها إلى افريقية[7]. وقد كان لنزول معاوية بن حديج وقائده عبد الله بن

---

(١) بِنْزَرت: مدينة بافريقية، بينها وبين تونس يومان. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٤٩٩.

(٢) ودَّان: مدينة بافريقية. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٦٥.

(٣) قَفْصَه: بلدة صغيرة في طرف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاث أيام. ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٣٨٢. انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٦.

(٤) فَزَّان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٢٦٠. وانظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٥.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٦. ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٣٤٨، ج٢ ص ٥٧ ـ ٨: قسطيلية: كورة افريقية من عمل الزاب الكبير بالجريد.

(٦) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٢٠٨، المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٥٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ١١٨: جَرَبَّة: قرية بالمغرب قرب قابس.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٤، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ١٨؛ د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج١ ص ١٧٣، د. عارف الدوري: صقلية، بغداد ١٩٨٠، ص ٢١ ـ ٤.

قيس بن مخلد الدرقي في جزيرة صقلية أهمية كبرى ذلك أنه فوَّت على البيزنطيين فرصة استخدامها مرة ثانية كقاعدة انطلاق أو مركز امدادات لإساطيلهم بإتجاه السواحل المصرية أو الشامية[1]. وبعد أن حقق معاوية بن حديج كل تلك الانتصارات، قفل راجعاً إلى مصر دون أن يخلّف على افريقية أحداً[2]. على أن عقبة بن نافع الفهري ظل يرابط في المناطق المفتوحة بقواته دون أن تكون له صفة الوالي.

وفي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م اختار معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) عقبة بن نافع الفهري والياً على الشمال الأفريقي. ويعلّق أحد المؤرخين المحدثين على هذا التعيين بقوله: «والظاهر أن معاوية بن أبي سفيان عرف للرَّجل جهاده وحسن بلائه بالمغرب في سبيل الإسلام فكافأه بأن جعل له قيادة الجيش العربي (الإسلامي) بعد أن ظل قائداً مرؤوساً لمدة طالت إلى أكثر من خمس وعشرين سنة»[3].

وكان أول عمل قام به عقبة بعد اختياره والياً على شمال افريقية أن شرع في بناء وتأسيس قاعدة ثابتة يقيم فيها جند المسلمين بصورة دائمة. وينطلقون منها لنشر الإسلام في تلك البقاع بدل عودتهم بين الفينة والأخرى إما إلى الفسطاط أو إلى

---

(١) د. صابر دياب: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٤: الدوري: صقلية، ص ٢٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٦.

(٣) د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج١ ص ١٨٣.

برقة. وتشير المصادر أن عقبة ـ وهو صاحب خبرة طويلة في علاقاته مع البربر وشؤونهم ـ شعر بالحاجة الماسة لإقامة مثل هذه القاعدة للمساهمة في نشر الإسلام بين القبائل البربرية. ذلك أن «أهل افريقية كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم، نكثوا وارتد من أسلم منهم»[1] كما أن المصادر تشير أن عقبة «لم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه قبله ولذلك يركب والناس معه حتى يأتي موضع القيروان اليوم»[2]

أما عن موقع مدينة القيروان، فقد اختاره عقبة بعيداً عن البحر حتى يكون في مأمن من هجمات البيزنطيين البحرية المفاجئة[3]. على أنه لم يتوغل في اختياره للموقع كثيراً نحو الداخل «خشية البربر»[4] كما أن عقبة فَضَّله قريباً من مناطق الرعي الخصبة والتي يمكن استغلالها في تنمية الزراعة والثروة الحيوانية[5]. وتشير المصادر إلى أن مكان القيروان «كان وادياً كثير الشجر، كثير القطف»[6] مما يدل على خصب المنطقة. ويستدلّ من استنتاجات

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٦٥، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ١٩ ـ ٢٠؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٤٢٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٦.

(٣) المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٦، ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٤٢١.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ٢٠؛ د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج١ ص ١٨٤.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٩٣، المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٦ ـ ٩؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٤٢١.

(٦) ابن عبد الحكم، ص ١٩٦، وانظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٧.

المؤرخين المحدثين أن عقبة «قبل أن يبدأ البناء رأى أن ينظف المكان مما فيه من الحشائش والأشواك فأطلق فيه النار»[1]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحيوانات المفترسة والحشرات، التي كانت تملأ المكان، ما أن أحسَّت بلهيب النار حتى فزعت هاربة من الموضع[2].

وما أن انتهى عقبة من بناء مدينة القيروان (سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤م) حتى بدأت تصبح مركزاً حضارياً لنشر الإسلام، ومركزاً إدارياً لجند المسلمين وأصبحت في تكاملها تضاهي البصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر. ويصف ابن الأثير مدى الأثر الذي خَلَّفه تأسيس مثل تلك القاعدة بقوله: «ودخل كثير من البربر في الإسلام، واتسعت خطة المسلمين، وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها»[3].

ولكن عقبة لم يمكث في منصبه طويلاً ليقطف ثمار جهوده. فقد عُزل في نفس تلك السنة (٥٥ هـ / ٦٧٤ م) عن ولاية افريقية. وتروي المصادر التاريخية أن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) عَزَل معاوية بن حديج عن ولاية مصر وعيَّن مَسْلَمة بن مَخْلَد

---

(١) د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج١ ص ١٨٥؛ بسام العسلي: عقبة بن نافع، بيروت ١٩٧٧، ص ٥٥.

(٢) د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج١ ص ١٨٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٦٦.

الأنصاري بدلاً عنه. ووضع افريقية تحت إمرته كذلك[1]. فما كان من مسلمة إلّا أن عَزَل عقبة وعيَّن أبا المهاجر دينار، مولاه، بدلاً منه. ولا تعطينا المصادر سبباً واضحاً يوجب عزل عقبة، ولكننا نستطيع أن نستنتج من روايات المؤرخين المتعددة أن سبب ذلك ربما يعود لشدة عقبة في معاملته لجماعات البربر المختلفة في شمال افريقية[2].

وغادر أبو المهاجر دينار الفسطاط يصحبه جند من أهل الشام ومصر[3]. وما أن وصل مدينة القيروان (٥٥ هـ/ ٦٧٤ م) حتى قبض على عقبة وقيَّده، وأساء معاملته، وسجنه بضعة أشهر ثم أطلقه بناءاً على توسط الخليفة معاوية(رضي الله عنه). فذهب عقبة إلى دمشق للعيش فيها[4].

ولم يلبث أبو المهاجر في منصبه طويلاً حتى تحركت ضده جماعات البربر بقيادة كُسَيلَة بن لَمْزَم الأَوْرَبِي (زعيم قبيلة أَوْرَبَة البربرية) في مدينة تِلِمْسَان. وتمكن أبو المهاجر من أَسْر كسيلة الذي أعلن اسلامه فاستبقاه أبو المهاجر عنده[5]. وبعد ذلك سار

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٧، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٩٣ - ٤؛ ابن عذاري، ج١ ص ٢٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٦٤ - ٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٦٥ ج ٤ ص ١٠٥ - ٨؛ الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج١ ص ٤٦ - ٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١ ص ١٩، ٢٤، ٢٦، ٢٩.

(٣) المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٢٠.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٧؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢٢٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ٢٢.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ٢٩.

أبو المهاجر وكسيلة سويّاً نحو مدينة قرطاج وذلك في سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨م «فحارب أهلها حرباً كثر فيها القتلى بين الفريقين. ثم صالحهم على أن يخلو له الجزيرة «جزيرة شريك بين سوسة وتونس» وكان قد أرسل حنش بن عبد الله الصنعاني لفتحها فوافق البيزنطيون على شروط أبي المهاجر[١]. كما تمكن أبو المهاجر أثناء فترة ولايته من فتح مدينة مِيْلَة [٢] ومدينة بِجَايَة[٣].

وفي أثناء فترة ولايته على افريقية (٥٥ - ٦١ هـ / ٦٧٤ - ٦٨٠ م) عمل أبو المهاجر على بناء قاعدة أخرى للحامية الإسلامية هناك. وذلك على أنقاض قرية بربرية قرب مدينة القيروان كانت تسمَّى بِـ «دكرور[٤] أو تكرور». وزاد على ذلك أن أمر الناس بإخلاء قيروان عقبة وهجرها وسكنى قيروانه هر[٥]. ولكن المصادر لا تزودنا بأية معلومات وافية حول هذه الخطوة واسبابها. ولعل أبا المهاجر كان يهدف من وراء ذلك إلى التقرب من افراد جماعته

---

(١) المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٢٠، د. شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، ص ١٦٦؛ د. محمد محمد زيتون: الفتح الإسلامي لشمال افريقية، مجلة المؤرخ العربي، عدد ١٦ قسم ١، بغداد ١٩٨١م، ص ٦٥.

(٢) مِيْلَه: مدينة صغيرة بأقصى افريقية. ياقوت: (معجم البلدان، ج٥ ص ٢٤٤) وانظر: خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٢٢٦.

(٣) بِجَايَة: مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب: (ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٣٣٩).

(٤) المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٢٠.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٧؛ ابن عذاري؛ ج١ ص ٢٢.

من البربر. ويعطي أحد المؤرخين المحدثين رأيه في هذه المسألة فيقول: «ولكن الأكثر احتمالاً أن أبا المهاجر كان يتوجّس من الإقامة في القيروان بسبب ما قام به ضد عقبة. ولربما كان يخشى أن يجابه بنوع من المقاومة من قبل القبائل العربية وبشكل خاص، فِهْر، عشيرة عقبة، التي كانت تسكن على مقربة من دار الإمارة. يضاف إلى ذلك، فإن أبا المهاجر، كما يبدو، قد حاول تجنب إجبار جيشه على سكنى القيروان مع أهاليها الأصليين، ولهذا فقد كان الحلّ المناسب هو البقاء خارج المدينة [1].

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى رواية مغلوطة يزودنا بها ابن عبد الحكم تشير إلى أن أبا المهاجر دينار كان أول من أسس قاعدة ثابتة للجند الإسلامي في شمال افريقية. فهو يقول: «وكان الناس قبل أبي المهاجر يغزون افريقية ثم يقفلون منها إلى الفسطاط. وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصارأقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلاً [2] على أنه من الثابت أن معاوية بن حديج السكوني كان أول من فكّر في ذلك (كما بيّنا) وعقبة بن نافع كان أول من نَفَّذ. أما دور أبي المهاجر فلم يأتِ إلاّ متأخراً.

ولعلّ من الأهمية بمكان أن نشير إلى الغموض الذي يكتنف شخصية أبي المهاجر دينار. فإن المصادر التاريخية لا تعطينا فكرة

---

(١) د. طه، عبد الواحد ذنون: الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقية والأندلس، بغداد ١٩٨٢م ص ١٢٤.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٧.

واضحة عنه سوى أنه كان مولى لمسلمة بن مخلد الأنصاري. ولعل مسلمة اختاره كوال على الشمال الافريقي لثقته التامة فيه، وليدلل على حسن المعاملة في الإسلام وعلى أن الناس كلّهم سواسية في الإيمان سواء أكانوا عرباً مسلمين أو أجناساً أخرى من غير العرب. ونستدل من هذا الإختيار كذلك على أن الموالي قد تمتعوا بمكانة مرموقة في العصر الأموي، بعكس ما تصوّره لنا بعض الأقوال[1].

أما كيف عرفنا أن أبا المهاجر كان من الموالي وأنه كان أيضاً غير عربي فقد جاء ذلك على لسان مسلمة بن مَخْلَد نفسه حين قال: «إنّ أبا المُهاجِر، كأحدنا، صبر علينا في غير ولاية، ولا كبير نَيْل! فنحن نحبّ أَن نكافيه ونصطنعه!»[2] وهذا يصوّر لنا علاقة أبي المهاجر الوثيقة بمولاه.

ويرى الدكتور حسين مؤنس أن أبا المهاجر قد يكون من موالي النوبة في مصر[3]. ويبدو لي أن الدكتور مؤنس مصيبٌ بعض الشيء فيما ذهب إليه لأن البلاذري يشير في إحدى رواياته إلى أن «قرى من مصر قاتلت عمرو بن العاص (أيام فتح المسلمين لبلاد النوبة) فسبى منهم، والقرى: بِلْهِيت والخَيْس،

---

(١) حتّي، فيليب: العرب (تاريخ موجز)، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٣ - ٤؛ الخربوطلي، د. علي حسني: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص ١٥٧ - ١٨٩.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب: ج ١ ص ٢٢.

(٣) د. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ١٥٨.

وسُلْطَيْس ، فوقع سَبْيهم بالمدينة، فردّهم عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) وصيَّرهم وجماعة القبط أهل ذمَّة»[1] ولعلَّ أبا المهاجر كان واحداً من هؤلاء.

وبالمقابل، فإن رأي الدكتور مؤنس يفسح المجال أمامنا لأن نشير إلى أن أبا المهاجر دينار قد يعود في أصوله إلى البربر. ونستدل على ذلك إذا ما نظرنا إلى معاملة أبي المهاجر القاسية لعقبة (قيَّده وسجنه) أول وصوله مدينة القيروان[2] (٥٥ هـ / ٦٧٤م) علماً بأننا لا نجد في المصادر التاريخية أي تعليل لمثل تلك التصرفات. كما لا تشير المصادر إلى أية علاقة سابقة بين الرَّجُلَين. ولكن إذا أَخذ المرء بالروايات التي ترد في المصادر التاريخية الأولية حول المواقف المتشددة التي كان يتخذها عقبة ضد البربر أثناء تواجده في شمال افريقيا[3]، فمن السهل عليه أن يتصوّر أن إجراءات أبي المهاجر ضده إنما جاءت كردّ فعل لتصرفات عقبة مع البربر، بني جلدة أبي المهاجر.

وظل أبو المهاجر والياً على الشمال الأفريقي حتى سنة ٦٢ هـ / ٦٨٢م حيث أعاد يزيد بن معاوية (والذي خلف والده بعد وفاته سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠م) عقبة بن نافع الفهري والياً هناك بدل

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٤ ـ ٢١٥، ٢٣٦ ـ ٨.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٦٦، ابن عذاري، ج١ ص ٢٢.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٦٤ ـ ٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٦٥، ج٤ ص ١٠٥ ـ ٨؛ المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٢٤ ـ ٧، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ١٩، ٢٤ ـ ٢٩.

أبي المهاجر. وما أن وصل عقبة لمدينة القيروان حتى أعاد الناس لسكناها ثم قبض على أبي المهاجر وقيده وسجنه، ثم عفا عنه بعد ذلك وأصحبه معه في جميع غزواته (لعلّه يريد أن يراقبه). ولكن في سنة ٦٣ هـ / ٦٨٢م تحرك كُسَيلة بن لَمْزَم الأَورَبي ضد عقبة وتمكن من قَتْله وقَتْل أبي المهاجر معه إثر اشتباكه معهما في معركة تَهُوذَه[١] قرب بسكرة من ارض الجزائر. ولعلَّ في قتل كُسَيلة لأبي المهاجر، رغم الودّ بينهما[٢]، اجراءاً للتخلّص من منافس له من بني قومه، وليصفو له الجوّ في زعامة البربر.

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٨ ـ ٩، المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٢٦ ـ ٧؛ ابن الأثير: الكامل: ج٤ ص ١٠٥ ـ ٨، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١ ص ٢٨ ـ ٣٠.

(٢) المالكي: رياض النفوس، ج١ ص ٢٥ «كان صديقه».

(جـ) الفتوحات الاسلاميّة في أواسط آسيا:

لقد بدأ الفتح الإسلامي المنظَّم في هذه الناحية إبان فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان[1](رضي الله عنه). فقد عهد عبد الله بن عامر بن كُرَيز والي معاوية على البصرة وما يتبعها في خراسان وسجستان إلى قيس بن الهيثم السُّلَمي بقيادة حامية خراسان سنة ٤١ هـ / ٦٦١م. وهناك واجه قيس ثورة في باذغيس، وهَرَاة، وبُوشَنْج، وبَلْخ. فتحرك قيس لمواجهتهم وسأله أهل بَلْخ الصلح ومراجعة الطاعة، فصالحهم قيس[2].

وفي سنة ٤٢ ـ ٣ هـ /٦٦٢ ـ ٣م عيَّن ابن عامر، عبد الرحمن بن سَمُرة بن حَبيب بن عبد شمس والياً على سجستان. فأتاها وعلى شرطته عبَّاد بن الحُصَين الحَبَطي ومعه من الأشراف عمر بن عبيد

---

(١) فيما يختص بالمعلومات التاريخية عن الحملات الموجهة إلى اواسط آسيا قبل فترة خلافة معاوية(رضي الله عنه)انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٠٢ ـ ١٦، ٣٣٤، ٣٩٨، ٤٠٢ ـ ٤١٣؛ الطبري: تاريخ، ج١ ص ٢٥٦٩، ٢٦٥٩، ٢٦٨٣ ـ ٤، ٢٨٦٣ ـ ٨٨، ٢٨٩٨ ـ ٩٠٠، ٢٩٠٤ ـ ٧، ٣٢٤٩، ٣٣٨٩ ـ ٩٠؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ١٩٠ ـ ٢؛ د. شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي، ص ١٨٩ ـ ٢٠٨، Gibb, Sir H.A.R. The arab Conquests in Central Asia, London, 1924. pp. 2 — 18.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٨ ـ ٩؛ Gibb, op cit, p. 16

الله بن مَعْمر التيمي، وعبد الله بن خازم السُّلمي، وقطري بن الفجاءة، والمهلب بن أبي صفرة الأزدي ففتحوا في هذه الحملة مدينة زَرَنْج[1] صلحاً ووافق مرزبانها على دفع ألفي ألف (مليوني) درهم، وألفي وصيف»[2]. ثم تقدموا نحو مدن خُواش[3]، وبُسْت[4]، وخُشَّك[5]، ورَزَان[6]، ثم الرُّخَّج[7]. وتمكنوا من فتحها. كما تمكنوا من فتح مدينة كابل بعد أن ضربوا عليها حصاراً استمر لعدة أشهر[8]. وما لبث أن جعل معاوية(رضي الله عنه) إقليم سجستان ولاية مستقلة وأمّر عليها عبد الرحمن بن سمرة كمكافأة له على تحقيقه مثل تلك الفتوحات[9]. وظل عبد الرحمن والياً عليها حتى قدم زياد بن أبي سفيان البصرة معيناً عليها بدل عبد الله بن عامر، والذي عزله معاوية (رضي الله عنه) عنها في سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥م وذلك لإمكانياته الإدارية المحدودة[10]. وعادت

---

(١) زَرَنْج: مدينة كبيرة، هي قصبة سجستان. (ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص ١٣٨).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٩٣.

(٣) خُواش: مدينة بسجستان بها نخل واشجار وقُنيٌّ ومياه. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ٣٩٨).

(٤) بُست: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة وهي كثيرة الأنهار والبساتين. (ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٤١٤).

(٥) خُشَّك: بلدة من نواحي كابل قرب طخارستان. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ٣٧٣).

(٦) رَزَان: بلدة بسجستان. (البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٩٥).

(٧) الرُّخَّج: كورة من نواحي كابل. (ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص ٣٨).

٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٩٥.

٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٩٦.

١٠) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب. (ص ١٥٥ - ٦).

ولاية خراسان وسجستان مرة أخرى تحت اشراف والي البصرة.

وعند وصول زياد البصرة سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥م قسم خراسان أربعة أقسام إدارية مستقلة كاجراء تنظيميّ، وعيَّن على كل قسم ممثلاً ينوب عنه هناك؛ وهذه الأقسام هي: مرو وعليها أُمَير بن أَحمر اليشكري والذي كان أول من أسكن العرب في مروِ[١]؛ نيسابور (أَبْرَشَهْر) وعليها خُلَيد بن عبد الله الحنفي؛ مرو الرُّوذ والطالَقان والفارياب وعليها قيس بن الهيثم السُّلمي؛ هَراة وباذغيس وبوشَنج وقادِس وعين عليها نافع بن خالد الطاحي الأزدي[٢].

وفي سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م عمل زياد على جعل السلطة المركزية في خراسان في مدينة مرو (القاعدة الأساسية فيها) وعين عليها الحكم بن عمرو الغِفاري «وكان عفيفاً وله صحبة»[٣]. ويرى سايكس أن زياداً اتخذ مثل هذا الاجراء لأنه شعر بأن هناك بعض بذور الشغب ممَّن يدَّعون القومية الفارسية والذين كانوا يعتقدون أنه يمكنهم الاعتماد على مقدرات طخارستان الوفيرة[٤].

وقد قام الحكم بن عمرو الغفاري إبان فترة ولايته (٤٧ -

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٧٩؛ د. حسين عطوان: الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، ط١، عمان ١٩٧٤م، ص ٣٣ - ٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٩.

(٤) Sykes, Sir P., A History of Afghanistan, vol.1. London, 1940, P.160.

٥٠ هـ / ٦٦٧ ـ ٦٨٠ م) بعدد من الحملات المنظمة لفتح مناطق طخارستان السفلى وغرشستان. فقاده هذا لأن يعبر نهر جيحون، فكان أول من صلّى وراء النهر»[١]. وتمكن من دحر بيروز بن يزدجرد الثالث والذي هرب إلى الصين ناجياً بنفسه. وتشير المصادر إلى أن الحكم بن عمرو الغفاري وأسلم بن زرعة الكلابي قد جمعا أموال الجزية والخراج من تلك النواحي فأرسلا خُمسها إلى بيت المال في دمشق ووزَّعا الأربعة أخماس الباقية بين المسلمين[٢].

وقد توفي الحكم بن عمرو الغفاري في سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، فخلفه الصحابي الجليل غالب بن فضالة الليثي والذي واصل سياسة سلفه في ارسال حملات منظمة لفتح طخارستان. ولكنه، رغم كل الجهود التي بذلها لم يحرز أي تقدم يذكر في ولايات طخارستان[٣]، لذلك عزله زياد وولّى مكانه الربيع بن زياد الحارثي (٥٠ ـ ٥٣ / ٦٧٠ ـ ٦٧٣ م). ويرى البلاذري أن زياداً «حوَّل معه (إلى خراسان) من أهل المِصْرَين زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم. كان فيهم بُرَيدَة بن الحُصَيب الأسلمي أبو عبد الله، وبمرو توفي في أيام يزيد بن معاوية. وكان فيهم أيضاً أبو بَرْزَة الأسلمي عبد الله بن نَضْلَه وبها مات. وأسكنهم دون النهر»[٤].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٩؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٨١ ـ ٤ .

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٩٢؛ ابن اعثم: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٧٠ / أ .

(٣) ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٧٠ / أ.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٩.

ويعلّق الدكتور علي حسني الخربوطلي على هذا الاجراء بقوله: «ولا شك أن معظمهم من شيعة الكوفة الذين أراد زياد التخلّص من معارضتهم الدائمة»[1]. ولكن يبدو لي أن في هذا الرأي بعض الاجحاف. فلعل زياداً اتخذ هذا الاجراء لشعوره بأهمية خراسان كثغر من ثغور المسلمين، وليضمن المحافظة على المناطق المفتوحة هناك والعمل على تثبيت سلطان المسلمين فيها[2]. ولا يستطيع زياد تحقيق ذلك إلا بجماعة من المسلمين يطمأن إلى حماسهم الديني وولائهم للدولة، وليس بجماعة أخرجهم ليتخلّص منهم كما يرى الخربوطلي.

ويعلّق أحد المؤرخين المحدثين على خطوة زياد تلك بقوله: «وما من شك أن هجرة خمسين ألفاً بعيالاتهم كان عملاً منظماً يستر وراءه كثرة من الأهداف البعيدة، سواء في ذلك تأمين ما كان من فتوح، أو أقلمة هذه القبائل حتى تستطيع أن تنفذ إلى الفتوح الأخرى التي تستشرف إليها أو تعويض ما كان من خسارة الجند في المواقع المتصلة، أو نثر بذور التعريب والإسلام أو كل ذلك جميعاً»[3].

وقد استطاع الربيع بن زياد إبان فترة ولايته على خراسان أن

---

(١) د. الخربوطلي : تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص ٢٩٨.

(٢) لقد عرف الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) أهمية خراسان أيضاً. فقال: «وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إليَّ ولا أعظم عندي من ثغر خراسان». الطبـري: تاريخ، ج ٢ ص ١٣٦٦.

(٣) د. شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، ص ٢٠٦.

يغزو بَلْخ فصالحه أهلها، ثم غزا قوهستان ففتحها عنوة. ثم ان ابنه عبد الله، الذي خلفه لبضعة أشهر من عام ٥٣ هـ / ٦٧٢ م قطع نهر جيحون وعقد صلحاً مع آمل وزم. ثم عاد إلى مرو[١]، قاعدة انطلاقهم، كما كان يفعل والده من قبل.

وتوفي عبد الله بن الربيع في سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢ م وخلفه خُلَيد بن عبد الله الحنفي في إدارة الاقليم. وظل خليد في منصبه هذا حتى وصل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان، عامل معاوية (رض) المعيَّن على خراسان في سنة ٥٤ ـ ٥٥ هـ / ٦٧٣ ـ ٧٤ م. وكان عبيد الله ابن خمس وعشرين عاما[٢]

وما أن وصل عبيد الله إلى مرو حتى قاد حملة مكونة من أربعة وعشرين ألف رجل[٣] وقطعوا نهر جيحون على الإبل[٤]، وفتحوا رامِيثَين ونَسَف وبيكند. ثم تقدم نحو بخارى وتمكن من هزيمة جند بخار خودا. وقد اختار عبيد الله حوالي ألفي شخص من أهالي بخارى «كلّهم جيّد الرَّمي بالنِّشاب»[٥] وأرسلهم إلى البصرة حيث عملوا هناك كشرطة خاصة، (حرس خاص) له وذلك حين عيَّنه معاوية والياً على البصرة في سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م،

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٩.
(٢) البلاذري: المصدر السابق والصفحة ؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٦٨.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٩.
(٤) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢٢٢ ؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٦٩ «فكان هو أول من قطع إليهم جبال بُخارا في جند».
(٥) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٦٩.

وفرض لهم الأعطيات[1].

وبعد أن حقق عبيد الله وجنده تلك الانتصارات، استسلمت لهم ملكة بُخَار خُودَا وعقدت اتفاقية صلح معهم «فصالحها على ألف ألف، ودخل المدينة[2]، وفتح رامدين[3] وبيكند[4].

وفي سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م قدم أَسلم بن زرعة الكلابي خزاسان والياً عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان بدلاً عن عبيد الله بن زياد والذي ندبه معاوية لولاية البصرة. وظل أسلم في ولايته مدة تقارب السنة. توجَّه بعدها سعيد بن عثمان بن عفان والياً معيناً من قبل الخليفة معاوية (رضي الله عنه)على خراسان. وكان يصحبه في هذه المَّرة، اسحاق بن طلحة بن عبيد الله عاملاً للخراج، على أن يكون تابعاً في سلطاته للإدارة المركزية في البصرة ودمشق. لكن اسحاق لم يلبث أن توفي في الرَّي وهو في طريقه إلى مرو[5]، قاعدة خراسان. ولما كان أَسلم بن زرعة الكلابي قد غدا بدون ولاية، ولا يزال في خراسان، فقد عهد إليه معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)بولاية خراجها.

وتروي المصادر التاريخية أن سعيداً بن عثمان بن عفان قد اصطحب معه إلى خراسان حوالي أربعة آلاف رجل فيهم عدد من

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٠.

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٠.

(٣) رامدين : مدينة في بلاد الصّغد تنسب إلىَ بيكند. (البلاذري: فتوح، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠) .

(٤) بيكند: بلدة بين بخاري وجيحون. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٥٣٣) .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج ٢ ص ١٧٨.

مشاهير رجالات القبائل العربية في البصرة والكوفة. كما كان من ضمنهم حوالي خمسين عابثاً وقاطعاً للطريق من أمثال مالك بن الرَّيِّب المازني التميمي والذي كان يسطو على القوافل التجارية من مكانه في بطن فَلْج (حفر الباطن اليوم) على الطريق المتفرع من طريق البصرة اليمامة[1]. ولعلَّ هؤلاء رجعوا إلى رشدهم، وفضلوا الجهاد في سبيل الله على تلك المهنة الوضيعة. ويروي ابن أعثم الكوفي أن سعيداً وزّع حوالي أربعة ملايين درهم على أفراد جيشه، كان قد أخذها من بيت مال البصرة بناء على أوامر معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)[2].

وعندما وصل سعيد إلى مرو، عبأ جنده، وسار برجاله فاتحاً، فعبر نهر جيحون وظل يتقدم حتى وصل إلى مدينة سمرقند. فقاتل أهلها ثلاثة أيام، حتى طلبوا الصلح فوافقهم على سبعمائة ألف درهم، وأن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم وعلى أن يدخل المدينة ومن شاء يخرج من الباب الآخر. فأعطوه خمسة عشر من أبناء ملوكهم[3]. ومن ثم تقدم سعيد نحو مدينة ترمذ[4]. وكانت تتمتع

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٢٠٠؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٧٨ ـ ٩؛ ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٧٦ / أ؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٢٧٢؛ د. عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ٨٩.

(٢) ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٧٦ / أ.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٠ ـ ١١؛ وعند الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٧٩: «وَأعطَوه رُهُناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم».

(٤) ترمذ: مدينة مشهورة من امهات المدن. راكبة على نهر جَيحون من جانبه الشرقي. (ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦).

بموقع استراتيجي على الطريق التجاري من الشمال إلى الجنوب[1]، ففتحها سعيد صلحاً.

ويشير البلاذري إلى أن سعيداً «احتال لشريكه في خراج خراسان فأخذ منه مالاً، فوجه معاوية (رضي الله عنه) من لقيه بحلوان، فأخذ المال منه، وكان شريكه أَسلم بن زُرْعَة. وكان معاوية (رضي الله عنه) قد خاف سعيداً على خلعه ولذلك عاجله بالعزل»[2].

وبعد ذلك، رجع سعيد بن عثمان إلى المدينة المنورة وبصحبته بعض من أبناء الصّغد. فألزمهم سعيد «السقي والسواني والعمل»[3]، فكان أن ظهر أثرهم في تنمية الثروة الزراعية في المدينة نظراً لخبراتهم السابقة في بلادهم.

وفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ م عيَّن معاوية (رضي الله عنه) عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان والياً على خراسان. وبعث معه قيس بن الهيثم السلمي عاملاً على الخراج. وما أن وصل عبد الرحمن إلى خراسان حتى قبض على أَسلم واسترد منه حوالي ثلاثمائة ألف درهم[4]. وظل عبد الرحمن بن زياد في ولايته حتى توفي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) في سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠ م.

ومن جهة أخرى، تمكن المسلمون في عهد معاوية (رضي الله عنه)

---

(١) Gibb. Op. cit. P. 19 - 20

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٤١١.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٣؛ الطبري: تاريخ ، ج ٢ ص ١٨٩.

من بسط نفوذهم إلى ما وراء حوض نهر السِّند. ففي سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند فأتى بَنَّة[١]، ولاهور وهما بين المُلْتان[٢] وكابل. وهناك واجهه حوالي «ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة، فقاتلهم وقتلهم جميعاً»[٣].

أما في مستهل سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م فقد أرسل والي البصرة عبد الله بن عامر: عبد الله بن سوَّار العبدي إلى ثغر السند على رأس حملة قوامها أربعة آلاف رجل. ولما وصل ابن سوار إلى مدينة مُكْران، بقي هناك أربعة أشهر يعدّ نفسه وجنده للحملة المرتقبة. ثم تقدم وجماعته نحو بلاد القيقان[٤]، وفتحها. وكانت هديته إلى معاوية (رضي الله عنه) «خيلاً قيقانية»[٥] سلَّمها بنفسه إليه في الشام «فأصل البراذين القيقانية من نسل تلك الخيل»[٦]. وعلى أية حال، فلم يدم المقام لابن سوَّار طويلاً في ثغر السِّند فقد قتلته جماعة من الترك هناك في سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م [٧].

وفي سنة ٤٨ هـ / ٦٦٨ م اختار زياد بن أبي سفيان، سنان بن

---

(١) بَنَّة: مدينة بكابل (أفغانستان). ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٥٠٠.

(٢) الملتان: مدينة من نواحي الهند قرب غزنة. أهلها مسلمون. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ١٨٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣١. « محذوفة: مقصوصة الذَّيل».

(٤) القيقان: بلاد قرب طبرستان، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٤٢٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٣٧.

(٦) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢٠٧.

(٧) خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٣٧.

سَلَمة بن المُحَبِّق الهذلي ليكون والياً على الأقاليم المفتوحة من ثغر السند. وما أن وصل سنان إلى هناك حتى تمكن من فتح مدينـــة مكران «عنوة» ومصَّرها وأقام بها وضبط البلاد»[1]. ولكن سنان لم يمكث هناك سوى سنة أو سنتين ثم عزله زياد وولَّى مكانه راشد بن عمرو الجُدَيْدي الأزدي، فأتى مكران ثم تقدم في بلاد القيقان، فظفر، ثم اتجه نحو الميد، فَقُتل هناك[2].

وبعد ذلك تولَّى عباد بن زياد بن أبي سفيان أمر سجستان، فقاد حملة توغل فيها في منطقة حوض نهر السند فنزل كِشْ، ثم سار إلى قُنْدُهار[3] «فقاتل أهلها فهزمهم، وفتحها بعد أن اصيب رجال من المسلمين»[4].

وكان آخر الولاة الذين تولّوا أمر الفتوحات في هذا الجزء هو المنذر بن الجارود العبدي أبو الأشعث والذي وصل ثغر السند معيناً عليه من قبل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والي البصرة سنة ٦٢ هـ / ٦٨٢ م. فقاد المنذر حملة ضد مدينة قُصْدَار[5]، وتمكن من فتحهـــا[6].

ورغم النجاح الذي حققه معاوية وولاته في تلـــك الأقاليم،

---

(١) البلاذري: فتـوح ، ص ٤٣٢.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٤٣٢.
(٣) ياقـوت : معجم البلدان، ج ٤، ص٤٠٢.
(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٣.
(٥) ياقـوت : معجم البلدان، ج ٤ ص ٣٥٣.
(٦) البلاذري: فتـوح البلدان، ص ٤٣٣.

إلاَّ أنهم أبقوا السلطة الإدارية في مختلف بقاع خراسان وسجستان، في أيدي الدهاقين، كما كان في السابق، نظراً لكفاءتهم الإدارية والمالية ومعرفتهم بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية لذلك الاقليم. ومع أن معاوية (رضي الله عنه) جعل من خراسان اقليماً مستقلاً، إلاَّ أنه لم يمصّر مرو. وبقي المسلمون الفاتحون يسكنون خارج المدينة وفي القرى القريبة منها. على أن هذا الاقليم بقي هادئاً طيلة فترة خلافة معاوية ولم يسجل لنا التاريخ أية أحداث هامة جرت فيه ضد الخلافة الأموية هناك في تلك الفترة.

الفصل الخامس

حركات المعارضة في عهد معاوية (رضي الله عنه)

(١) الخوارج:

لقد كان قبول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) التحكيم بداية انقسام في صفوف أتباعه رغم أنهم هم الذين كانوا قد أجبروه على قبوله. وقد عرفت الجماعة التي لم توافق على التحكيم، وخرجوا من معسكر عليّ (رضي الله عنه) ـ وعسكروا في حَرُوراء[١] ـ بالخوارج[٢]. وكان يتزعمهم كل من شَبَثْ بن رِبْعي الرَّياحي، وعبد الله بن الكوّاء اليشكري، وعبد الله بن وهب الراسبي[٣]. وعندما ذهب عليّ (رضي الله عنه) وجادلهم، في محاولة منه لمعرفة سبب خروجهم تعلّلوا بمختلف الأعذار، فقالوا: انه لا في معركة الجمل ولا صفّين سُمح لهم بأخذ شيء من الأموال والذهب مما يخص

---

(١) حَروراء: قرية بظاهر الكوفة. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٢٤٥).

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٩١؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٣٣٣.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ١٩١؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١ ص ١١٦ ـ ١١٧.

أعداءهم، كما أنهم ذكروا لعليّ (رضي الله عنه) أنه بقبوله للتحكيم قد وضع نفسه في مرتبة معاوية (رضي الله عنه)، والذي كان والياً فقط[1].

واستطاع عليّ (رضي الله عنه) اقناع جماعة كبيرة منهم بِترك موقفهم، وتبعوه إلى الكوفة ولم يبق مع عبد الله بن وهب الراسبي سوى الف وثمانمائة شخص فقط. وما لبث أن ترك الخوارج معسكرهم في جماعات صغيرة وأخذوا يتقدمون نحو النهروان. وصادف أن أحدهم ويدعى مِسْعَر بن فدكيَ التميمي قد قَتَل عبد الله بن خَبَّاب بن الأَرَتّ وزوجته، فأَرسل عليّ، الحارث بن مرة العبدي ليجادلهم لعلّه يفلح في اعادتهم لصفوف الجماعة ولكن الخوارج ردّوا على ذلك بأن قتلوا الحارث. وعندما طلب منهم عليّ أن يسلّموه قتلة الحارث، رفضوا ذلك، وقالوا: كلنا قَتَلَة[2].

ووجد عليّ (رضي الله عنه) نفسه في موقف صعب مع الخوارج، فطلب منه الأشعث بن قيس الكندي ومن معه من أهل الكوفة أن يتقدم بهم فيقاتل الخوارج قبل مسيره إلى بلاد الشام[3]: . فخرج عليّ مع جيشه مخلّفاً هانيء بن هوذة بن عمرو بن عدي النخعيّ على الكوفة[4].

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) ص ١٩٥ ؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١ ص ١١٦ ـ ١١٧ ؛ ضرار صالح ضرار: العرب من معين إلى الأمويين، ص ١٠٩ وانظر: الدينوري: الاخبار الطوال، ص ١٥١، ٢٠٥، ٢١١.

(٢) المبّرد: الكامل في اللغة، ج ٣ ص ١٨٧ ؛ الطبري: تاريخ، ج ٢١ ص ٣٣٧٥ ؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٥٨.

(٣) الطبـــري: تاريخ ، ج ١ ص ٣٣٧٥ ـ ٦.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف (رواية الكلبي) ص ٢٠٠.

وتقابل عليٌّ (رضي الله عنه) مع الخوارج في وقعة النهروان[1]، واقتتل الطرفان مقتلة عظيمة دامت ساعة[2]، أو ساعتين[3]، سقط فيها كثير من القتلى والجرحى. وحاقت الهزيمة بالخوارج ففرَّ كثير منهم إلى جهات متفرقة في الأقاليم، وأصبحوا نواة لتنظيمات الخوارج فيما بعد، وأما الجرحى فقد «أمر عليّ (رضي الله عنه) بمداواتهم ودفعهم إلى عشائرهم، ثم قام عليّ (رضي الله عنه) بعد ذلك بتوزيع الأسلاب من السلاح والدّواب وما شهدوا عليه الحرب، فقسمها بين عساكره، وردّ المتاع والعبيد والاماء إلى أصحابها»[4].

وعلى الرغم من الهزيمة الساحقة التي مني بها الخوارج في النهروان، إلّا أن خلاياهم ظلّت تعمل بجماعات قليلة العدد، تغير على المدن، والقرى، وتقلق الأمن والاستقرار فيها. وكان عليّ (رضي الله عنه) متنبّهاً لخطرهم، دائم الاسراع لصدّهم، وظل على تلك الحال حتى قُتل رحمه الله، ورضي الله عنه، على أيديهم، سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م.

---

(١) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط.... (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٢٥.

(٢) ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٥٦ / أ.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ١٩٣.

(٤) راجع: الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢١١؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ١٩٣؛ المبرد: الكامل في اللغة، ج ٣ ص ٢٣٧؛ الطبري: تاريخ، ج ١ ص ٣٣٨٣ ـ ٤؛ ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١ ص ١٥٦ / أ؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٦١؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١ ص ١١٧؛ د. نايف معروف: الخوارج، ص ٩٥.

وما أن تولّى معاوية الخلافة سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م، وهدأت له الأمور، حتى بدأ الخوارج في تنظيم حركاتهم ضده. وخاصة أنهم لم يبايعوه، فقد كانوا يرون أن معاوية رجل مغتصب للخلافة ولم يصلها عن طريق الشورى[١].

وكان أول خارج على معاوية هو: فَرْوَة بن نَوْفل الأَشْجَعي، الذي سبق أن انسحب من جيش عليّ مع خمسمائة شخص من أتباعه قبل معركة النهروان، وذهب إلى البَنْدنيجَيْن[٢] والدَّسْكَرَة[٣]، واستولى على شَهْرَزُور[٤]، وبقي هناك حتى سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م، حَيث تقدم منها باتجاه الكوفة في الوقت الذي كان معاوية فيه يهمّ بمغادرتها عائداً إلى بلاد الشام. فلما سمع معاوية بحركة فروة طلب من الحسن بن عليّ (رضي الله عنه) أن يقاتله، لكن الحسن رفض ذلك، وقال لمعاوية: «فاني تركتك لصلاح أمر الأمة وألفتها وحقن دمائها»[٥]. فأرسل معاوية لهم جيشاً من أهل الشام لكنَّ الخوارج هزموه، عند ذلك جمع معاوية أهل الكوفة

---

(١) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٠، ١٨ ـ ١٩؛ د. نايف معروف: الخوارج، ص ١١٥.

(٢) البندنيجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد (ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٤٩٩).

(٣) الدَّسكرة: قرية كبيرة غربي بغداد. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٤٥٥).

(٤) شَهْرَزُور: كورة واسعة في الجبال بين اربيل وهمدان من أرض فارس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٥).

(٥) انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٦٣؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٠٩.

وعرَّفهم أن هذا هو الوقت الذي يجب عليهم فيه أن يعرّفوه على حسن نواياهم تجاهه، وقال لهم أيضاً، أن «لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بَوائِقكم»[1]. وإزاء هذه التحذيرات، وتجاوباً مع طلب معاوية، فقد تحرَّك أهل الكوفة بقيادة خالد بن عُرفُطة العُذْري، باتجاه الخوارج، وهزموهم. وتمكن أَفراد من قبيلة أَشْجَع من القبض على فروة وأَخذوه للكوفة «قهراً»[2]. كما قُبض على اثنين من أتباعه، هما: القَعْقَاع بن نَفْر الطائي، وعَتْرِيس بن عُرقُوب الشّيباني، فأخذهما رجالٌ من أفراد قبيلتهما. أما بقيّتهم، فقد قُتل معظمهم في المعركة[3].

ثم تزعّم هؤلاء الخوارج عبد الله بن أبي الحَوْسَاء الطائي، والذي كان فروة اختاره ليتسلّم القيادة بعده فيما إذا حصل له أي حادث. أما الآن، وقد قبض على فروة، فقد نفذ أتباعه وصيته، وعينوا عبد الله مكانه. وسار عبد الله بمن معه من أتباعه (حوالي ثلاثمائة شخص)، ومن انضم إليه من بقايا أتباع فروة، إلى النخيلة[4]، وعسكر بها. فأرسل معاوية إليه خالد بن عُرفطة العُذري، في قوة من أهل الكوفة، فقتلوا عبد الله سنة

---

(١) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ١٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٠٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٠٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص٢١٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٦٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٠٩ ـ ١١.

(٤) النُّخَيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٧٨).

٤١ هـ / ٦٦١ م ، وهـرب من بقي من أتبـاعـه على قيـد الحيـاة[١].

والتف هؤلاء الهاربون من الخوارج بعده حول حوثرة بن وَداع بن مسعـود الأسدي، فسـار بمجموعـة، وعددهم حـوالي مائتي شخص، من البَنْدَنِيجَيْن إلى النُّخَيلة. فأرسل إليهم معاوية،عبد الله بن عوف بن أحمر، في ألفي رجل، واشتبك الفريقان في معركة قرب النخيلة، أسفرت عن مقتل حوثرة وحوالي مائة وخمسين من أتبـاعه، أمـا الخمسون البـاقون، فقـد أمّنهم معاويـة، فـدخلوا الكوفة[٢]. وعاد معاوية بعد ذلك إلى الشام، بعد أن عيَّن كلاّ من المغيرة بن شُعبة الثقفي على الكوفة، وعبد الله بن عامر بن كُرَيز على البصـــرة.

ثم خرج مُعَيْن بن عبد الله المحاربي، في الكوفة، فأرسل إليه المغيرة قَبِيصَة بن الدَّمون الهلالي في شرطة أهل الكوفة، وتمكنوا من قتله في سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م[٣].

أما في سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م، فقـد تجمع حـوالي ثلاثـون شخصاً من الموالي، حول أحدهم ويسمّى أبا ليلى حليف بني الحارث بن كعب. وحاول أبو ليلى أن يتحرك في الكوفة، «فأخذ

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٦٤ ؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٦١ ؛ ابن الأثيـــر: الكامل، ج ٣ ص ٤١٠ - ١١ .

(٢) المبّرد: الكـامـل، ج ٣ ص ٢٣٩ ؛ البـلاذري: أنســاب الأشـراف، ج ٤ (١) ص ١٦٥ ؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٦٢؛ ابن الأثيـــر: الكامل، ج ٣ ص ٤١٠ - ١١ .

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٦٧ : (وكان اسمه معناً فصغّر)؛ ابن الأثيـــر: الكامل، ج ٣ ص ٤١٢.

بعضادتَيْ باب المسجد بالكوفة وفيه عدّة من الأشراف وحكّم بصوت عال، فلم يعرض له أحدٌ، فخرج»[1]، وتبعه جماعته، فأرسل له المغيرة،مَعْقِل بن قيس الرِّياحيّ فلاحقه وقتله في سواد الكوفة[2].

والتفّ الخوارج بعد ذلك حول ثلاثة من زعمائهم وهم: مُعاذ بن جَوَين الطائي، والمُسْتَورِد بن عُلَّفةَ التيمي، وحيَّان بن ظَبْيان السُّلَمي، وعقدوا اجتماعاً سرّياً في بيت حيَّان، حَضَرهُ حوالي عشرون شخصاً منهم، وانتخبوا المستورد بن علّفة قائداً لهم وذلك لأنه أكبرهم سنّاً، وحدَّدوا أَوائل شهر شعبان سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م موعداً لخروجهم. وما أن سمع المغيرة بن شعبة باجتماعهم، حتى أرسل لهم قَبِيصَة بن الدَّمُون الهِلالي، في جند الكوفة، إلى مكان اجتماع الخوارج في بيت حيان، فقبضوا على حيّان بن ظَبْيان، ومُعاذ بن جُوَين، وأتباعهم، وسجنوهم في الكوفة مدة سنة تقريباً[3]. أما قائدهم المستورد، فقد فَرَّ إلى الحيرة[4]، ثم إلى البَهُرَسِير[5]، حيث تجمع لديه هناك حوالي ثلاثمائة شخص من الخوارج. واستناداً إلى رواية في

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤١٣.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٦٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤١٣.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٦٩. ويرى ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٢١، أن المجتمعين كانوا اربعمائة شخص.

(٤) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٣٢٨).

(٥) بَهُرَسِير: من نواحي سواد بغداد، قرب المدائن: (ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٥١٥).

تاريخ الطبري، فقد كان المستورد يجتمع برجاله في منزل سُلَيم بن مَحْدوج العَبْدي (من بني عبد القيس)[1]، وكان سليم صهراً للمستورد لكنه «لا يرى رأيه في الخروج»[2]

وما أن شعر المغيرة بخطورة حركة المستورد، حتى عقد اجتماعاً حضره أشراف أهل الكوفة وزعماء القبائل فيها، وخطب فيهم محذراً من مغبَّة تخاذلهم عن قتال المستورد أو التهاون في أمره، وقال لهم: «فليكْفِني كل آمريء من الرؤساء قومه، وإلاّ فوالذي لا إله غيره لأتحوَّلنَّ عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبّون إلى ما تكرهون، فلا يلم لائم إلاّ نفسه، وقد أعذر من أنذر»[3]. وما أن سمع زعماء الكوفة تهديدات المغيرة، حتى ذهبوا إلى قبائلهم وأَخبروهم بها، وطلبوا منهم أن يعلموهم ويدلّوهم على أي وأحد منهم يشكّون في كونه من الخوارج حتى يخبروا السُّلطة بخبره، أو يقبضوا عليه ويسلّموه لهم. فكان من نتيجة هذه المضايقات أن تناقص جماعة المستورد. فخرج مع من تبقى من جماعته إلى جَرْجَرَايا[4] ثم إلى المَذَار[5]، وهناك تقابل

(١) الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٣٣، ٤٠؛ راجع أيضاً: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٦٩.

(٢) د. نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٨.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٢٨ ـ ٣٣؛ وانظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٢٦ ـ ٧؛ د. نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٨.

(٤) جرجرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ١٢٣).

(٥) المذار: مدينة في مَيْسان بين واسط والبصرة. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ٨٨).

مع قوات المغيرة وكان يقودها مَعْقِل بن قيس الرّياحي (في ثلاثة آلاف)، وجرت بين الفريقين معركة قُتل فيها كلٌّ من المستورد كبير هؤلاء الخوارج كما قُتل أيضاً معقل قائد قوات المغيرة بن شعبة[1]، فتولّى عمرو بن مُحرز بن شهاب المِنْقَري التميمي، قيادة جيش مَعْقِل، وتمكن من ايقاع الهزيمة بفرقة الخوارج، وتفرق من بقي منهم على قيد الحياة، في الأقاليم المجاورة[2].

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن المغيرة بن شعبة الثقفي قد استعمل أسلوباً فريداً في محاربته للخوارج، ينمّ عن مدى ما كان يتمتع به من «دهاء واسع، وذكاء شديد»[3] فقد كان يظهر للعامة على أنه رجل محبّ للسِّلم والعافية، فلم يفتش «أَهلَ الأَهواءِ عن أَهوائهم»[4]، مما شجّع فرق الخوارج على لمّ صفوفها، حتى إذا ما اطمأنت وظهرت، وعرف بهم المغيرة، رماهم بجماعات من أهل الكوفة، وفيهم كثير من الأفراد الموالين لعلي (رضي الله عنه). وكان رأي المغيرة أن أفراد تلك الجماعة الموالية لعلي (رضي الله عنه) إذا اجتمعوا اطمأنوا لبعضهم، وكانوا حرباً على الخوارج،

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٧٠؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢٢١؛ المبرّد: الكامل في اللغة، ج٣ ص ٤٣٢ ـ ٦؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٥٦ ـ ٦٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٢٧ ـ ٤٣٦.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٧٠ (فلم ينج منهم إلاّ خمسةُ نفر». وانظر: الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٤٥ ـ ٦٥، ابن الأثير: الكامل: ج٣ ص ٤٢٧ ـ ٣٦؛ د. نايف معروف: الخوارج، ص ١١٩.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٢٦د. نايف معروف: الخوارج، ص ١٢١.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٩ ـ ٢٠، ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٢١.

خاصة وأن لهم خبرة سابقة في قتالهم أيام النهروان[1].

ولم يكتف المغيرة بندب أنصار عليّ والجماعات الموالية له في الكوفة لقتال الخوارج (كما حدث في بعثه لمعقل بن قيس الرياحي وأصحابه لقتال المستورد) بل أرسل إلى عبد الله بن عامر في البصرة يطلب منه أن يبعث إليه بجماعات من الموالين لعليّ (رضي الله عنه) من أهل البصرة ليحاربوا خوارج الكوفة. ولما عرض ابن عامر طلب المغيرة على شريك بن الأعور الحارثي - أحد زعماء أنصار عليّ في البصرة - وأَمره باختيار ثلاثة آلاف شخص من جماعته في البصرة ليرسلهم إلى معقل بالكوفة فيحاربوا معه المستورد، رفض شريك وأهل البصرة ذلك، واحتجوا على أنهم هم أيضاً عندهم بعض من فرق الخوارج، فقالوا له: «وفي بلادنا فَتْق مثل الفَتْق الذي في بلادهم، فليُغنوا ما قِبلَهم، وعلينا أن نُغني ما قِبلنا»[2]. وذكروا لابن عامر أنه يجب على أهل كل مدينة أن يقوموا بالدفاع عن مدينتهم[3]. وعلى أية حال فقد كان أهل البصرة أنفسهم مشغولين بقتال الخوارج الذين يقودهم سهم بن غالب الهُجَيمي وزياد بن مالك الباهلي (الخطيم) والذين سنتحدث عنهم فيما بعد.

وفي سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩م قاد شَبيب بن بَجَرة الأشجعي حركة

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٣٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص ٤٢٩.
(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٥٤.
(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٤٣ - ٧؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٥٤.

من حركات الخوارج في الكوفة وأحدث بعض الفوضى، وأعلن أنه سيقتل كل من يصادفه في الشوارع ليلاً. وحاول المغيرة إلقاء القبض عليه، لكنه هرب إلى معاوية بدمشق، ظنّاً منه أن معاوية سيعطيه الأمان. ولكن خاب أمله، فقد رفض معاوية ذلك، فعاد إلى الكوفة، ثم خرج إلى القُفّ[1]، فأرسل له المغيرة بن شعبة، خالد بن عُرفطة العُذري في قوة من الشرطة، فتمكنوا من قتل شبيب في القُف[2].

أما في البصرة، وفي عهد ولاية عبد الله بن عامر بن كُريز (سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م) فقد تجمَّع حوالي سبعون شخصاً من الخوارج حول سهم بن غالب الهُجيمي، وزياد بن مالك الباهلي (والذي كان يلقب بالخَطِيم، وذلك لوجود أثر ضربة في وجهه) واحدثوا بعض الفوضى في البصرة، وزادوا فيها بأن قتلوا عُبادة بن قرظ الليثي (أحد صحابة النبي (ﷺ) وزوجته وولده. فذهب عبد الله بن عامر بنفسه لقتالهم ومعه فرقة من أهل البصرة، وتمكن من هزيمتهم فاستسلموا له واعطاهم الأمان، وتشير المصادر إلى أن ابن عامر رفض أوامر معاوية بالتخلّص من سهم والخطيم حين بعث له بذلك، وقال له: «إني قد جعلتُ لهم ذِمَّتك»[3].

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٦٦: «وقال الهيثم: القُفّ بين باجَوَّا وسُوَرا، وقال الكلبي: القُفّ بين زبارا وتَلّ بَوَنا وذلك كلّه قريب من الكوفة». انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٣٨٣ - ٤ «موضع بأرض بابل قرب باجوا وسورا، خرج منه شبيب بن بجرة الأشجعي...».

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٦٦؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٦٧.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٧٣، ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤١٧ - ٤١٨.

أما عبد الله بن عامر، فقد عزله معاوية عن ولاية البصرة في سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥م، وعيّن زياد بن أبي سفيان بدلاً منه. وتعود أسباب عزل ابن عامر، إلى أنه كان رجل يتصف بالسهولة واللّين، ولم يكن يتشدد كثيراً في حربه مع الخوارج، مما أدّى إلى تراكم المشاكل وتصعيدها داخل مجتمع البصرة، وقد بلغت هذه المشاكل حدّاً أثبت ابن عامر أنه عاجز عن اتخاذ قرارات صارمة لحلّها، فعند ذلك عزله معاوية(١).

وما أن وصل زياد بن أبي سفيان إلى البصرة، حتى «وجدها في حالة من الفوضى»(٢) فدخل المسجد، واعتلى المنبر، وخطب في الناس خطبة تعتبر احدى قطع البلاغة في الأدب العربي، شرح لهم فيها سياسته التي سينتهجها فيهم، وبيَّن لهم فيها أسلم الطرق التي يسيرون عليها فيسلموا ويستريحوا. وذكر لهم أن من مباديء سياسته «لينٌ في غير ضعف، وشدَّة في غير جَبريَّة وعنف»(٣). ثم ذكر لهم بأنه إذا لم يكفوه سفهاءَهم (يقصد الخوارج) ويقبضون على المختلسين واللصوص وقطاع الطرق، فإنه سوف يتخذ معهم أَقسى العقوبات، حتى يصل الأمر إلى أن «يلقى الرَّجل منكم أَخاه فيقول: أُنج سعد فقد هلك سعيد، أو

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ١٤٧ ـ ٨؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٦٧ ـ ٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٤٧؛ د. نايف معروف: الخوارج، ص ١٢٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٤٧.

تستقيم لي قناتكم»[1]. ولكنه بعد كل التهديدات والتحذيرات الشديدة اللهجة، عاد فذكر لهم: «واعلموا أنّي مهما قصّرتُ عنه فإني لا أُقصّر عن ثلاث: لستُ محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رزقاً ولا عطاءاً عن إبّانه، ولا مجمِّراً لكم بعثاً»[2]. ولعلّه كان بذلك يقصد إلى التقرب إلى الناس وامتصاص نقمتهم. ثم نزل عن المنبر، وترك الناس يفسّرون معاني خطبته، حسبما يريدون.

وحدث أن اثنين من قادة الخوارج وهما سهم بن غالب الهجيمي وزياد بن مالك الباهلي (وهما اللذان كانا قد أعطيا أماناً من عبد الله بن عامر في سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣م) كانا بين الجموع المحتشدة لسماع خطبة زياد. فلما سمعا تهديداته ظنّا أن زياداً لن يجدّد لهما الأمان، فهربا إلى الأهواز. وهناك تجمع حولهما عدد من الخوارج، فعادا بهم إلى البصرة سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦م، ولكن زياد تمكن من القبض عليهما فشنق سهماً. أما الخطيم، فقد سيّره (نفاه) زياد إلى البحرين، لبعض الوقت. ثم سمح له بالعودة إلى البصرة شريطة أن يقيم في منزله إقامة شبه جبرية تحت مراقبة مسلم بن عمرو الباهلي (والد قتيبة). وفي احدى الليالي، طلب

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢ ص ٦١ ـ ٥، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٧٤ ـ ٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٤٧ ـ ٥.

(٢) راجع مصادر الملاحظة السابقة والصفحات. وجاء في لسان العرب لابن منظور، ج٤ ص ١٤٦: «وتجمير الجند: أن يحبسهم في أرض العدو، ولا يُقْفِلُهُم من الثغر... وفي حديث عمر، رضي الله عنه: «لا تجمروا الجيش فتفتنوهم». وتجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العودة إلى أهليهم».

زياد،الخطيم للحضور عنده ففوجيء أنه لم يكن في بيته، فما كان من زياد إلّا أن قتله في اليوم التالي، وذلك لشكّه في نواياه، ورمى بجثته بين رجال قبيلته (باهلة) في ضاحيتهم[١].

وفي سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م قاد عبَّاد بن الحُصَين الطائي، حركة من حركات الخوارج في البصرة، وَقَتَل إبناً لِشَيْبان بن عبد الله السَّعدي التميمي. وكان والد المقتول مسئولاً عن ضاحية بني شيبان. ومسجدها، وكان مشهوراً بموقفه المتصلّب ضد أيّ خارجي في تلك الناحية. فأرسل زياد بشر بن عتبة التميمي في بعض رجال الشرطة، نصرة لشيبان، فتمكنوا من قتل عباد، وكثير من أتباعه[٢].

ولما توفي المغيرة بن شعبة الثقفي، في سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م جعل معاوية الكوفة تحت إمرة زياد بن أبي سفيان. وهذه هي أول مرة يحدث فيها جمع المِصْرَين لوالٍ واحد. وكان زياد يقيم ستة أشهر في البصرة وفي الكوفة ستة أشهر[٣]. لكي يستطيع أن يمسك زمام الأمور.

ويرى ابن سعد وَأَبو الفرج الأصفهاني أن زياداً كان يصيف في الكوفة ويشتو في البصرة[٤] وكان ينوب عنه في البصرة سَمُرَة بن جُنْدَب

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٧٣؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٨٣ ـ ٤ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٥٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٧٤ .

(٣) الطبري: تاريخ ، ج ٢ ص ٨٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج ٧ ص ٩٩؛ الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ١٧ تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة بيروت ١٩٥٩ م ، ص ٨٠ ـ ١ .

الفَزَاري، وفي الكوفة عمرو بن حُرَيث المخزومي[1].

وما أن غادر زياد البصرة، متوجهاً إلى الكوفة، لتفقّد ولايته الثانية، حتى ثار الخوارج في البصرة بقيادة قُرَيْب بن مرَّة الأَزدي، وزَحَّاف بن زَحْر الطائي [وهما ابنا خالة]،[2] يصحبهما حوالي سبعون أو ثمانون شخصاً من الخوارج وأخذوا يتجولون في شوارع البصرة، وقتلوا بعض الأشخاص في المسجد. فعند ذلك كتَبَ سَمُرة بن جُنْدَب الفَزَاري لزياد يخبره بما جرى هناك. فرجع زياد مسرعاً ودخل مسجد البصرة، وخطب الناس، وحذرهم وتوعدهم بقوله «يا أهل البصرة والله لتكفنّني هؤلاء أو لأبدأن بكم ! والله لئن أفلت منهم رجلٌ لا تأخذون العام من عطائكم درهماً! »[3]. كما أنه حذّرهم أن القبيلة كلها ستكون مسئولة عن أيّ فرد منها مع الخوارج[4].

ولما سمع أهل البصرة، هذه التحذيرات، والتهديدات، ذهب جماعة من بني راسب ومعهم حوالي خمسمائة شخص من الشرطة، وحاصروا الخوارج في ناحية بني يشكر، وقتلوا قريباً

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٧ ص ٩٩؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٢٤٥؛ الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٩١ ، ١١٥ ؛ الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ١٧ ص ٩٥ .

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٧٥ .

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢ ؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٣٢ ، الطبري: تاريخ، ج ٢ ص ٩١ .

(٤) اليعقوبي: تاريخ ، ج ٢ ص ٢٣٢.

وزحّافاً، وكثيراً من أتباعهم[1] . وعلاوة على ذلك، فان شيوخ القبائل، بعد سماعهم لتحذيرات زياد وتهديداته، أخذوا يرسلون إليه كل شخص من بينهم يشكّون في أنه مع الخوارج[2] .

وفي سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م قاد زياد بن خَراش العِجْلي، حركة خارجية في الأُخْنُوتِيّة[3]. وكان في ثلاثمائة شخص. ولكن زياد بن أبي سفيان أرسل إليهم فرقة من الشرطة بقيادة سعد بن حُذيفة بن اليَمان تمكنت من هزيمتهم. وفرَّ زياد بن خراش إلى مكان يسمَّى ماه[4]، ولكن سعداً تمكّن من القاء القبض عليه وقتله هناك[5].

وخرج على زياد أيضاً في تلك السنة معاذ بن جوين الطائي، ومعه ثلاثون رجلاً. ولكن زياداً بعث إليه بأحد رجالاته فقضى عليه وعلى أصحابه قرب الكوفة[6] .

وعلى أية حال، فقد كان لاجراءات زياد الشديدة ضد الخوارج، أثرها في أنها لم تعطهم أية فرصة لنجاح حركاتهم في

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٧٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٦٣.

(٢) المبرّد: الكامل في اللغة، ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٣) الأخنوتية: موضع من أعمال بغداد. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ١٢٥).

(٤) ماه : قصبة البلدة. ماه البصرة: هي نهاوند؛ ماه الكوفة: الدينور؛ ماه دينار: نهاوند. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٤٨ ـ ٩) .

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٧٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٩١.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٧٧ ـ ٨ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٣ ص ٤٩١ .

الكوفة أو البصرة. وعمل زياد كل جهده لأن يطردهم خارج هاتين المدينتين، أو يسجنهم ويلاحقهم حيثما حلّوا[1]. ولهذا نجد أن آخر سنة من ولايــة زياد على العراق (٥٣ هـ / ٦٧٣ م) لم تشهد أية حركة للخوارج ضدّه هناك.

وبعد وفاة زياد (٥٣ هـ / ٦٧٣ م) تولّى ابنه عبيد الله ولاية العراق بعد بضع سنوات. فعاد الخوارج للظهور ثانية. لكن عبيد الله أثبت لهم أنه صارم وشديد مثلما كان والده من قبله، فقد قَتَل عُروة بن أُديَّة بن حُدَير بن حَنْظَلة التّميمي، بعد أَن خرج عليه في البـصـرة، وأحـدث بـعض الـفـوضـى. وذلـك فـي سـنـة ٥٨ هـ / ٦٧٨ م [2]. كما أن عبيد الله قد أحبط حركة قادها طوَّاف بن علاَّق، وعقبة بن الوَرْد الباهلي في سبعين شخصاً من بني عبد القيس في البصرة، فأرسل عبيد الله الشُّرَط والبخارية[3] لقتالهم، فهزموهم وتفرق الخوارج[4]. واستطـاع عبيد الله أَن يقضي على

---

(١) المبرّد: الكامـل ، ج ٣ ص ٢٦٠ ـ ٣ .

(٢) الـطـبـري: تـاريـخ، ج ٢ ص ١٨٥ ـ ٦؛ ابـن الأثيـر: الـكـامـل، ج ٣ ص ٥١٧ ـ ٥١٨: ج ٤ ص ٩٥ ؛

(٣) الجند البخارية قدم بهم عبيد الله بن زياد البصرة من بخارى أيام الفتح الإسلامي الأول (إبان ولايته على خراسان). وكانوا حوالي الفي شخص كلهم جيد الرَّمي بالنُّشَّاب. أجرى عليهم العطاء واتخذ منهم حرساً له.
انـظـر: الـبـلاذري: فتـوح البلدان، ص ٣٧٦؛ الـطـبـري: تـاريـخ، ج ٢ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ؛ د. صـالح العلي: خـطط البصـرة، مجلـة سـومـر، المجلد الثامن، ١٩٥٢ ، ص ٢٩١ .

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٧٨ ـ ٩ ؛ ابن الأثيـر: الكامل، ج ٣ ص ٥١٦ ـ ٥١٧ .

حركة مرداس [بن أديَّة][1] بن حُدَير (أَخو عروة بن أُديَّة) التميمي ويلّقب بأبي بلال، في البصرة. وتروي المصادر أن أبا بلال انتقد سياسة زياد الشديدة ضد الخوارج، وتحرك ضـدّه في البصرة، ولكن زياداً تشدّد في طلبه، وطارده حتى قبض عليه[2]، فسجنه لبعض الوقت ثم أطلق سراحه، فذهب مع ثلاثين من رجاله إلى الأهواز حيث انضم إليه هناك عشرة آخرون من أتباعه. وعسكروا في آسِك[3] وكان يستولي على خراج تلك الناحية وهي في طريقها إلى الخزينة في الكوفة، فيأخذ منها عطاءه وعطاء إخوانه ويترك الباقي ليوصله حامله إلى الكوفة. كذلك فقد جمع ضريبة الأراضي من آسك، والقرى المجاورة لها[4]. ولكن عبيد الله، بعد ذلك، انتبه إلى حركة أبي بلال، فأرسل أَسْلَم بن زُرْعَة الكلابي لقتاله، لكن أَسلم هُزم، ورجع إلى البصـرة سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠ م[5]. فندب عبيد الله لحربه عَبَّاد بن عَلْقَمة بن عَبَّاد المازني التميمي، فتقابل عبَّاد مع أبي بلال في دَرابْجَرد[6]، وجرت بين الطرفين معـركة قُتـل فيها أبـو بـلال، وتفرق أتبـاعـه، وذلـك في سنـة

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٨٠ «أُدية: وهي أُمه، وأبوه: حدير بن عمرو».

(٢) راجـع: الطبـري: تاريخ، ج ٢ ص٧٦.

(٣) آسـك: بلدة من أعمال الأهـواز قـرب أَرَّجـان.

(٤) انظـر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٨٢؛ ابن الأثيـر: الكامل، ج ٣ ص ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٨٢ ـ ٣.

(٦) دَرَابْجِرْد: بلدة في فارس قريبـة من اصطخر. (ياقـوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٢١٠، ج ٢ ص ٤٤٦).

٦١ هـ / ٦٨١ م . أمّا عبَّاد، فإنه حينما عاد إلى البصرة، قتلته الخوارج هناك[١].

وعلى أية حال فبالرغم من استعمال الخوارج لكل أساليب القوة والقتال، فإنهم لم يحققوا أيّاً من الأهداف التي حاربوا من أجلها، ليس هذا في خلافة معاوية (رضي الله عنه) فحسب، وإنما في خلافة من جاء بعده من بني أمية.

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ١٨٣ ـ ٦ ؛ ابـن الأثيـر: الكامل، ج ٤ ص ٩٤ ـ ٥

(ب) مَوقف أنصَار عَليّ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ)

حَركة حجْر بن عَديّ الكِنْدي:

لقد كانت جماعة أنصار عليّ بن أبي طالب(رضي الله عنه)والموالين له، هي الفرقة الثانية بعد الخوارج؛ التي تحدَّت سلطة الأمويين في العراق، بحكم أنهم الغالبية العظمى من السكان هناك. وكانت هذه الجماعة قد بايعت الحسن بن علي(رضي الله عنه)بالخلافة بعد أبيه، ولكن الحسن كان ميالاً إلى السّلم والموادعة، فدخل في مفاوضات مع معاوية، انتهت بتسليمه الأمور لمعاوية(رضي الله عنه) ويروي البلاذري أن الحسن بتنازله لمعاوية، عرَّض نفسه لإنتقادات كثيرة من زعماء أنصار عليّ بالعراق، ومنهم المُسَيّب بن نجبة الفَزاري، وسفيان بن لَيْل الهَمْداني، وسليمان بن صُرَد الخُزاعي، وحُجْر بن عديّ الكِنْدي[1]. وحينما رأت هذه الجماعة أن الحسن ميال للصلح والمهادنة، طلبوا من أخيه الحسين أن يتقدم فيبايعوه، لكن الحسين (رضي الله عنه)رفض عرضهم، وقال لهم: «إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا»[2].

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣ ص ٤٨ ـ ٩، وانظر: الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٩، دكسن: الخلافة الأموية، ص ٢٩.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٥.

وعلى النقيض من الخوارج، فقد بقي أنصار عليّ (رضي الله عنه) في العراق، طيلة العشر سنوات الأولى من خلافة معاوية، لا يحركون ساكناً في وجه السلطة المركزية ولعلَّ هذا راجع إلى سياسة المغيرة بن شعبة، وزياد بن أبي سفيان من بعده، في اشغال أنصار عليّ بمحاربة الخوارج، فلم يتركوا لهم مجالاً للتعبير عن آرائهم في تلك الفترة[1]. فضلاً عما سبقت الإشارة إليه من جنوح الحسن والحسين (رضي الله عنهما) إلى السِّلم.

ولقد كانت حركة حُجر بن عديّ الكندي، في الكوفة، ضد السلطة المركزية، هي أول حركة تقوم بها هناك جماعة أنصار علي (رضي الله عنه) والموالين له، في عهد معاوية وذلك في سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م. وكان حُجر يعدّ من كبار رجالات أنصار عليّ، ليس في الكوفة أو البصرة وحدهما، بل وفي سائر أنحاء الدولة الأموية كلها.

أما عن حياة حُجر الأولى، فتروي المصادر أنه لعب دوراً كبيراً في حروب الردّة، وما أن انتهى من ذلك، حتى ذهب إلى الجبهة الساسانية، وحارب في معركة القادسية[2]. وفي عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كان حُجر ضمن أولئك الذين تحركوا ضد سعيد بن العاص، والي الكوفة، ولكنه لم يذهب إلى الشام مع جماعته من المسيَّرين. وإنما بقي في الكوفة. ولكنه كان من بين الذين

---

(١) راجع: الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٣٢ ـ ٩، ٤٤ ـ ٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٧، ابن حبيب: المحبّر، ص ٢٩٢.

كتبوا إلى عثمان (رضي الله عنه) يطلبون منه الصفح عن أقاربهم الذين سُيّروا إلى معاوية بدمشق. وفي خلافة عليّ (رضي الله عنه) ناصره حجر، وحارب في صفوفه في كل من معركتي الجمل وصفّين[1]. وفي فترة خلافة معاوية، ظل حجر مقيماً في الكوفة، لكنه كان مشهوراً بولائه لعليّ (رضي الله عنه) وأبنائه من بعده.

وتروي لنا المصادر أن المغيرة بن شعبة ـ والي الكوفة لمعاوية ـ كان يخطب مرة في مسجد الكوفة. فتكلم حجر «وكان من أفاضل أهل الكوفة»[2] وقاطعه، لكن المغيرة خرج من المسجد ولم يتخذ أي إجراء رادعٍ ضدّ حجر، ونصحه أن لا يتعرض لأولي الأمر وأن يتجنّب إثارة المشاكل بين أتباعه، والاّ فإنه سيعرّض نفسه لعقوبات رادعة[3]. ويرى الدَّينَوري[4] أن المغيرة « بعث إلى حُجر بخمسة آلاف درهم تَرَضَّاه بها». ولكننا، على أي حال، لا نجد لهذه الرواية ما يؤيدها في المصادر الأخرى. وحتى لو كانت صحيحة، فالمبلغ المقدم إلى حُجر ضئيل جداً، إذا ما عرفنا أن حُجْراً «كان في ألفين وخمسمائة من العطاء»[5].

ولما توفي المغيرة بن شعبة الثقفي في سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠م،

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤ قسم ١، ص ٢٦٨، ابن اعثم: كتاب الفتوح، ج١ ص ١٠٢ / أ.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٤٥.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص٢٤٣ ـ ٤؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١١٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٧ ص ٧٩.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٧، وانظر أيضاً: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٦٨؛ ابن الأثير: أُسد الغابة، ج١ ص ٣٨٦.

أُلحقت الكوفة بولاية البصرة، وعليها زياد بن أبي سفيان. فلما قدم زياد الكوفة والياً عليها، اجتمع مع حُجر بن عديّ، وقال له: «تعلم أني أعرفك، وقد كنت أنا وإياك على ماقد علمت، يعني من حبّ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وإنه قد جاء غير ذلك، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرةً فاسْتفرغه كلّه، إمْلِكْ عليكَ لسانك، وليَسَعْك منزلُك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضيَّة لديّ فاكْفني نفسك، فإني أعرف عجلتك، فأنشدك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك»[1]، وبعد سماع حُجر لهذه التحذيرات من زياد، قال: «قد فهمتُ: ثم انصرف إلى منزله»[2].

وفيما يبدو، فإن سياسة زياد القاسية في العراق، كانت من ضمن الأسباب التي أدَّت بأهل الكوفة وبخاصة من كان منهم من أنصار عليّ (رضي الله عنه) لأن يتوجّهوا إلى حُجر بن عديّ ليتزعّم حركتهم ، ويتحدث باسمهم. فقالوا له: «إنك شيخنا، وأحق الناس بإنكار هذا الأمر»[3].

وما أن رجع زياد من الكوفة إلى البصرة، بعد أن خلَّف عليها عمرو بن حُريث المخزومي، حتى استغلّ حُجر وجماعته فرصة غياب زياد، فتحركوا في الكوفة، وبدأوا في تنظيم صفوفهم، وفي أحد أيام الجُمَع، كان عمرو يخطب الناس في الصلاة، فقاطعه

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٨، اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢٣٠، الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٨٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات: ج٦ ص ٢١٨.

حُجر وأعوانه، وقالوا له: مُرْ لنا أيُّها الإنسان بأرزاقنا، فقد حبستها عنّا، وليس ذلك لك»[1] وزادوا على ذلك بأن حَصَبُوا عمرو بن حريث. فتركهم عمرو ولم يتعرض لهم، ودخل دار الإمارة، ثم أرسل بخبرهم إلى زياد بن أبي سفيان في البصرة مع سِنان بن الحُريث الضَّبِّي، وكتب إلى زياد أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً في الكوفة، وأن سلطته لا تتعدى دار الإمارة، وزاد على ذلك، أن قال: «إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعَجَل»[2].

ولما تسلّم زياد رسالة عمرو، غادر البصرة متوجهاً إلى الكوفة بعد أن خلَّف عليها سَمُرة بن جُنْدُب الفزاري. وفي الكوفة حذَّر حُجْر وجماعته من القيام بأي عمل من شأنه إثارة الإضطرابات «وأن يكفّ لسانه عمّا يتكلّم به»[3] وأرسل تحذيره هذا مع عدة من أشراف أهل الكوفة، كان زياد قد اجتمع بهم ليحذّرهم من مغبّة تهاونهم مع حُجْر، وفيهم: عديّ بن حاتم الطائي، وخالد بن عُرْفُطة العُذري، وجرير بن عبد الله البجلي، ولكن حُجراً رفض مثل تلك النصائح.

ثم أرسل زياد، شدد بن الهيثم الهلالي، صاحب حرسه، مع قوة من الشُّرَط البخاريّة، لاحضار حُجر إليه، ولكن حجراً رفض، واعتدى بعض من رفاقه على شرطة زياد. وتروي المصادر[4] أن

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١١٣، ابن الأثير: الكامل: ج٣ ص ٤٧٢ ـ ٤٨٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٨، البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٢٤٦، ٢٧١.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٨.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٤٦ ـ ٧؛ ابن الأثير: الكامل؛ ج٣ ص ٤٧٤ ـ ٦.

زياداً، بعد سماعه لما حصل مع أفراد حرسه، عقد مؤتمراً مع أشراف أهل الكوفة، فتكلّم معهم مهدداً ومتوعّداً لهم، إذا ما استمروا في مساعدتهم لحُجر وجماعته، وكان مما قاله لهم: «يا أهل الكوفة، تَشُجُّون بيدٍ، وتأسون بأُخرى، أبدانكم معي، وقلوبكم مع حُجر، هذا الهَجْهاجَة الأَحمق المَذْبُوب، أنتم معي، واخوانكم وابناؤكم وعشائركم مع حُجْر، هذا والله من دَحْسِكم وغِشِّكم، والله لتظهرنّ لي براءَتكم أو لآتينكم بقوم أُقيم بهم أَوَدكم وَصَعركم»[1].

وبعد أن سمع هؤلاء الأشراف تحذيرات زياد، قالوا له أنهم على ولائهم له ولأمير المؤمنين. فأمرهم زياد قائلاً: «فليقم كل امريء منكم إلى هذه الجماعة حول حُجر، فليدع كل رجل منكم أخاه وابنه، وذا قرابته، ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم أن تقيموه»[2] فنفذ الأشراف أوامر زياد في الحال. ونتيجة لهذه الإجراءات الرادعة، فقد غادر معظم رجال حُجر مراكزهم، وتركوه في عدد بسيط جداً من أتباعه، فأرسل له زياد ،شداد بن الهيثم الهلالي، مع الشرطة، وبعض من رجال مَذْحِج، وهَمْدان. وأمرهم أن يتوجهوا إلى جبَّانة كنده، وذلك لشكّه أن يكون حُجر مختفياً فيها. ولعلّ من الأهمية أن نشير هنا

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٤٦، الطبري: تاريخ ج٢ ص ١١٧ - ١١٨، الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٨٢، ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٧٤. وجاء في لسان العرب لابن منظور، ج٢ ص ٣٨٧ «الهجهاجة: الكثير الشرّ الخفيف العقل».

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١١٧.

إلى أن زياداً لم يرسل لمطاردة حجر أيّاً من أفراد القبائل القيسيَّة (من مضر) لمرافقة اليمانية وذلك حتى لا «يقع بينهم شغب، واختلاف، وتُفسِد الحَمِيَّة»[1]. كما أن زياداً لم يرسل أياً من حضرموت مع أهل اليمن وذلك «لمكانهم من كندة» ولكنه أرسل مجموعات من رجال الأزد، وبجيلة وخثعم، والأنصار، وخزاعة، وقضاعة، إلى جبانة الصيَّادين[2].

وعندما حاصر رجال مَذْحِج وهَمْدان حُجراً في جَبَّانة كندة، فرَّ إلى النَّخع، ويرأسهم آنذاك عبد الله بن الحارث النَّخعي[3]. وعرف زياد بمكان حُجر عند النّخع بواسطة جارية تدعى أدماء، فأرسل إليه رجال شرطته. ومن ثم فرَّ حجر ـ للمرة الثانية ـ إلى الأزد، واختفى في منزل ربيعة بن ناجد الأزدي «يوماً وليلة» وهنا دعا زياد،محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وقال له: «والله لتأتيني به، أو لأقطعن كل نخلة لك، وأهدم دورك، ثم لا تسلم منّي حتى أقطعك إرْباً إرْباً»[5]. وأعطاه مهلة ثلاثة أيام لهذه المهمّة.

ولما عَرَف حُجر بما كان بين زياد ومحمد بن الأشعث، كتب

---

(١) الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٨٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٥. وانظر كذلك: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ص ٢٥٠؛ الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٨٤.

(٣) أخو الأشتر النَّخعي.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٢٤.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٥٠؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٧٦.

لمحمد يخبره أنه على استعداد لتسليم نفسه، إذا ما حصل له على أمان من زياد، وبشرط أن يرسله إلى معاوية بدمشق ليرى فيه رأيه. فأرسل محمد بن الأشعث مندوبين عنه إلى زياد ليطلبوا منه الأمان لحجر، وفيهم جرير بن عبد الله البَجَلي، وعبد الله بن الحارث النّخعي، وحُجْر بن يزيد الكِنْدي، وطلبوا الأمان لحُجر عند زياد، فأعطاهم له. ونتيجة لهذه الضمانات، فقد سلَّم حُجر نفسه، فوضعه زياد في السجن لمدة عشر أيام[1].

وما أن اطمأن زياد من ناحية حجر، حتى أخذ في مطاردة أتباعه، والقاء القبض عليهم. فتمكن من القبض على ثلاثة عشر شخصاً[2]، وما أن مثلوا مع حُجر أمام زياد، حتى وجَّه لهم تهمة تدبير حركة للمعارضة ضد زياد، وضد معاوية. وطلب زياد من أشراف أهل الكوفة، ونقباء العشائر فيها أن يوقعوا على عريضة الإدانة في حق حُجر، فوقّعها حوالي سبعون شخصاً من مختلف رجالات القبائل[3].

ثم اتخذ زياد خطوته الثانية، فأرسل حُجراً ورفاقهُ الثلاثة

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٢٦.

(٢) لقد وردت أسماءهم في العديد من المصادر التاريخية منها: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٥٣ - ٦؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٢٤ - ١٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٨٣ - ٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢١٩؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٥٤، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٣٢ - ٤. وفي كتاب الأغاني للأصفهاني، ج١٧ ص ٨٩: «فشهدوا أن حُجراً جمع إليه الجموع...». وفي رواية أخرى على نفس الصفحة: شهدوا «أن حجر بن عديّ خلع الطاعة، وفارق الجماعة...».

عشر، إلى معاوية بدمشق، وذلك تنفيذاً لطلب حُجر سابق الذّكر، والذي بموجبه سلّم نفسه إلى زياد. وأرسل زياد معهم «مائة رجل من الجند»[1] ويرافقهم أيضاً مندوبي زياد، وحاملي وثيقة الإدانة، وفيهم وائل بن حُجر الحضرمي، وكثِير بن شِهاب الحارثي[2]. وذلك لضمان تسليمها إلى معاوية.

وما أن وصل الرَّكب مرج العذراء، حتى أمر معاوية بسجنهم هناك، وطلب حضور مندوبي زياد فقط ليسلّموه الوثيقة. وعندما قرأها معاوية، استشار جماعته بما يمكن اتخاذه في حقّ حُجر وأصحابه. فأشار عليه يزيد بن أَسد البَجَليّ بأن يفرّق حُجراً وجماعته في قرى الشام، وبهذا يفكك ترابطهم ويشلّ قوتهم. كما أن كل والٍ سيكون مسؤولاً عن مراقبة تصرفات من سيكون عنده منهم، فيكفوه إياهم[3].

وكاد معاوية أن يميل لهذه الفكرة وينفذها، وكتب بذلك الى زياد قائلاً: «فهمت ما اقتصصت من أمر حُجر وأصحابه، والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أن قتلهم أفضل، واحياناً أرى أن العفو أفضل من قتلهم»[4]. ولكن زياداً لم يقتنع بموقف معاوية (رضي الله عنه)

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٣؛ الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ١٧ ص ٩٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٥٦؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٨٥.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤ (١) ٢٥٧، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٣٧؛ الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٩١ ـ ٢.

(٤) الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٩١ ـ ٢.

المتهاون، وأرسل له رسالة أخرى مع يزيد بن حُجيَّة بن ربيعة التميمي يعبّر فيها عن دهشته لموقف معاوية هـذا تجاه حُجـر وأعوانه. وذكّره بأن أهل مدينتهم (أي الكوفة) شهـدوا عليهم. ويشير عليه أيضاً بقوله: «فإن كانت لك حاجة في هذا المِصْر فلا تَرُدّنَّ حُجراً وأصحابه إليه»[1].

وقبل أن يتخذ معاوية قراره الأخير، توسط لديه بعض من رجالات أهل الشام ليطلق سـراح أقاربهم أو ذويهم من أعـوان حُجر، فوافق معاوية، بشرط أن يحسنوا مراقبتهم. فتوسَّط جرير بن عبد الله البجلي في عاصم بن ورقاء البجلي، ووائل بن حُجر الحضرمي في الأرقم بن عديّ الكندي، وأبو الأعور السلمي في عتبة بن الأخنس السَّعدي، وحمزة بن مالك الهمداني في سعد بن نمران الهمداني، وحبيب بن مسلمة الفهري في كريم بن عفيف الخثعمي[2].

أما حجر بن عديّ، فقد توسط له لدى معاوية، مالك بن هبيرة السكوني. لكن معاويـة رفض ذلك. وقـال لمالـك: «هو رأس القوم، وأخاف إن خلّيت سبيله أن يفسد عليَّ مصره فنحتاج أن نشخصك إليه بالعراق»[3]. ولكن مالكاً لم يقتنع بمبرّرات معاوية

---

(١) نفس المصادر والصفحات الواردة في الملاحظة رقم ٣ صفحة ١٧٢.

(٢) انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٢٤ ـ ٦، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٣٨ ـ ٩؛ الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٩٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٨٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٣٩، ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ٤٨٤.

«فجمع قومه من كندة والسكون وناس من اليمن كثيرٌ فقال: والله لنحنُ أغنى عن معاوية من معاوية عنَّا، وأنا لنجد في قومه منه بَدَلاً، ولا يجد منا في الناس خلفاً»[1]. وبعد ذلك، خرج في جمع من رجالات قومه، وسار بهم إلى مرج العذراء، في محاولة من جانبه لتخليص حُجر، لكن معاوية كان أسرع منه، إذ أَمر بقتل حُجر والسِّتَّة نفر الباقين من رفاقه[2]. ولما عرف مالك بذلك، أخذ يطارد قتلة حجر، لكنهم سبقوه إلى معاوية. وعندما لم يجد مالك أيّ أمل في مطاردته واعتراضاته، عاد إلى دمشق، ويقال أن معاوية أرسل إليه بمائة ألف درهم[3]، وقال له «ما منعني أن أُشفِّعك إلّا خوفاً أن يُعيدوا لنا حرباً فيكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حُجر»[4]. ويرى الطبري وأبو الفرج الأصفهاني وابن الأثير أن مالكاً قبل الأموال التي أعطاه إياها معاوية «وطابت نفسه»[5].

ونستطيع أن نتبين من خلال قراءتنا في المصادر أن معاوية قد تسرَّع في إصدار قراره في حقّ حجر وجماعته، دون الإذن لهم

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢، ص ١٤٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٦ ص ٢٢٠، اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص ٢٣١، البذلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٦٢؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٤٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج ٣ ص ٤٨٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٤٥، ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٨٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٤٥، الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٩٥، ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٨٧، وانظر كذلك: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٦١.

بالمثول أمامه وعرض مشكلتهم عليه. وقد اعترف معاوية بذلك صراحة، لكنه وضع اللّوم كلّه (في تسرّعه لاتخاذ قراره) على زياد لأنه هو الذي كان يرسل له برسائل يهوّل فيها أمر حُجر، علاوة على وثيقة الإدانة الموقعة من سبعين شخصاً من أشراف وزعماء أهل الكوفة يدينون فيها حجراً وأعوانه، مما حدا بمعاوية لأن يرفض أي وساطة في حجر ورفاقه الباقين. وقد عبّر معاوية عن موقفه ذلك صراحة، إلى مالك بن هبيرة السكوني قائلاً: «قد كنت هممت بالعفو عنهم، إلّا أنّ كتاب زياد وَرَدَ عليَّ يعلمني أنهم رؤساء الفِتْنَة، وإنّي متى قتلتهم، اجتثثت الفِتْنَة من أصلها»[1].

وتروي المصادر أن عائشة (رضي الله عنها) بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي إلى معاوية في حجر وأصحابه، لكنه وصل متأخراً، وكان الحكم قد نفّذ فيهم، فقال عبد الرحمن لمعاوية: «أين غاب عنك حِلْمُ أبي سفيان»؟. قال: غاب عني حين غاب عني مثلك من حُلَماء قومي وحملني ابن سُمَيَّة، فاحتَمَلْتُ»[2].

كما أن معاوية، حجّ مرَّة، ثم قابل عائشة (رضي الله عنها)، فقالت له: «أما خشيت الله في قَتْل حجر وأصحابه». قال: «لستُ أنا قتلتهم إنما قتلهم من شهد عليهم»[3].

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٦٤ ـ ٥؛ الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٤٥؛ الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٧ ص ٩٥، ابن الأثير: الكامل، ج٣ ص ٤٨٧.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ (١) ص ٢٦٨، الطبري: تاريخ، ج٢ ص ١٤٥. ولمزيد من التفاصيل، انظر: ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٥٨ ـ ٩.

الخاتمة

هذا الكتاب محاولة لدراسة عصر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه). وقد اعتمدت فيها على ما جاء من معلومات في المصادر القديمة، ناقداً ومقوماً كثيراً من آراء المؤرخين المحدثين التي قيلت في سيرة هذا الرَّجل، مغمطة حقه ودوره التاريخي في مسيرة الأحداث.

وتبيَّن لي من هذه الدراسة أن معاوية(رضي الله عنه)قد بذل جهوداً جبارة في سبيل دعم مسيرة الفتح الإسلامي. وكان طموحه الأول هو الوصول إلى القسطنطينية، مركز المسيحية في ذلك الوقت. ومن أجل هذا قام بترميم وبناء العديد من مراكز صناعة السفن، وتدريب الجيوش، وصناعة الأسلحة. وكل ذلك يدل على مقدرة معاوية وكفاءته كسياسي، واداري بارز. ولهذا نستطيع القول أنه لولا جهود معاوية (رضي الله عنه)في دعم مسيرة الفتح لما استطاع المسلمون أن يصلوا المحيط الأطلسي في الغرب، والمحيط الهندي في الشرق، في ذلك الزمن المبكر. كما وأن الجهود التي بذلها معاوية (رضي الله عنه) كانت كقاعدة لأساس قويّ أرسى قواعده معاوية(رضي الله عنه)ثم رعاه وقواه من جاء بعده من الخلفاء الأمويين، وغيرهم.

وتبين لي من هذه الدراسة ـ أيضاً ـ أن معاوية(رضي الله عنه) حاول جهده ابقاء المجتمع الإسلامي وحدة واحدة يتعامل فيها العربي المسلم مع أخيه المسلم من غير العرب. وأن الموالي بوجه خاص قد عوملوا معاملة حسنة حتى وصل بعضهم إلى أعلى المراتب في الدولة. كما أن أهل الذمة أيضاً تمتعوا بكامل حقوقهم وامتيازاتهم. وكل ما قيل عكس ذلك ما هو إلاَّ تشويه لحقائق ظاهرة.

وأوضحت هذه الدراسة أن المشاكل الداخلية التي واجهها معاوية كان لها أثر مباشر في دعم مسيرة الفتح الإسلامي والتي أولاها معاوية(رضي الله عنه) جلّ اهتمامه. ولكن، رغم ذلك، نجد أن استمرار حركات الخوارج كان له أثر في اشغال الولاة للإهتمام بهم وتأجيل دعم جند الفتح، ولو إلى حين، وفي هذا تأثير واضح على تأخير فتح كثير من البلدان.

وفي الختام، أدعو الله بالعزة والمنعة للإسلام والمسلمين، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، و«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

المصَادر الأوّليّة

الأزرقي: أحمد بن عبد الله (ت٢٤٤ / ٨٥٨ م)
أخبار مكة، جزءان، تحقيق رشدي ملحس، بيروت، ١٩٦٩ م.

الأنصاري: أحمد بن عبد الله الخزرجي (ت ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م).
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق، أ. أبو غدَّة، بيروت، ١٩٧١ م.

ابن الأثير: علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ / ١٢٣٣):
ـ الكامل في التاريخ جـ ٢ ـ ٥ طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ م.
ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ٥ أجزاء طبعة القاهرة ١٢٨٠ هـ.

ابن أبي بكر: محمد بن يحيى (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م):
ـ التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق د. محمود يوسف زايد، بيروت ١٩٦٤ م.

ابن أعثم الكوفي: أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م).
ـ كتاب الفتوح، مخطوطة استانبول، مكتبة أحمد الثالث،

برقم ٢٩٥٦ . من جزأيـــن.

ابـن حبيب: أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م).
كتـاب المحبّر، تحقيق إيلزة شتيتـر، منشـورات دار الآفاق الجديدة، بيـروت بدون تاريخ.

ابـــن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).
ـ الاصابـة في تمييز الصحابة، ٤ أجزاء، طبعة القـاهرة ١٣٢٨ هـ .
ـ تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ١٣٢٥ هـ .
ـ رفع الإصَـر عن قضاة مصـــر، ج ١، تحقيق د. حامد عبد المجيد وآخرون، القاهـــرة ١٩٥٧ م .

ابـن حـزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م).
ـ جمهـــرة أنساب العـرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٤ دار المعارف، القاهـــرة، ١٩٧٧ م .
ـ الفِصَل في الملل والأهـــواء والنّحل، ج ٤ القاهـــرة ١٩٦٤ م .

ابن خياط: خليفـــة العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م):
: كتـاب الطبقـات، تحقيق اكرم ضيـاء العمري، بغـداد ١٩٦٧ م .
: كتاب التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمـــري ط ٢ بيـروت ١٩٧٧ م .

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م).
الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

ابن طولون، شمس الدين محمد
الثغر البسّام فيمن ولي قضاء الشام، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥٦ م.

ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م).
الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤ أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، بدون تاريخ.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م).
ـ فتوح مصر وافريقية وأخبارها. تحقيق تشارلز توري، نيوهيفين، ١٩٢٢ م.

ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م).
ـ العقد الفريد، ٨ أجزاء، تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (ت في القرن الثامن / ١٤ م).
ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١ تحقيق ليفي بروفنسال وزميله، ليدن ١٩٤٨ م.

ابن العربي: محمد بن عبد الله المعافري (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م).

ـ العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة دار المعرفة، بيـروت، بدون تاريخ.

ابن الفقيـه: أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م).
ـ مختصر كتاب البلدان، تحقيق، م، جي، دي خويه، ليدن ١٨٨٥ م.

ابن قتيبـة: عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م).
ـ المعارف. تحقيق ثروت عكاشـة، القاهرة ١٩٦٠ م.
ـ الإمامة والسياسة [منسوب إليه] جـ ١ ـ ٢ تحقيق د. طه محمد الزيني، طبعة الحلبي بالقاهـرة، ١٩٦٧ م.

ابـن كثيـر: إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م).
ـ البداية والنهايـة، طبعة بيـروت ١٩٦٦ م.

ابن منظـور، جمـال الـدين أحمـد بن مكـرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م).
ـ لسـان العرب، طبعـة بيـروت ١٩٥٦ م.

ابن هشـام: عبد الملك.
ـ السيـرة النبوية، تحقيق مصـطفى السقا ورفـاقه، ط ٣ بيـروت ١٩٧١ م.

أبـو زرعـة الـدمشقي: عبـد الـرحمن بن عمـرو النّصـري (ت ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م):
ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي جزءان، تحقيق شكر الله نعمة الله القوجاني، دمشق ١٩٨٠ م.

أبو عبيد، القاسم بن سلاَّم (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م).
ـ كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م.

أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد (ت ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ ـ ٥ م).
ـ كتاب المِحَن، تحقيق د. عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٤ م.

أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٩ م).
ـ كتاب الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت ١٩٥٩ ـ ٦٠ م.
ـ مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، القاهرة ١٩٤٩ م.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٣٤٠ هـ / ١٠٣٩ م).
حلية الأولياء، ج ١، بيروت ١٩٧٠ م.

البَسَوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م).
كتاب المعرفة والتأريخ، جزءان، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، بغداد، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

البغدادي؛ عبد القاهر بن طاهر (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م).
ـ الفرق بين الفرق، تحقيق م. بدر، القاهرة، ١٩١٠ م.
ـ كتاب الملل والنحل، تحقيق . نصري نادر، بيروت ١٩٧٠ م.

البلاذري: أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م).
ـ أنساب الأشراف: نسخة مصورة لمخطوط مكتبة السليمانية باستانبول، رقم ٥٩٧ ـ ٨ ؛ ثم الأجزاء المطبوعة: ج ١ تحقيق محمد حميد الله، القاهرة ١٩٥٩ م ؛ ج ٤ قسم ١ تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨١ م ؛ ج ٣ تحقيق محمد باقر المحمودي، ط ١ نشر دار التعارف، بيروت ١٩٧٧ م؛
ـ فتوح البلدان، تحقيق م . جي. دي غُويه، ليدن ١٨٦٦ م .

الدينوري: أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م):
ـ الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠ م .

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م).
ـ العبر في خبر من غبر، ج ١ تحقيق فؤاد سيد، الكويت ١٩٦١ م .
ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، بدون تاريخ.

الزبيري: مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ / ٨٥١):
نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥١ م .

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م).
ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي

الدين عبد الحميد، ط ٣ بيـروت ١٩٨١ م .

الشّهرسْتـاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨/ ١١٥٣ م).
ـ المِلَل والنِّحل، ج (١) تحقيق أ . الوكيـل، القاهـرة ١٩٦٨ م .

الصابـي، هلال بن محسن (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م).
ـ رسـوم دار الخلافـة، تحقيق ميخـائيـل عـواد، بغـداد ١٩٦٤ م .

الطبـري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).
: تاريخ الأمم والملوك، ج ١ (٦)، ج ٢ (١) تحقيق م . جي . دي غُوِيْه، ليدن ١٨٨١ م ، وما بعدها. (طبعـة خياط، بيـروت).

العـسـكـري، أبـو هـلال الـحـسـن بـن عـبـد الله (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م).
ـ كتاب الأوائل، تحقيق د. وليد قصاب وزميله، دار العلوم بالرياض ١٩٨٠ م .

الفيروز أبـادي، محمد بن يعقوب (٨٢٣ هـ / ١٤١٥ م).
ـ القامـوس المحيط، طبعة السعادة، ١٩١٣ م .

القلقشنـدي، أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).
ـ مآثـر الانافـة في معالم الخلافة، ج ١ تحقيق عبد الستار فراج، الكويـت، ١٩٦٤ م .

الكنـدي: أبو عمر محمد بن يوسف.

ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق ر. غيست، ليدن ١٩١٢ م.

المالكي، محمد بن أبي عبد الله (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م).

ـ رياض النفوس، ج ١ تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١ م.

المبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م).

ـ الكامل في اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، بدون تاريخ.

المسعودي: علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م).

ـ التنبيه والاشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، نشر مكتبة المثنى ببغداد ١٩٣٨ م.

ـ مروج الذهب، تحقيق باربيير دي مينارد وزميله، ج ٣ ـ ٥ باريس ١٨٦١ ـ ٧٧.

المقدسي: مطهر بن طاهر (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م).

البدء والتاريخ، ج ٥ ـ ٦ تحقيق كلمان هوار، باريس ١٩١٦، ١٩١٩ م.

المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م).

ـ الخطط المقريزية، تحقيق. ج، وايت، القاهرة ١٩١١ ـ ٢٢ م.

ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق محمود عرنوس، القاهرة ١٩٣٧ م.

المنقـــري: نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م).
ـ وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، القـاهـــرة، ١٩٦٥ م.

الهيثمـــي، أحمد بن حجـــر (ت ٩٧٤ / ١٥٦٦ م).
تطهيـر الجنان واللسان عن الخوض والتفـوه بثلب سيدنـا معاوية بن أبي سفيان، تحقيق أ. عبد اللطيـف، القاهرة، ١٣٨٥ هـ.

الواقـــدي، محمد بن عمـــر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)
ـ كتاب المغازي، تحقيق، م. جونز، لندن ١٩٦٦ م.
ـ فتوح الشام، جزءان، طبعة بيـــروت (بدون تاريخ).

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م).
ـ معجم البلدان، ٥ أجزاء، طبعة دار صادر، بيـــروت، بدون تاريخ.

اليعقـــوبي: أحمد بن جعفـــر (ت٢٨٤ / ٨٩٧):
تاريخ اليعقوبي ج ٢ دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠ م.

المطبوعات الحديثة

الأبياري: إبراهيم
معاوية، الرجل الذي أنشأ دولة، سلسلة أعلام الإسلام (٦) نشر وزارة الثقافة، القاهرة (بدون تاريخ).

بيلياييف، ي. أ:
العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة د. أنيس فريحة، بيروت ١٩٧٢ م.

بيضون، د. إبراهيم:
ـ ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، بيروت ١٩٧٩ م.
ـ التوابون، ط ٢، دار التعارف، بيروت ١٩٧٥ م.

حتّي، فيليب خوري
ـ تاريخ العرب (مطوّل) ترجمة حتّي وجبّور، ط ٤ بيروت ١٩٦٥ م.
ـ صانعوا التاريخ العربي، ترجمة د. أنيس فريحة، بيروت ١٩٨٠ م.
ـ العرب (تاريخ موجز)، بيروت، ١٩٨٠ م.

الحجي، د. عبد الرحمن علي

التاريخ الأندلسي، ط ٢، دار القلم، بيـــروت ١٩٨١ م .

حســـن، د. حسن إبراهيـــم
تاريخ الإسلام، ج ١ ط ٧، القاهـــرة ١٩٦٤ م .

حـــوراني، جورج فضلـو
العرب والملاحـة في المحيط الهندي، ترجمة د. يعقوب بكر، القاهـــرة ١٩٥٨ م .

الخربوطلي، د. علي حسني
ـ تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩ م .
ـ ١٠ ثورات في الإسلام، طبعـة دار الآداب، بيـروت ١٩٧٨ م ،
ـ الدولة العربية الإسلاميـة، القاهـــرة ١٩٦٠ م .

خماش: نجـدة
الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠ .

دكسن، د. عبد [رب] الأميـر:
الخلافة الأموية، طبعة ١، دار النهضة العربية، بيـروت، ١٩٧٣ م .

الدّوري: د. عبد العزيز
مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ط ٢ بيـــروت ١٩٦١ م .

دياب، د. صابـــر محمد
دراسات في التاريخ الإسلامي، القاهـــرة ١٩٧٧ م .

سالم، د. عبد العزيز

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، طبعة دار المعارف، بيـــروت ١٩٦٣ م .

السّيـف: د. عبد الله محمد
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، بيــروت ١٩٨٣ م .

الشريـــف، د. أحمد إبراهيـــم
دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري، القاهرة، ١٩٦٨ م .

ضرار: ضرار صالـــح
العرب من معين إلى الأمويين، ط ٢ منشورات دار مكتبة الحيــاة بيـــروت، ١٩٦٣ م .

ضيــف، د. شوقي
الشعـر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ط ٢، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٧ م .

طــه، د. عبد الواحد ذنـون
الفتـح والاستقرار العـربي الإسـلامي في شمـال افـريقيـا والأندلس، بغداد ١٩٨٢ م .

عاقـــل، د. نبيـــه:
ـ تاريخ خلافة بني أميــة، ط ٣، دار الفكر، ١٩٧٥ م .
ـ الامبراطورية البيزنطيـــة، دمشق ١٩٦٩ م .

عبد الحميد، د. سعد زغلول

تـاريخ المغـرب العربي، ج ١، نشـر منشـأة المعـارف، الإسكندرية، ١٩٧٩ م .

العبيــدي، د. عبد الجبار منسي
الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، منشورات دار الرفاعي، الرياض ١٩٨٢ م .

عثمان، د. فتحي
الحدود الإسلامية البيزنطية، جزءان، القاهــرة، ١٩٦٦ م .

العــدوي، د. إبراهيم أحمــد
ـ الأمويون والبيزنطيون، ط ٢، القاهــرة ١٩٦٣ م .
ـ الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، القاهــرة ١٩٥٧ م .

العسلي، بسـام
ـ معاوية بن أبي سفيان، ط ١، دار النفائس، بيـروت، ١٩٧٨ م .
ـ عقبة بن نافع، ط ٢، دار النفائس، بيــروت ١٩٧٧ م .

عطوان، د. حسيــن
الشعر العربي بخراسان في العصـر الأموي، ط ١ عمَّـان ١٩٧٤ م .

العقّاد: عباس محمــود
معـاوية بن أبي سفيـان، منشـورات المكتبـة العصـريـة، بيــروت، بدون تاريخ.

العلي: د. صالح أحمـــد
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، بغداد ١٩٥٣ م .
عيسى: د. أحمد عبد الرحمـــن
كتّاب الوحي، نشر دار اللواء، الرياض ١٩٨٠ م .
الغضبـــان، منيـــر محمد
معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، ط ١، دار القلم بيروت، ١٩٨٠ م .
فيصـــل: د. شكري:
ـ المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، ط ٤ بيـــروت ١٩٧٨ م .
ـ حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، ط ٣ بيـــروت ١٩٧٤ م .
القرضاوي: د. يوســف
غيـــر المسلمين في المجتمـــع الإســـلامي، الـقـــاهـــرة ١٩٧٧ م .
ماهـــر، د. سعـاد
البحرية في مصر الإسلاميـــة، ط ١ القاهـــرة ١٩٦٧ م .
معـــروف، د. ناجـــي:
ـ أصـالـة الحضـارة العـربيـة، دار الثقـافـة، بيـــروت ١٩٧٥ م .
معـــروف، د. نايف محمـــود

الخوارج في العصر الأموي. ط (١) نشر دار الطليعة، بيـــروت ١٩٧٧ م .

المنجّد، د. صلاح الديـــن :
معجم بني أميـــة، بيـــروت ١٩٧٠ م .

مؤنـــس، د. حسيـــن
فتح العرب للمغرب، القاهـــرة، ١٩٤٧ م .

مقالات منشورة باللغة العربية

الأفغاني، سعيد

معاوية بن أبي سفيان في الأساطير، مجلد المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية ـ عمان ١٩٧٤ م .

عمادي، محمد جاسم:

ولاية عبد الله بن عامر للبصرة واصلاحاته الاقتصادية فيها، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢٢ لسنة ١٩٨٢ م . بغداد . ص ١٢٧ ـ ١٤٠ .

زيتون، د. محمد محمد

الفتح الإسلامي لشمال افريقيا، مجلة المؤرخ العربي، عدد ١٦ قسم (١) بغداد ١٩٨١ ، ص ٤٣ ـ ٩٤ .

العلي، د. صالح أحمد

ـ ادارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث، لسنة ٢١ ، الأجزاء ٢، ٣، ٤، بيروت ١٩٦٨ م .

ـ استيطان العرب في خراسان، مجلة كلية الآداب، بغداد، ١٩٥٨ م ، ص ٣٦ ـ ٨٣ .

ـ خطط البصرة، مجلة سومر، عدد VIII ، ١٩٥٨ م،

ص ٧٢ ـ ٨٣ ، ٢٨١ ـ ٣٠٢ .
ـ المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد XI، ١٩٦٤ م ، ص ١١٨ ـ ١٥٧ .
ـ موظفوا بلاد الشام في العصر الأموي، مجلة الأبحاث، عدد XIX قسم (١)، ١٩٦٤ م ، ص ٤٤ ـ ٧٥ .

علي ، محمد كرد
مميزات بني أمية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، عدد XVI، لسنة ١٩٤١ م ، ص ٤٠٨ ـ ٢١ ، ٤٥٠ ـ ٤٥٥ .

مُؤلفَات مَنشورَة بلُغَة أجنبيَّة

Abu-Nasr, Jamil **A History of the Maghrib,** London, 1971.

Arnold, Thomas. **The Caliphate,** Oxford, 1924.

Bosworth, C. E. **The Islamic Dynasties,** Edinburgh, 1967.

Brockelman, C. **History of The Islamic People,** tr,. Joel Carmicheal and Moshe Parlmann, New York, 1960.

Bukhsh, S. Khuda. **Contributions to the History of Islamic Civilization,** Calcutta, 1905.

Butler, A.J. **The Arab Conquest of Egypt and Last thirty years of Roman dominion,** Oxford, 1902.

Bynes, N., **The Byzantine Empire,** London, 1925.

Cambridge Medieval History. Vol. 2. Cambridge, 1936.

Cambridge History of Islam. 2. Vols Cambridge, 1970.

Clark, E. **History of Turkey,** New York, 1878.

Encyclopaedia Britannica. Chicago, 1972.

Encyclopaedia of Islam. First edition, Leiden, 1913-38.

Encyclopaedia of Islam. Second Edition, Leiden, 1954 (in Progress).

Fahmi, Muhammad. **Muslim Naval Organization in the Mediterranean,** Cairo, 1966.

Finely, G.A. i) **A History of Greece,** Vol. 1. Oxford, 1877.
ii) **History of the Byzantine Empire,** London 1856.

Gabrieli, F. **Muhammad and the Conquests of Islam, tr,** Virginia Luling and Rasamund Linell, London, 1968.

Gibb, H.A.R. **The Arab Conquests in Central Asia,** New York, 1923. AMS. Edition 1970.

Hell, J. **The Arab Civilization,** London, 1926.

Hill, G.F. **A History of Cyprus,** Vol. 1. Cambridge, 1949.

Hill, D.R. **The Termination of Hostilities in the early Arab Conquest.** A.D. 634 - 56, London, 1971.

Hussey, J.M. **The Byzatine World,** London, 1957.

Khuda Bukhsh. **Contributions to the History of Islamic Civilization,** Calcutta, 1930.

Kremer, Alfred Von. **The Orient Under the Caliphis,** tr. Khuda Bukhsh, Calcutta, 1920.

Lammens, H. i) **Etudes Sur le Siec'le des Omayyades,** Beyroth, 1930.

ii)**Etudes Sur le regne du Calife Omiyade Mo'awiya Ler,** Leipzig, 1908.

iii) **La Syria; Precis historique,** Beyrouth, 1921. 2 Vols.

iv) **La Califat de Yazid 1er,** Beyrouth, 1921.

Lane Poole, S. i) **The Muhammadan Dynasties,** Paris, 1925.
ii) **A History of Egypt in the Ages,** London 1901, 3rd edition, 1924.

Lewis, B. **The Arabs in History,,** London, 1970.

Mills, Ch. **A History of Mohammadanism,** London, 1817.

Muir, W. **The Caliphate, its rise, decline and fall,** Edinburgh, 1924,

Nicholson, R. **A Literatury history of the Arabs,** Cambridge, 1969.

Noldeke, Th. **Sketches from Eastern History,** tr. John Sutherland, London and Edinburgh, 1892.

O'Leary, De Lacy Evans. **Arabia Before Muhammad,** London, 1927.

Oman, C.W. **The Byzantine Empire,** London, 1915.

Osborn, R.D. **Islam Under the Arabs,** London, 1876.

Ostrogorsky, G. **History of the Byzantine States,** tr. J. Hussey, Oxford, 1956.

Peterson, E.L. **Ali and Mu'awiya,** Copenhagen, 1964,

Shaban, M.A., **The Abbasid Revolution,** Cambridge, 1970, **Islamic History,** Vol. 1. Cambridge, 1971.

Sounders, J.J. **A History of Medieval Islam,** London, 1965.

Spuller, B. **The Muslim World,** Part 1. Leiden, 1960.

Sykes, P. **A. History of Afghanistan,** Vo.1. London, 1940.

Thomas, B. **The Arabs,** London, 1937.

Tritton, A.S. **The Caliphs and their non-Muslim Subjects,** London, 1970.

Vasilieve, A.A. **History of The Byzantine Empire,** Vol. 1. Wiscouncin, 1964.

Watt, M. i) **Islam and the Integration of Society,** London, 1966.

ii) **Muhammad at Mecca,** oxford, 1953.

iii) **Muhammad at Medina,** Oxford, 1956.

iv) **Muhammad, Prophet and Stateman,** London, 1961.

Welhausen, J. **The Arab Kingdom and its fall,** tr. M.G. Weir, London. (new impression 1973).

مقالات منشورة بلغة أجنبية

Al-'Ali, Salih Ahmad. i) «muslim Estates in Hijaz in the First **Century A.H.», (Jornal of the Economic and Social History of the Orient,)** II, 1959, pp. 247 — 61 .

Bell, H.I. «The Administration of Egypt under the Umayyad Califs», **Byzantinische Zeitschrift,** Vol. XXVIII, 1928, pp. 278 - 86.

Canard, Marius. «Les Expeditions des Arabes Contre Constantinople», **Journal Asiatique,** 208, 1926, pp. 61 - 121.

Fariq, K.A. i) «The Story of an arab Diplomat», **Studies in Islam,** iii, no.2, 3, 4, 1966, pp.53 - 80 - 199 - 42 , 227 - 41 ; IV, No.1, 1967, PP. 50 - 9 .

ii) «A Remarkable early Governor Ziyad B. Abih» **Islamic Culture,** 26, 1952, PP. 1 - 31 .

Gabrieli, F. «Greek and Arabs in the Central Mediterranean area» , **Dombarton Oaks Papers,**)DOP), 18, 1964, PP. 57 - 65 .

Gibb, H.A.R. «Arab- Byzantine Relations under the Umayyad Caliphate», **DOP,** 12, 1958 , PP. 219 - 33.

Glidden, H.W. «A note on Early Arabian Military Organizations», **Journal of the American Oriental Society,** Vol. 38 , 1938, pp. 88 - 91 .

Housseini, A.M. «The Umayyad Policy in Khurasan And its effect on the Formulation of Islam thought», **JUP,** , IV, 1955, pp. 1 - 21.

Imamuddin, S.M. «Bayt al-Mal and Banks in the Medieval

Muslim World», **Islamic Culture,** Vol. 35, 1961, PP. 12 - 20.

Juynboll, G.H.A. «The Qurra in Early Islamic History» **Jesho,** Vol. XVI, Parts II-III, 1974, pp. 113 - 129.

Lammens, H. «Le Sefiani» Heros National des Arabes Syrians», **Bullettin Institute Francis d'archacologie Orienlale,** Vol. 21, 1923, PP. 131 - 43.

Massignon, L. «Explacation du Plan de Kufa (Iraq)» **Melanges Maspero,** iii,1935 - 40, pp. 337 — 60.

Mo'nis, Husayn. «The Umayyads of the East and West», **Der Orient in der Forschong,** Festschrift Fur O. Spies, 1967, PP. 471 - 98.

Noldeke, Th. i) «Zur Geschichte der Araber im I Jahrhd, H. aus Syrischen Quellen», **Zeitshrift der Deutchen Morgenlandischen** Gesellchaft, 29, 1876, PP. 77- 98.

ii) «Zur Geschichte der Omai Jaden», **ZDMG,** 55, 1901, PP. 683 - 91 .

Peterson, E.L. i) «Ali and Mu'awiyah - The rise of the Umayyad Caliphate - 656 - 61 » , **Acta Orientala,** Vol. 23, 1959 , PP. 157 - 96 .

ii) «Studies on the Historiography of the 'Ali-Mu'awiyah Conflict», **Acta Orientala,** Vol. 27, 1963, PP. 83 - 118 . ٢

Sharon, M. «An Arabic Inscription from the time of 'Abd al-Malik», **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** XXIX, ii, 1966, pp. 367 - 72.

Siddiqi, A.H. i) «Insignia of Sovereignty during the Umayyad Caliphate», **Proceeding of the Pakistan History Conference,** III, 1953, pp.67 - 75 .

ii) «A paper on the Character of the Umayyad Caliphate», **PPHS,** VIII, 1958, pp. 49 - 59 .

Thomson, J. «Kharijitism and the Kharijites» **Macdonald Presentation,,** Volume, 1933, PP. 373 - 89 .

Watt, M. i)«Kharijite Thought in the Umayyad Period», Der Islam, XXXVI, 1961, PP. 215 - 32.
ii) «Shi'ism Under the Umayyads,» **JRAS,** 1960, PP. 158 - 72 .

Yusuf, S. Mahmoud. «The Revolt Against Uthman», **Islamic Culture,** 27, 1953, pp. 1 - 7 .

Yusuf, Abbas Hashmi, Dhatu' S - Sawari. **The Islamic Qarterly,** Vol. VI, No. 1 and 2, January and April, 1961 , PP. 55 - 64 .

فهرس الأمكنة

(ويشمل البلدان والوقائع)

ـ حرف الألف ـ

الأخنوتية ـ ١٦٠ .
أذرح ـ ٥٠ ـ ٥١ .
أذنة ـ ٩٦ .
الأردن ـ ١٨ ـ ٢٦ ـ ٧١ .
أرض السَّواد ـ ٢٢ .
أرمينية ـ ١١٢ .
أرواد ـ ١١١ .
أزمير ـ ١٠٧ ـ ١١١ .
آسك ـ ١٦٢ .
آسيا الصغرى ـ ١٠٣ ـ ١٠٧ ـ ١١٥ .
الأفار ـ ١١٤ .
افريقيا ـ ١٠٣ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ .
آمل ـ ١٣٨ .
الأنبار ـ ٥٧ ـ ٦٠ .
أنطاكية ـ ٩٦ .
أنقيرة ـ ١٠٦ .
الأهواز ـ ١٥٧ ـ ١٦٢ .

ـ حرف الباء ـ

بادية السماوة ـ ٧٢ .
باذغيس ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ .
يامفيليا ـ ١١٢ .
بجاية ـ ١٢٨ .
البحرين ـ ١٥٧ .
بحيرة كارليس ـ ١٠٦ ـ
بخارى ـ ١٣٨ .
برقة ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢٥ .
بست ـ ١٣٤ .
بسكرة ـ ١٣٢ .
البصرة ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٦٢ ـ ٧٧ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ١٢٦ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٥٠ ـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣ ـ ١٦٥ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ .
بعلبك ـ ١٠٢ ـ ١١٠ ـ ١١٦ .
بلخ ـ ١٣٣ ـ ١٣٨ .

البلقـان ـ ١١٤ .
بلهيـت ـ ١٣٠ .
بنزرت ـ ١٢٣ .
بنّـه ـ ١٤٢ .
البهرسيـر ـ ١٥١ .
بوشبـخ ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ .
بيرغامـون ـ ١٠٧ .
بيكنـد ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ .
بيـروت ـ ١٧ .
بيـزنطـة ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٨ ـ ١٠٠ ـ ١٠٦ ـ ١٠٨ ـ ١١٢ .

ـ حرف التاء ـ

تبـوك ـ ٣٠ .
تدمـر ـ ٥٨ .
ترمذ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ .
تلمسـان ـ ١٢٧ .
تونـس ـ ١٠٣ ـ ١٢٨ .
تهوذه ـ ١٣٢ .
تيمـاء ـ ٥٧ .

ـ حرف الثاء ـ

الثعلبيـة ـ ٥٧ .

ـ حرف الجيم ـ

جأوان ـ ١٢٢ .
جبال لبنان ـ ٩٥ ـ ١٠٥ .
جبل اللكـام ـ ١١٥ .
جبيـل ـ ١٧ .
جدّه ـ ٨٢ .
جَرَّبـة ـ ١٠٨ ـ ١٢٣ .
جرجرايـا ـ ١٥٢ .
الجُرجُومـة ـ ١١٥ .
الجزائـر ـ ١٣٢ .
الجزيرة ـ ٢١ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٦١ ـ ٧٢ ـ ١٠٨ .
جزيرة شريك ـ ١٢٨ .
الجزيرة العربية ـ ١٤ ـ ٧١ .
جزيرة كيوس ـ ١٠٧ .
جلولاء ـ ١٢٢ .
الجمل (وقعة) ـ ٢٦ ـ ٢٩ ـ ٣٦ ـ ٤٩ ـ ١٤٥ ـ ١٦٦ .
الجولان ـ ٧١ .
جيحـون ـ ١٣٨ ـ ١٤٠ .

ـ حرف الحاء ـ

حارة الروم ـ ٨٠ .
الحبشـة ـ ١٤ .
الحجاز ـ ٢٩ ـ ٥٨ ـ ٧٥ ـ ٨٢ .
الحدث ـ ٩٧ .
حروراء ـ ١٤٥ ـ
حضرموت ـ ١٧٠ .
حمـاة ـ ٧٢ .
حمص ـ ٢٤ ـ ٣٤ ـ ٣٩ ـ ٧٢ ـ ١٠٧ .
حنين (غزوة) ـ ١٤ .
حوران ـ ٧١ .
الحيـرة ـ ١٥١ .

ـ حرف الخاء ـ

الخابور ـ ٧٢ .
خراسان ـ ٢٩ ـ ٧٩ ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٤ .
خربتا ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ١٢١ .
خرشنة ـ ١٠٨ .
الخريبة ـ ٢٦ .
خزاعة ـ ٣١ .
الخزر ـ ١١٤ .
خُشك ـ ١٣٤ .
خواش ـ ١٣٤ .
خلقيدونية ـ ١٠٩ .
الخيس ـ ١٣٠ .

ـ حرف الدال ـ

درابجرد ـ ١٦٢ .
الدسكرة ـ ١٤٨ .
دمشق ـ ٢٣ ـ ٣٠ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٦ ـ ٦٠ ـ ٧٠ ـ ٧٢ ـ ٧٦ ـ ٨٠ ـ ٩١ ـ ١١٤ ـ ١٢٧ ـ ١٣٦ ـ ١٣٩ ـ ١٦٦ ـ ١٧١ ـ ١٧٤ .

ـ حرف الذال ـ

ذات السواري (موقعة) ـ ١٠٢ ـ ١٠٥ .

ـ حرف الراء ـ

الرابية ـ ٢١ .
رأس العين ـ ٣٧ ـ
رامدين ـ ١٣٨ .
راميثين ـ ١٣٨ .
الرخج ـ ١٣٤ .
رزان ـ ١٣٤ .
الرقة ـ ٣٨ .
رهوة مالك ـ ١٠٧ .
رودس ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ١١٤ .
الري ـ ١٣٩ .

ـ حرف الزال ـ

زبطرة ـ ٩٧ .
زَرَنْج ـ ١٣٤ ـ
زم ـ ١٣٨ .

ـ حرف السين ـ

سبري حصار ـ ١٠٧ .
سبيطلة ـ ١١٩ ـ ١٢٠ .
سجستان ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ .
سلطيس ـ ١٣١ .
سمرقند ـ ١٤٠ .
سميساط ـ ٩٧ .
السند ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ .
سوريا ـ ٨٠ ـ ١٠٤ ـ ١١٣ .
سوسة ـ ١٢٢ ـ ١٢٨ .
السويس ـ ٩٦ .
سيحون ـ ١٣٦ .
سيليوس ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ .

ـ حرف الشين ـ

الشام ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ

٣٨ - ٥٠ - ٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩ -
٦٠ - ٦٢ - ٦٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ -
٧٤ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٣ - ٩٥ - ٩٦ -
٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٤ -
١١٠ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢٤ - ١٤٦ -
١٤٨ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٧٢ .
شهـروز - ١٤٨ .

ـ حرف الصاد ـ

الصّغد - ١٩ - ١٤١ .
صفين - ٣٥ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٥ -
٦٥ - ١١٦ - ١٤٥ - ١٦٦ .
الصقالبـة - ١١٤ .
صـقـليـة - ١٠٥ - ١١٠ - ١٢٣ -
١٢٤ .
صنعـاء - ٥٨ .
صـور - ٩٥ - ٩٩ - ١١٦ .
صيـدا - ١٧ - ٩٥ - ٩٩ - ١٦٦ .
الصيـن - ١٣٦ .

ـ حرف الطاء ـ

الطائف - ٥١ - ٥٨ - ٧٤ - ٧٥ - ٨٢ .
الطالقان - ١٣٥ .
طخارستان - ١٣٥ - ١٣٦ .
طرابلس - ١٧ - ٩٥ - ١٢٠ - ١١٨ .
طرطوس - ٩٦ .

ـ حرف العين ـ

عانـات - ٥٧ .
عجلان - ٣٢ .
العراق - ٢١ - ٢٩ - ٥١ - ٥٤ - ٧١ -
٧٩ - ٨٢ - ٨٤ - ٩١ - ١٢٦ - ١٦١ -
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٧ - ١٧٣ .
عـرض - ٤٩ .
عِرقـة - ١٧ .
عسقلان - ٩٥ .
عقوّبـة - ١١٩ -
عكـا - ٩٥ - ٩٩ - ١٠١ .
عمواس - ١٨ - ٩٩ .
عيـن التمـر - ٥٦ - ٦٠ .

ـ حرف الغين ـ

غدامس - ١٢١ .
غرشستان - ١٣٦ .
غـزوة العبـادلـة - ١١٩ .

ـ حرف الفاء ـ

فارس - ٨٦ .
الفارياب - ١٣٥ .
الفرات - ٣٨ .
فزان - ١٢٢ .
الـفـسـطاط - ٥٥ - ٥٦ - ٨٠ - ٨٤ -
١٢٤ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٩ .
فلسطين - ١٧ - ٣٢ - ٧١ - ٧٧ .

ـ حرف القاف ـ

قادس - ١٣٥ .
القادسيـة - ١٦٥ .
قبرص - ٩٨ - ٩٩ - ١٠١ - ١٠٢ -
١٠٣ .
القدس - ١٧ - ٦٢ - ٦٥ .

قرطاج ـ ١٢٨ .
قرقيسياء ـ ٣٥ .
القرن ـ ١٢٢ .
القرى ـ ٢٦ ـ ٥٩ .
القسطنطينية ـ ٩٥ ـ ١٠٣ ـ ١٠٦ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١١٤ ـ ١١٦ ـ ١٧٧ .
قسطيلية ـ ١٢٢ .
قصدار ـ ١٤٣ .
القطقطانة ـ ٥٧ .
القف ـ ١٥٥ .
قفصة ـ ١٢٢ .
قندهار ـ ١٤٣ .
قنسرين ـ ٧٢ .
قوهستان ـ ١٣٨ .
القيروان ـ ١٢٠ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ .
قيسارية ـ ١٩ ـ ٩٥ .
القيقان ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ .

ـ حرف الكاف ـ

كابل ـ ١٣٤ ـ ١٤٢ .
كش ـ ١٤٣ .
كلوديوبولس ـ ١٠٦ .
كليكيا ـ ١١١ .
كمخ ـ ١١٢ ـ ١١٤ .
الكوفة ـ ٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٧٧ ـ ٨٠ ـ ٨٤ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ١٢٦ ـ ١٣٧ ـ ١٤٠ ـ ١٤٦ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ .

ـ حرف اللام ـ

لاهور ـ ١٤٢ .
لبدة ـ ١٢١ .
لبنان ـ ١١٥ .
اللاذقية ـ ٩٩ .
لوبية ـ ١٢٠ .
ليكيا ـ ١٠٤ .

ـ حرف الميم ـ

مأرب (سد) ـ ٧١ .
المازحين ـ ٢١ .
ماه ـ ٦٠ .
المدائن ـ ٣٧ ـ ٥٧ ـ ٦٠ .
المديبر ـ ٢١ .
المدينة ـ ١٩ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٥١ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٧٥ ـ ٧٧ ـ ٩٣ ـ ١٣١ ـ ١٤١ .
المذار ـ ١٥٢ .
مزاقيه ـ ١٢٠ .
مرج الصّفر ـ ١٦ .
مرج العذراء ـ ١٧٢ ـ ١٧٤ .
مرج مرينا (موقعة) ـ ٣٧ .

مرعـش ـ ٩٦ .
المسُنّاة : ٥٥ .
مصـر ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣٢ ـ
٣٣ ـ ٤٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٧٨ ـ
٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨٢ ـ ٩١ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ
٩٨ ـ ١٠١ ـ ١٠٤ ـ ١١٠ ـ ١١٧ ـ
١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ
١٢٤ ـ ١٢٦ .
المغـرب ـ ٧٩ ـ ٨٢ ـ ١٠٣ ـ ١٢٤ .
مكران ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ .
مكة المكرمـة ـ ١٤ ـ ٥١ ـ ٥٣ ـ ٥٧ ـ
٥٨ ـ ٥٩ ـ ٧٥ ـ ٨٢ .
مـرو ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤٤ .
مرو الروذ ـ ١٣٥ .
ملطيـة ـ ٩٧ .
منبج ـ ٩٦ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٨ .
مهـران ـ ٨٢ .
الموصـل ـ ٣٧ ـ ٦١ .
الميـد ـ ١٤٣ .
ميلـة ـ ١٢٨ .

حرف النون ـ

نجران ـ ٥٨ .
النخع ـ ١٧٠ .
النخيلـة ـ ٣٦ ـ ٥٤ ـ ١٥٠ .
نسـف ـ ١٣٨ .
نصيبين ـ ٣٧ ـ.
النهروان ـ ٥٩ ـ ٨٣ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ .
١٤٨ ـ ١٥٤ .

ـ حرف الهاء ـ

هيـت ـ ٥٧ .
هـراة ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ .

ـ حرف الواو ـ

ودان ـ ١٢٢ .

ـ حرف اليـاء ـ

اليرمـوك (موقعة) ـ ١٧ .
اليمن ـ ٢٩ ـ ٥٨ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ١٧٤

** ** **

١ ـ فهرس الأعلام

ـ حرف الألف ـ

إبراهيم الإبياري : ١٦ ـ ٢٠ .
إبراهيم العدوي : ٧٤ ـ ٨١ .
ابن أثال : ٧٩ .
ابن الأثيـر :
١٩ ـ ٦٩ ـ ١٢٦ ـ ١٧٤ .
ابن أعثم الكوفي : ٦١ ـ ١٤٠ .
ابن حجر العسقلاني : ١٥ .
ابن زمعة العامري : ٧٧ .
ابن سعـد : ٤٤ .
ابن عبـد البـر : ٢٠ .
ابن عبـد الحكم : ١٢٩ .
ابـن منظـور : ٦٧ .
ابن مينـا : ٧٩ .
ابـن النضيـر : ٧٩ .
أبو الأعور السلمي : ١٧٣ .
أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) : ١٦ ـ ٧٤ .
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ٧٧ .
أبو سلمة الخلال : ٨٦ .
أبو الفرج الأصفهاني : ١٥٨ ـ ١٧٤ .
أبو المهاجر دينار : ٨٢ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ .
أبو هريرة الدوسي : ٣٩ ـ ٤٠ .
أحمد بن محمد الهمداني : ٨٩ .
الأحنف بن قيس : ٣٦ ـ ٧٢ ـ ٧٤ .
أدمـاء (جاريـة) : ١٧٠ .
الأدهـم : ١٧ .
الأرقم بن عدّي الكندي : ١٧٣ .
أسامـة بن زيد : ٢٤ .
إسحاق بن طلحة : ١٣٩ .
أسلم بن زرعة الكلابي : ١٣٦ ـ ١٣٩ ـ ١٤١ ـ ١٦٢ .
الأشتر النخعي : ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٦ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٥ .
الأشعث بن قيس الكندي : ٣٨ ـ ٤١ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٥١ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ١٤٦ .
أمـة رب المشارق : ٢٠ .

ـ حرف الباء ـ

البرك بن عبد الله : ٥٩ ـ ٦٠ .
بريدة بن الحصيب : ١٣٦ .
بسام العسلي ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ١٠٠ .
بُسر بن أرطأة الفهري : ٣٣ ـ ٣٨ ـ ٥٨ ـ ١٠٢ .

بشير بن عمرو : ٣٨.
بلياييف : ٦٨ - ٨٠ - ٨١.
البلاذري :
١٩ - ٦٩ - ٨٠ - ٨٨ - ٩٠ - ٩٣ - ١٠٢ - ١١١ - ١١٤ - ١١٥ - ١٣٠ - ١٣٦ - ١٤١ - ١٦٤ .
بلال بن أبي الدرداء : ٧٧.
بلال الحبشي : ١٥.
بيروز بن يز دجرد : ١٣٦ .

ـ حرف التاء ـ

تشارلزبلا : ٦٧.

ـ حرف الجيم ـ

جارية بن قدامة السعدي : ٥٨.
الجراح بن سنان الأسدي: ٦١ .
جرير بن عبد الله البجلي: ٣٠ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٥ - ١٦٨ - ١٧١ - ١٧٣ .
الجعد بن قيس النّمري : ٨٧.
جنادة بن أبي أمية : ١١٠.
جندب بن جنادة (أبو أيوب): ٥٨ - ١٠٩ .
جندب بن زهير : ٤٢.
جولد تسيهر : ٦٧.

ـ حرف الحاء ـ

حابس بن سعد الطائي : ٣٣ - ٤١.
الحارث بن جهمان الجعفي : ٥٥.
الحارث بن الحكم : ١١٩.
الحارث بن مرة العبدي : ٤١ - ١٤٦ .
حبيب بن مسلمة الفهري:
١٧ - ٢٦ - ٣٥ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ١٠٦ - ١١٥ - ١٧٣ .
الحتات بن يزيد المجاشعي : ١٦ .
حجر بن عدي الكندي: ٣٧ - ٤٠ - ٤١ - ٥٨ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ .
حجر بن يزيد الكندي : ١٧١.
حسان بن بحدل الكلبي : ٢٧ - ٣٣ - ٧٣ - ٧٤ .
الحسن بن علي(رضي الله عنه):٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٥ - ١٤٨ - ١٦٤ - ١٦٥ .
د . حسني الخربوطلي : ١٣٧ .
الحسين بن علي (رضي الله عنه) : ١٦٤ - ١٦٥ .
د. حسين مؤنس : ١٣٠ - ١٣١ .
الحصين بن نمير : ٣٣.
الحكم بن عمرو الغفاري : ١٣٥ - ١٣٦ .
حليف بن الحارث (أبو ليلى): ١٥٠ - ١٥١ .
حمزة بن مالك الهمداني : ٤١ - ٤٢ - ١٧٣ .
حنش بن عبد الله الصنعاني: ١٢٨.
حوثرة بن وداع الأسدي: ١٥٠ .
حيان بن ظبيان السلمي : ١٥١ .

ـ حرف الخاء ـ

خارجة بن حذافة : ٦٠.
خالد بن سعيد بن العاص : ١٦ .
خليد بن عبد الله الحنفي : ١٣٥ -

١٣٨ .
خالد بن عرفطة العُذري: ١٤٩ ـ ١٥٥ ـ ١٦٨ .
خالد بن المعمر الدوسي : ٣٦ ـ ٤٠ .
خالد بن الوليد : ٢٤ .
خليفة بن خياط : ٤٥ ـ ٥٣ .

ـ حرف الدال ـ

دكسن : ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ .
الدينوري : ٣٩ ـ ١٦٦ .

ـ حرف الذال ـ

ذو الكلاع الحميري : ٣٣ـ ٤١ ـ ٤١ .

ـ حرف الراء ـ

راشد بن عمرو الجُديدي : ١٤٣ .
الربيع بن زياد الحارثي : ١٣٦ ـ ١٣٧ .
ربيعة بن ناجد الأزدي : ١٧٠ .
رفاعة بن شداد : ٤٢ .
رملة بنت معاوية : ٢١ .
روّاد بن أبي بكرة : ٨٧ .
رويفع بن ثابت : ١٢٣ .

ـ حرف الزين ـ

الزبير بن العوام : ٢٦ ـ ٢٩ .
زحاف بن زحر الطائي : ١٥٩ ـ ١٦٠ .
زرارة بن أوفى الجرشي : ٧٧ .
زفر بن الحارث الكلابي : ٤١ .
زياد بن أبي سفيان:
٦٦ ـ ٨٢ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦١ ـ ١٦٥ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٢ ـ ١٧٥ .
زياد بن بشر التميمي: ١٥٨ .
زياد بن خراش العجلي: ١٦٠ .
زيد بن صوحان العبدي: ٢٢ .
زياد بن سمية : ٩١ .
زياد بن مالك الباهلي (الخطيم): ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ .
زياد بن النضر : ٣٧ .
زيد بن حصين الطائي : ٤٨ .
زيد بن قيس الهمداني : ٤٠ .

ـ حرف السين ـ

سايكس : ١٣٥ .
سريج بن منصور الرومي : ٧٩ .
سعد (مولى معاوية): ٨٢ .
سعد بن أبي وقاص : ٥١ .
سعد بن حذيفة بن اليمان: ١٦٠ .
سعد بن مسعود : ٣٧ .
سعد بن نمران الهمداني: ١٧٣ .
سعيد بن أبي سفيان: ٧٣ .
سعيد بن العاص بن أمية (أبو عثمان): ٢٢ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ١٦٥ .
سعيد بن عثمان بن عفان: ١٩ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ .
سعيد بن قيس الهمداني: ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٤٢ ـ ٤٨ ـ ٥٧ .
سفيان بن عمرو (أبو الأعور): ٣٨ـ ٤٠ .

سفيان بن عوف العامري: ٥٧ ـ ١٠٨ .
سفيان بن ليل الهمداني: ١٦٤ .
سليمان بن صُرد الخزاعي: ٤١ ـ ١٦٤ .
سُلَيم بن عتر التجيبي: ٧٨.
سليم بن محدوج العبدي: ١٥٢ .
سماك بن محزمة الأسدي: ٣٧.
سمرة بن جندب الفزاري: ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٨ .
سنان بن الحُريث الصنبي: ١٦٨ .
سنان بن سلمة: ١٤٢ ـ ١٤٣ .
سهل بن حنيف: ٣٠.
سهم بن غالب الجهمي: ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ .

ـ حرف الشين ـ

شبث بن ربعي الرياحي: ٣٩ ـ ٤٠ ـ ١٤٥ .
شبيب بن بجرة الأشجعي: ١٥٤ ـ ١٥٥ .
شداد بن الهيثم الهلالي: ١٦٨ ـ ١٦٩ .
شرحبيل بن السِّمط الكندي: ٢٧ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٥١ ـ ٧٣ .
شريح بن الحارث الكندي: ٧٧.
شريح بن هانىء الحارثي: ٥١.
شريك بن الأعور الحارثي: ٣٦ـ ١٥٤ .
شفيق بن ثور البكري: ٤٧.
شيبان بن عبد الله السعدي: ٨٩ ـ ١٥٨ .

ـ حرف الصاد ـ

صبرة بن شيمان: ٣٦.
صخر بن حرب بن أمية (أبو سفيان): ١٣ ـ ١٤ .
صعصعة بن صوحان: ٢٢ـ ٢٣ .
صفية بنت معاوية: ٢١ .

ـ حرف الضاد ـ

الضحاك بن قيس الفهري: ٢٧ ـ ٣٣ـ ٣٧ ـ ٤٢ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦٠ ـ ٧٢ ـ ٧٤ ـ ٨٤ .
ضرار صالح ضرار: ٢٠ـ ٥٤.

ـ حرف الطاء ـ

الطبري: ١٨ ـ ٧٦ ـ ٨٦ ـ ٩١ ـ ٩٣ ـ ٩٨ ـ ١٠٥ ـ ١١٠ ـ ١٥٢ ـ ١٧٤ .
طلحة بن عبيد الله: ٢٦ ـ ٢٩ .
طوّاف بن علاق: ١٦١.

ـ حرف العين ـ

عائشة بنت أبي بكر: ٢٦ ـ ٢٩ ـ ١٧٥ .
عاصم بن فضالة: ٧٧.
عاصم بن ورقاء البجلي: ١٧٣ .
عامر بن الجراح الفهري(أبو عبيدة): ١٨ ـ ١١٥ .
عامر بن عقبة بن أبي معيط: ٤٣.
عباس محمود العقاد: ١٦ ـ ٦٨ ـ ٨٢ ـ ٨٣ .
عباد بن الحصين الطائي: ١٣٣ ـ ١٥٨ .
عباد بن زياد: ١٤٣ .
عباد بن علقمة التميمي: ١٦٢ ـ ١٦٣ .
عبادة بن الصامت: ٧٧.

عبادة بن قرظ الليثي: ١٥٥ .
عبد الرحمن الأسدي: ٢١ .
عبد الرحمن بن الحارث المخزومي: ١٧٥ .
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: ٢٤ - ٣٧ - ٤١ - ١٠٧ .
عبد الرحمن بن زياد: ١٤١ .
عبد الرحمن بن مجزر: ٢١ .
عبد الرحمن بن معاوية: ٢١ .
عبد الرحمن بن ملجم: ٥٩ .
عبد الرحمن سمرة بن حبيب: ٦١ - ١٣٣ - ١٣٤ .
عبد الرحمن القيني: ١٠٨ .
عبد الله الأشعري: ٢٥ .
عبد الله بن أبي بكر: ١١٩ .
عبد الله بن أبي الحوساء الطائي: ١٤٩ .
عبد الله بن بديل الخزاعي: ٤٠ - ٤٢ - ٦٦ .
عبد الله بن الحارث النخعي: ١٧٠ - ١٧١ .
عبد الله بن الحارث بن نوفل: ٨٧ .
عبد الله بن خازم: ١٣٤ .
عبد الله بن خباب بن الأرت: ١٤٦ .
عبد الله بن درّاج: ٨١ .
عبد الله بن الربيع: ١٣٨ .
عبد الله بن الزبير: ٩١ - ١٠٩ - ١١٩ - ١٢٢ .
عبد الله بن سعد بن أبي سرح: ٢٤ - ١٠١ - ١٠٢ - ١١٨ - ١١٩ .
عبد الله بن سوّار العبدي: ١٤٢ .
عبد الله بن طفيل العامري: ٤٣ .
عبد الله بن عامر بن كريز: ٢٤ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٧٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٤٢ - ١٥٠ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ .
عبد الله بن عباس: ٢٩ - ٣٦ - ٤١ - ٤٩ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ١١٩ .
عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٢٤ - ٥١ - ١٠٩ - ١١٩ .
عبد الله بن عمرو بن العاص: ٤١ - ١٠٩ - ١٢١ .
عبد الله بن عوف بن أحمر: ١٥٠ .
عبد الله بن فضلة (أبو برزة) ٧٧ - ١٣٦ .
عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري): ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ .
عبد الله بن قيس الحارثي: ١١١ .
عبد الله بن قيس الفزاري: ١٠٠ .
عبد الله بن كرز البجلي: ١٠٨ .
عبد الله بن الكواء اليشكري: ١٤٥ .
عبد الله بن محصن الحميري: ٩١ .
عبد الله بن المدان: ٥٨ .
عبد الله بن معاوية: ٢١ .
عبد الله بن مسعدة الفزاري: ٥٧ .
عبد الله بن نوفل بن الحارث: ٦٢ - ٧٧ .
عبد الله بن وهب الراسبي: ١٤٥ - ١٤٦ .
عبد الله الخثعمي: ١١١ .

عبد الملك بن مروان: ٧٣ - ١١٢ - ١١٦ .
عبيد بن أوس الغساني: ٩١.
عبيد الله بن أبي رافع: ٥١.
عبيد الله بن زياد: ٩٠ - ١٣٨ - ١٤٣ - ١٦١ - ١٦٢ .
عبيد الله بن عباس: ٥٨ - ٦٠.
عتبة بن أبي سفيان: ٣٢ - ٨٢ - ١٢١.
عتبة بن الأخنس السعدي: ١٧٣ .
عثمان بن عفان(رضي الله عنه): ٣١ - ٣٣ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٣٠ - ٣٢ - ٣٥ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٨ - ٥٤ - ٩٩ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٦٥ - ١٦٦ .
عتريس بن عرقوب الشيباني: ١٤٩ .
عروة بن أدية التميمي: ١٦١.
عدي بن حاتم الطائي: ٣٧ - ١٦٨.
عقبة بن عامر الجهني: ١١٩ - ١٢١.
عقبة بن عمرو (أبو مسعود): ٣٦.
عقبة بن نافع الفهري: ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٣٢ .
عقبة بن الورد الباهلي: ١٦١ .
علي بن أبي طالب(رضي الله عنه): ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٣ - ٦٥ - ٨٦ - ١٢٠ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ .
عمّار بن السِّعر: ٣٦.
عمار بن عباد الكلبي: ٥٠.
عمار بن ياسر: ٢٤ - ٣٩ - ٥٥.
عمران بن الحسين الخزاعي: ٧٧.
عمر بن الحُباب السُلمي: ١١٢ .
عمر بن الخطاب(رضي الله عنه): ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٣٢ - ٣٣ - ٧١ - ٧٥ - ٨٤ - ٩٠ - ٩٨ - ٩٩ - ١١٨ - ١٣١ .
عمر بن عبيد الله بن معمر: ١٣٣ .
عمر بن يثربي الضبي: ٧٧.
عمرو بن بكر: ٥٩ - ٦٠.
عمرو بن الحمق الخزاعي: ٣٩.
عمرو بن حريث المخزومي: ١٥٩ - ١٦٧ - ١٦٨.
عمرو بن الزبير: ٩١.
عمرو بن سفيان (أبو الأعور): ١٠١.
عمرو بن العاص: ٣٢ - ٣٣ - ٤٢ - ٤٦ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٢ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٦ - ٧٤ - ٩١ - ٩٣ - ٩٨ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٣٠ .
عمرو بن مُحرز التميمي: ١٥٣ .
عمرو بن مرجوم: ٣٦.
عويمر بن عامر الخزرجي (أبو الدرداء): ٧٦.
عمير بن سعد الأنصاري: ٢١.
عنبسة بن أبي سفيان: ٧٣.

ـ حرف الغين ـ

غالب بن فضالة الليثي: ١٣٦.

ـ حرف الفاء ـ

فاخة بنت قرظة: ٢١.
فروة بن نوفل الأشجعي: ١٤٨ ـ ١٤٩.
فضالة بن عبيد الليثي: ٧٦ ـ ٧٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١١.
فيليب حتي: ٦٧ ـ ١١٦.

ـ حرف القاف ـ

قبيصة بن الدّمون الهلالي: ١٥٠.
قُثم بن عبيد الله بن عباس: ٥٨.
قُرَيب بن مرّة الأزدي: ١٥٩.
قريبة بنت أبي أمية: ٢٠.
قنسطانز الثاني: ١٠٨.
قسطنطين بن هرقل: ١٠٥.
قسطنطين الثاني: ١٠٢.
قسطنطين الرابع: ١١٤.
قطري بن الفجاءة: ١٣٤.
القعقاع بن نفر الطائي: ١٤٩.
قيس بن سعد بن عبادة: ٥٤ ـ ٦٠ ـ ٦٦.
قيس بن الهيثم السلمي: ١٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٤١.

ـ حرف الكاف ـ

كثير بن شهاب الحارثي: ١٧٢.
كريم بن عفيف الخثعمي: ١٧٣.
كسيلة بن لمزم الأُوْرَبي: ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٣٢.
كميل بن زياد النخعي: ٢٢.
كنود بنت قرظة: ٢١.

ـ حرف الميم ـ

مالك (أبا المخارق): ٨٢.
مالك بن الحارث النخعي: ٢٢.
مالك بن الرّيب المازني: ١٤٠.
مالك بن عبد الله الخثعمي: ١٠٧.
مالك بن كعب الأرحبي: ٢٢ ـ ٥٦.
مالك بن هبيرة السكوني: ٤١ ـ ٧٣ ـ ١٠٨ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥.
مجاهد بن جبر: ١١١.
محمد (ﷺ):
١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ٢٥ ـ ٤٤ ـ ٩٣.
محمد بن أبي بكر: ٣٩ ـ ٥٥ ـ ٥٦.
محمد بن الأشعث بن قيس: ١٧٠ ـ ١٧١.
محمد بن يوسف، الكندي: ٣٣ ـ ٧٨.
مخارق بن الحارث: ٣٣ ـ ٤٢.
مخنف بن سليم: ٣٧.
مرداس بن أدية التميمي (أبو بلال): ١٦٢.
مروان بن الحكم: ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ١١٩.
المستورد بن عُلّفة التيمي: ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤.
مسلم بن عمرو الباهلي (أبو قتيبة): ١٥٧.

مسلمة بن مخلد الأنصاري:
٥٤ - ٧٤ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٤ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٠ .
مسعر بن فدكي التميمي: ٤٨ - ١٤٦ .
مسور بن مخرمة : ٢٦ .
المسيب بن نجبة الفزاري : ٥٧ - ١٦٤ .
مصعب بن عبد الرحمن بن عوف: ٧٧ .
معاذ بن جوين الطائي: ١٥١ - ١٦٠ .
معاذ بن الضحاك بن سفيان: ٤٣ .
معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه): ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٢ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣ - ١١٥ - ١١٦ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٤ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٨ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٨ .
معاوية بن حديج السكوني: ٥٤- ١١٠- ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩ .
معقل بن قيس الرياحي: ٣٧ - ٥٩ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ .
معقل بن قيس اليربوعي : ٣٧ .
معن بن يزيد بن الأخنس السلمي: ٣٥ - ٣٩ .
معين بن عبد الله المحاربي: ١٥٠ .
المغيرة بن شعبة الثقفي: ٢٩ - ٥١ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٦ - ٧٣ - ٨٢ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٩٣ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٨ - ١٦٥ - ١٦٦ .
المقريزي : ٢٠ .
المنذر بن الجارود (أبو الأشعث): ١٤٣ .
المهلب بن أبي صفرة : ١٣٤ - ١٤٢ .
ميزيريوس : ١٠٨ .
ميسون بنت بحدل: ٢٠ .

ـ حرف النون ـ

نائلة بنت الفرافصة: ٣١٠ - ٣٣ .
ناتل بن قيس: ٤٢ .
ناصر الدين دينيه : ٦٨ .
نافع بن خالد الطاحي : ١٣٥ .
نجده خمّاش : ٧٥ - ٩٢ .

نصـــر بن مزاحم : ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٧ .
نقفـــور : ١٢٢ .
النعمان بن بشـر الأنصاري: ٣١ ـ ٥٦ ـ ٧٤ ـ ٧٧ .

ـ حرف الهاء ـ

هانىء بن هوذة النخعي: ١٤٦ .
هند بنت معاويـــة: ٢١ .
هنـــري لامانس: ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ .
هند بنت عتبـــة : ١٣ .

ـ حرف الواو ـ

وائـــل بن حجـــر الحضـــرمي: ١٧٢ ـ ١٧٣ .
وِردان (مولى معاوية بن أبي سفيان): ٨٢ .
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: ٧٧ .
الوليد بن عقبة بن أبي معيط: ٣٢ .
وهب بن مسعود الخثعمي: ٥٨ .

ـ حرف الياء ـ

يزيد بن أبي سفيان: ١٤ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ .
يزيد بن أسد البجلي : ١٧٢ .
يـزيـد بـن حجـيـة بـن ربـيـعـة التميمي :١٧٣ .
يـزيـد بـن شـجـرة الـرهـاوي: ٥٩ ـ ١٠٨ ـ ١١١ .
يـزيد بن معـاويـة : ٢٠ ـ ٦٩ ـ ٩٣ ـ ١٠٩ ـ ١١٣ ـ ١٣١ ـ ١٣٦ .
اليعقوبي: ١٩ ـ ٤٧ .

** . . ** . . ** . . **

** . . ** . . ** . . **

** . . ** . **

** . . **

*

كتب صدرت للمؤلِّف

(١) كتاب المِحَن لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي (ت ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ م) تحقيق ودراسة الدكتور عمر سليمان العقيلي، دار العلوم بالرياض، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

كتب غير منشورة

(١) يزيد بن معاوية : حياته وعصره.

(٢) تاريخ الدولة الأمويَّة.

(٣) تراجم أُموية.

*** *** ***

"ABSTRACT"

This book is a study of the life and the reign of Mu'āwiya Ibn Abī Sufyān, with special reference to his achievements during his term as governor of Syria (19-41/640-661) and then as Amır al-mu' minīn (41-60/661-680).

The first chapter is an outline of the early life of Mu'āwiya and deals with his achievements during his governorship until the end of the reign of the Caliph Uthmān b. 'Affān.

The second chapter deals with the civil war which took place between the Caliph 'Alī and Mu'āwiya, with particular reference to the reasons for the battle of Siffīn and its aftermath.

The third chapter is concerned with Mu'āwiya's achievements and the necessary changes which he carried out during his term as Amīr al-mu' minīn.

The fourth chapter is devoted to Mu'āwiya's external policy especially the conquests in North Africa, central Asia and the hostile relations with the Byzantines.

The last chapter treats the opposition movements against the reign of Mu'āwiya and in particular the Khawārij's opposition and the movement of Hujr b. 'Adiyy al-Kinkī, who was representing the 'Alids at that time. A conclusion is drawn that the achievements of Mu'āwiya provided a base for future muslim expansion.

The Caliphate of

Mu'āwiya ibn Abī Sufyān

by

Dr. Omar Sulaiman Al-'Aqeeli

Assistant Professor of History – College of Arts

King Saud University

Riyadh - Saudi Arabia.

First Edition

1984